البديعيات

في الأدب العربي

نشأتها - تطوّرها - أثرها

إعداد
علي أبو زيد

عالم الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

الحمد لله الذي كتب النور لجوانب كثيرة من تاريخ الحضارة العربية ، كما شاء لجوانب أخرى أن تبقى في زاوية الظّل ، تنتظر جهد الباحثين ..

والصلاة والسلام على النبي محمد الآمر بالكشف عن الحقيقة واتّباعها أنّى كانت .

وبعد ،

فلعل أسوأ العصور حظاً ـ إن صح التعبير ـ وأقلها عناية من حيث اهتمام الباحثين به ، هو العصر المملوكي والعثماني ، إذ لا يزال القسط الأوفر مما خلّفه لنا دفيناً ، قد علاه غبار الزمن ، وأتت عليه العنكبوت .

وكأن الباحثين اليوم ـ أو بعضهم ـ يخشون جَفَل الغبار إن أقدموا عليه وأخرجوا مكنونه ، ومن هنا كانت الأحكام العَجلى على هذا العصر ، مما حمل بعضهم على تسميته بعصر (الانحطاط) ، تعصّباً ـ إن شئت ـ أو جهلاً ، أو عجلة .

والحق ـ عندي ـ أن هذا العصر لم يكن أقلّ من غيره عطاء ، فقد تعددت نتاجاته وتنوعت حتى شملت فنون المعرفة كلها ، من أدب وشعر ، وفلسفة ،

وفقه وتاريخ .. وغيرها من العلوم .

ولأني لا أستطيع الإحاطة بجوانب هذا العصر كله ، فقد اقتصرت في بحثي على دراسة ظاهرة شعرية فنية ، نبتت في هذا العصر ، واستوت على أشدها ، وانطلقت في رحلة امتدت نحواً من سبعة قرون ، استمدت من المدائح النبوية قوة تدفعها إلى الأمام ، ومن فن (البديع) زاداً يعينها على رحلتها الطويلة تلك ، هذه الظاهرة الطريفة هي (البديعيات) .

والبديعيات ـ حدّاً ـ : هي مجموعة من القصائد ، ظهرت في القرن الثامن الهجري واستمرت حتى القرن الرابع عشر ، غرضها المديح النبوي ، وغايتها جمع أنواع (البديع) ضمن أبياتها ، نوع في كل بيت ، يصب ذلك كله في قالب من البحر البسيط ، وروي الميم المكسورة ، هذا القالب الذي اشتهر من خلال (بردة) البوصيري[١] .

وقد حثّني إلى هذا البحث حرصي على الإسهام في حركة بعث جانب من جوانب تراث ذلك العصر المديد ، والعمل على توضيحه ، ووجدتني مندفعاً وراء هذا البحث الذي يمثّل صبغاً من أصباغه ، أستقصي جوانبه ، وأستقرىء مادته ، وأحاول الخروج منه بكل ما من شأنه أن يبرزه للناس سوياً .

ومما زاد من رغبتي في متابعة هذا البحث تلك الوشائج المتينة التي تربطه بالتراث العربي الإسلامي الذي سبقه ، التي تمثلت في أكبر أغراض الشعر العربي (المديح) ، كما تمثلت في جانب من جوانب الذوق العربي الذي يجلو صورته فن (البديع) ثالث ثلاثة فنون هي عَمَد البلاغة العربية . ولذلك فإن دراسة هذا الفن الشعري الطريف تعني إحكام ربط التراث بعضه ببعض ،

---

(١) هذا تعريف أوّلي للبديعيات ، تجوّزت في استعماله لأنني أخّرت الحديث عن تعريفها الدقيق قليلا عن البداية .

إضافة إلى ما تحمله من جديد يضاف إلى عقد هذا التراث .

كما أن في هذه الدراسة ، ذات الصلة بالبلاغة العربية ، بارقَة دعوة إلى الباحثين ليتوجهوا ، بما وصلوا إليه من معرفة ومقدرة وتقنية ، إلى دراسة البلاغة العربية دراسةً جديدة ، تغوص في أعماق هذه البلاغة لتُظهر دلالاتها الجمالية والنفسية ، وتجعلها مسايرة لروح العصر الحاضر من خلال ما تجده نافعاً وموافقاً من أنواع فنون هذه البلاغة . وبذلك نكون قد خدمنا هذا التراث بتقديمه ـ عصرياً ـ لأبنائه بحلّة يقبلونه بها ، ويُقْبِلون عليه .

واقتضت منّي الدراسة أن أقسم البحث إلى بابين : ذكرت في أولهما نشأة فن (البديعيات) وتطوّره ، وفي الثاني أثر هذا الفن في الأدب والنقد والبلاغة . وقد بنيت الباب الأول على فصلين :

الفصل الأول منه : خصَصْته بعلاقة (البديعيات) بفن البديع أولاً ، ثم علاقتها بالمدائح النبوية ثانياً ، وأظهرت تلك العلاقة ، وحاولت إحكام ربطها وتوضيحها من خلال ما وصلت إليه وتبيّن لي .

ثم حاولت استنباط تعريف شامل ودقيق لهذا المصطلح (البديعيات) فاستعرضت مجمل الآراء التي قيلت فيه ، ومن ثم خرجت بتحديد لهذا المصطلح من خلال استقرائي لما بين يدي من نصوصه .

أمّا الفصل الثاني : فكان لرصد النشأة الأولى لهذا الفن ، مع تحديد صاحبها إذ تنازع مكان الريادة في (البديعيات) ثلاثة نفر من الشعراء ، حاولت قول كلمة الفصل بينهم ، وخلعت الأوليّة على صاحبها ، مستعيناً بما قدَرت عليه من أدلة وبراهين ، رددت فيها على من خالفته ، وأعنت بها من وافقته .

كما حاولت استقصاء (البديعيات) التي نظمت على تتالي الأيام ، والتعريف بأعلامها باذلاً في ذلك طاقتي ، فوصلت بها إلى نيّفٍ وتسعين بديعيةً ،

بين نصٍ وخبر ، مع العلم أن ما وصل إليه غيري ممن حاول ذلك لا يتجاوز الأربعين بديعية .

وقد اتسع الباب الثاني لثلاثة فصول :

بحثت في الفصل الأول منها أثر (البديعيات) في الأدب راصداً الحركة التأليفية التي نشطت حول هذا الفن ، وما أضافته من جديد إلى المكتبة العربية كمّاً ومضموناً . واستقصيت في الفصل الثاني أثر (البديعيات) في النقد من خلال ما أثارته حولها من حركة نقدية تمثلت في مواقف السلاطين والخاصة والعامة منها ، وفي الملامح النقدية التي انتشرت على صفحات شروح (البديعيات) ، إضافة إلى ما أُلف من كتب في نقدها .

أمّا الفصل الثالث : فكانَ لدراسة أثر (البديعيات) في البلاغة والبديع خاصة والذي بيّنه انفصال علم (البديع) عن علمَي المعاني والبيان ، وإشاعته بين الناس من خلال (البديعيات) ، والانتقال بالبديع من أحضان المدرسة الكلامية التي قيّدت البلاغة عامة بقواعد المنطق والفلسفة ، إلى بحبوحة المدرسة الأدبية التي تعتمد السهولة والوضوح ، وتتكىء على الذوق في ذلك .

ثم رصدتُ الأنواع البديعية الجديدة التي حملتها (البديعيات) معها على تتالي الأيام وتوالي الشعراء ، وأشرت إلى ما توارد عليه الشعراء من هذا الجديد الذي بلغ (١٣١) نوعاً سوى ما ذكره الصفي الحلي وما أضافه شعبان الأثاري مما لم يُتابَع عليه . وحاولت تعريف وشرح هذه الأنواع الجديدة التي دخلت إلى ساحة النور لأول مرّة .

وقد ختمت البحث برأيٍ في الأنواع البديعية الجديدة ، وموقفٍ من البديع و (البديعيات) ، ومناقشةٍ لبعض القضايا التي عرضت في أثناء البحث . وأتيت بنموذجين كاملين من (البديعيات) لتكتمل صورة هذا الفن في ذهن القارىء من خلال مقارنة الدراسة بمادتها .

وأخيراً وضعت ثبتاً بأسماء المصادر والمراجع التي كانت عوناً لي في هذه الدراسة وقد رتبت المخطوط منها وفق وفاة مؤلفه لتبيين قيمته التاريخية ومكانته ، بينما رتبت المطبوع منها على حروف الهجاء بالنظر إلى اسم الكتاب .

وبذلك يكتمل النهج العام الذي سرت فيه باحثاً فن (البديعيات) ، غيرَ مدّخرٍ جهداً أستطيعه ، يبلغني الحقيقة ، ويعينني على الوصول بهذا البحث إلى مرتبة من الكمال الذي أستأثر به الله سبحانه وتعالى .

ولم أجعل الشورى عليّ غضاضةً ، لأنني أعلم قلّة المرء بنفسه ، وأدرك كثرته بإخوانه ، فحاولت التغلّب على صعاب البحث بمشورة من أجد منه عوناً ، وآنس فيه معرفة وأتوسم فيه روح العلم والعلماء .

ولا أنسى في هذا المقام أن أتقدم بالشكر والعرفان بالجميل لكل من أسهم في إخراج هذا البحث وأعانني على تذليل عقباته ، من الأصدقاء المخلصين والأساتذة الأفاضل ، وفي مقدمتهم الأستاذ الدكتور محمود الربداوي ، جزاهم الله جميعاً الخير .

فإن نلت الرضى وحزت السداد ، فتلك الغاية ، وهذا المراد ، وإلاّ فحسبي الصدق في النية ، والإخلاص في العمل ، وما أؤمله من رغبة إقالة العثرات في نفوس العلماء ، فرحم الله امرأً أهدى إليّ عيوبي .

دمشق : ٢٦ جمادي الأولى ١٤٠٢ هـ

٢١ آذار ١٩٨٢ م

علي أبو زيد

الباب الأول
النشأة والتطور

الفصل الأول

علاقات البديعيات

عَلاقة البَديعيّات بالبَديع وَالمـدائح النبوّيّة

١ ـ البديع والبديعيات :

من المعروف أن شعراء العرب وخطباءهم منذ العصر الجاهلي كانوا يغذّون أساليبهم التعبيرية بالبلاغة ، وأن ما جاء في شعر الشعراء العباسيين ومَن بعدهم لم يكن من وضعهم وتأليفهم، إنما سُبقوا إليه وعُرف قبلهم، وهذا ما دفع ابن المعتز إلى تأليف كتابه المسمى « البديع » ، والذي أشار في مقدمته إلى ذلك القصد بقوله : « قد قدّمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله ﷺ ، وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم ، وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سمّاه المحدثون : البديع ، ليُعلم أن بشّاراً ، ومُسلماً ، وأبا نواس ومن تقيّلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ، ولكنه كَثُر في أشعارهم ، فعُرف في زمانهم حتى سمّي بهذا الاسم فأعرب عنه ، ودلّ عليه»(١) .

وقد رأى مؤرخو البلاغة العربية أن هذا الكتاب يعد أول كتاب في البلاغة المحضة عامة ، والبديع خاصة ، وإنْ سبقه « البيان والتبيين »

---

(١) البديع (لابن المعتز) ، ص : ١ .

للجاحظ ، لأن هذا الأخير ـ كما هو معلوم ـ لم يخص فنون البلاغة وحدها ، ولا أفرد أنواعها .

ولعله من نافلة القول أن أعمد إلى ذكر الكتب التي ألفت في البلاغة العربية بعد ذلك (كنقد) قدامة ، و (صناعتَي) أبي هلال العسكري و (عمدة) ابن رشيق وغيرها من الكتب الكثيرة التي توالت في هذا الموضوع . ولكن المهم هو ما وصل إليه ابن أبي الإصبع (ت ٦٥٤ هـ) في كتابه « تحرير التحبير » ، لأنه المرتكز الذي انطلقت منه (البديعيات) في جانبها الأول من حيث التأليف البديعي لأننا إذا علمنا أن صفي الدين ، عبدالعزيز بن سرايا الحلي هو صاحب أول بديعية ـ وسيأتي تقرير ذلك ـ فإن وقفتنا عند « تحرير التحبير » لها ما يسوغها في مقدمة شرح الحلي على (بديعيته) إذ يقول في معرض حديثه عن التأليف البلاغي و « بديع » ابن المعتز ، و « نقد » قدامة : « ثم اقتدى بهما الناس في التأليف ، فكان غاية ما جمع منها أبو هلال العسكري سبعة وثلاثين نوعاً ، ثم جمع منها ابن رشيق القيرواني مثلها ، وأضاف إليها خمسةً وستين باباً في فضائل الشعر وصفاته وأعراضه وعيوبه وسرقاته ، مما لا تعلّق له بالبديع من أنساب الشعراء وأحوالهم . وتلاهما شرف الدين التيفاشي فبلغ بها السبعين . ثم تصدى لها الشيخ زكي الدين بن أبي الإصبع ، فأوصلها إلى التسعين وأضاف إليها من مستخرجاته ثلاثين ، سَلِم له منها عشرون ، وباقيها مسبوق إليه ، أو متداخل عليه ، وكتابه المسمى « بالتحرير » أصح كتاب صنف في هذا العلم ، لأنه لم يتكل على النقل دون النقد ، ولم تختلف عليه فيه إلا مواضع يسيرة ، لو أمعن النظر فيها لم تفُتْه ، وسأذكرها في أماكنها ، وليس من الباقين إلا من غيّر بعض القواعد ، وبدّل أكثر الأسماء والشواهد . وذكر ابن أبي الإصبع أنه لم يؤلف كتابه المذكور إلا بعد الوقوف على أربعين كتاباً في هذا العلم أو بعضه ، وعدّدها في صدر كتابه . فأنهيت الكتاب مطالعة ، وطالعت مما لم يقف عليه مما كان قبله ، وما ألف بعده ثلاثين كتاباً ، وسأذكر تفصيل

الجملتين بعد انتهاء الشرح ـ إن شاء الله تعالى ـ فجمعت ما وجدت في كتب العلماء ، وأضفت إليه أنواعاً استخرجتها من أشعار القدماء ، وعزمت أن أؤلف كتاباً محيطاً بجلّها ، إذ لا سبيل إلى الإحاطة بكلها »(١) . فأنت ترى أن هذا النص يدعو قارئه إلى تأكيد وجود علاقة واضحة بين نظم أول بديعية ، وبين الرغبة في التأليف البديعي ، وهذه الرغبة مُصرَّح بها من الناظم الأول ، وتصريحه هذا المقيّد بمضاهاة ابن أبي الإصبع هو عذرنا للقفز مباشرة إلى « تحرير التحبير » دون سرد ما سبقه من كتب بلاغية ، تاركين ذلك لمؤرخيه .

وكلام الصفي الحلي لا يحتاج إلى تعقيب أو تعليق ، فالهدف واضح ، والرغبة معلنة ، ولم يبق سوى تحرير الكتاب ، بعد أن أنتهى من مراجعة مصادره ، لولا أنْ حالَ المرضُ بينه وبين ذلك ، إذ عرضت له « علّة طالت مدّتها ، وامتدت شدّتها »(٢) منعته من تحقيق مرامه .

وبهذا ترى معي أن العلاقة قائمة وواضحة بين (البديعيات) والتأليف البديعي إذ تحول الصفي الحلي إلى نظم قصيدة نبوية تضم ما عزم على تأليفه في البديع بعد رؤيته النبي ﷺ في نومه يتقاضاه المديح . وهذا يحملنا إلى الفقرة التالية .

٢ ـ المدائح النبوية والبديعيات :

إن تلك الرغبة المنشودة بتأليف كتاب يضم أنواع البديع عند الصفي الحلي لم يستطع تنفيذها لما أصابه ـ كما أشرنا ـ وإذا أوردنا نصّه هنا فإنما نفعل ذلك لنأخذ منه دليل العلاقة القائمة بين (البديعيات) والمدائح النبوية ، فقد قال ، بعد أن صرّح بعزمه على تأليف كتاب : « فعرضت لي علة ، طالت مدتها ، وامتدت شدتها واتفق لي أني رأيت في المنام رسالة من النبي ، عليه

---

(١) شرح بديعية الصفي الحلي له (النتائج الإلهية) ، ص : ٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص : ٢ .

السلام ، تتقاضاني المدح وتدني البرء من الأسقام ، فعدلت عن الكتاب إلى نظم قصيدة تجمع شتات البديع ، وتتطرز بمدح مجده الرفيع ، فنظمت مئة وخمسة وأربعين بيتاً من بحر البسيط ، تشتمل على مئة وواحد وخمسين نوعاً من محاسنه . . . . وجعلت كل بيت منها شاهداً ومثالاً لذلك النوع »(١) .

وبعد ذا ، ألم تقترن هذه الحادثة في ذاكرتك بتلك التي جرت مع البوصيري صاحب :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرانٍ بِذِي سَلَمِ مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَىٰ مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

أليس المرض متقارباً ؟ ورؤية النبي ﷺ في الحلم متشابهة ؟ والفرق الوحيد هو أن البوصيري لم تكن عنده الرغبة في التأليف البديعي كتلك التي كانت عند الصفي الحلي .

ومما تدّخره ذاكرتنا أنه منذ بعثة النبي ﷺ عرف المديح له وأُفرد من بين المديح بتسميته خاصة به : (المديح النبوي) ، واستمر ركبه منطلقاً بعد أن قضى عليه السلام ، وإلى يوم الناس هذا ، وما أكثر هذه المدائح !

ولسنا بصدد تأريخ تلك المدائح ، فمن المعروف أن داليّة الأعشى ـ إن صحت نسبتها إليه ـ والتي مطلعها :

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدا وَعادَكَ ما عَادَ السَّلِيْمَ المُسَهَّدا(٢)

كانت أول قصيدة مُدح بها عليه السلام ، وإن لم تتضمن شروط المديح النبوي كلها ، ثم توالت المدائح النبوية ، فكان لأبي طالب عبد مناف بن عبد المّطلب غيرُ قصيدة في ذلك نُسبت إليه(٣) ، ثم كانت مدائح حسان بن

---

(١) المصدر السابق ، ص : ٢ ـ ٣ .
(٢) المدائح النبوية في الأدب العربي (د. زكي مبارك) ، ص : ١٨ .
(٣) ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً (د. محمود الربداوي) ـ قيد الطبع .

ثابت ، وبردة كعب بن زهير :

بانَتْ سُعَادُ فَقَلْبي اليَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ عِنْدَها لَمْ يُجْزَ مَكْبُول[1]

وغير ذلك من هذه القصائد التي استمرت تحبو إلى أن قُيض لها أن تصبح خلْقاً سوياً يسرّ الناظرين ، ويتمايل لسماعه السامعون ، ويتداعى الشعراء إلى التقليد والمحاكاة والمعارضة بعده ، على يد البوصيري في بردته ذات مطلع :

أمِنْ تَذَكُّرِ جِيْـرانٍ بِذِي سَلَمِ مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَىٰ مِنْ مُقْلَةٍ بِدَم

ولما كان للبردة ذلك الأثر الذي لا يخفي عن كل ذي لُبٍّ في (البديعيات) ، أنست في نفسي هوىً للتعريج قليلاً عليها وعلى قائلها ، وإن كثر هذا الحديث في غير ما موضع .

البوصيري والبردة :

في السنة الثامنة بعد المئة السادسة لهجرة الممدوح ﷺ وفي قرية اختلفوا في تسميتها[2] ، كانت ولادة محمد بن سعيد بن حماد البوصيري ، الذي نشأ ، كما يبدو ، « في أسرة فقيرة ، ولذلك اضطر إلى السعي لطلب الرزق منذ صغره ، فزاول كتابة الألواح التي توضع شواهد على القبور »[3].

ويبدو أنه بحث عن أسباب الثقافة في صغره ، (ثم أقبل على التصوف . فدرس آدابه وأسراره . وقد تلقى ذلك عن أبي العباس المرسي الذي خلف أبا الحسن الشاذلي في طريقته . وكان بين البوصيري وشيخه علاقة حب . وقد تأثر البوصيري بهذه التعاليم ، وظهر أثر ذلك في شعره واضحاً »[4].

---

(١) شرح ديوان كعب بن زهير (للسكري) ، ص : ٦ (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة =١٣٦ هـ - ١٩٥٠ م) .

(٢) قيل : إن أحد أبويه من قرية (أبو صير) والآخر من (دلاص) .

(٣) مقدمة ديوان البوصيري ، ص : ١١ .

(٤) المرجع السابق ، ص : ٧ .

وقد كان شاعراً ظريفاً « من شعراء القرن السابع ، تجري في شعره النُكَتُ المستملحة وله في شكور حاله ، والتذمر من الموظفين قصائدُ لا تخلو من ذكاء . وفي شعره وصف للحالة الاجتماعية في عصره »[(١)].

هذا الشاعر الاجتماعي الصوفي ، تحقق على يده فتح كبير في باب المدائح النبوية أقبل عليه الجم الغفير من الشعراء بعده ووجوه من خلال قصيدته الميمية (البُرأة) والتي لا يكاد يخفى مطلعها على أحد :

أمِنْ تَذَكُّرِ جِيْرانٍ بِذي سَلَمِ   مَزَجْتَ دَمعاً جَرىٰ مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

إذ أصبحت هذه القصيدة المثلَ الكامل الذي يُحتذى للمِدحة النبوية ، وعلى نهجها يسير المادحون ، وبمقوماتها يهتدون .

وإن كان سبب نظمها معروفاً عند بعضهم ـ إن لم نقل كلهم ـ ومنتشراً في الكتب ، فإنه لا مندوحة لنا عن التذكير به من جديد ، لما له من مسيس الصلة بالبديعيات ، فالبوصيري يحدّثنا عن ذلك بقوله : « كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله ﷺ منها ما كان اقترحه عليّ الصاحب زين الدين يعقوب ابن الزبير ، ثم اتفق بعد ذلك أن أصابني فالج أبطل نصفي ، ففكّرت في عمل قصيدتي هذه ، فعملتها ، واستشفعت بها إلى الله تعالى في أن يعافيني ، وكررت إنشادها ، ودعوت ، وتوسلت ، ونمت ، فرأيت النبي ﷺ فمسح وجهي بيده المباركة ، وألقى عليّ بردة ، فانتبهت ووجدت فيَّ نهضةً ، فقمت وخرجت من بيتي . . . . »[(٢)].

فالفالج يبطل نصفه ، ولا شك أنه عمل بأسباب الشفاء ولم يفلح ، وطالت علته وأيس من الطب في شفائها ، وشفّت روح المريض الصوفي ،

---

(١) المدائح النبوية في الأدب العربي ، ص : ١٤٢ .

(٢) فوات الوفيات (للكتبي) : ٣ / ٣٦٨ . وانظر البردة : ١٠٩ / ب ، وقد كتبت بيد ناسخ وفاته سنة ٧٦٠ هـ .

وتطلعت إلى ملاذها الأخير إلى الجانب الروحي الإيماني ، إلى الله الذي أنزل الداء وجعل له الدواء ، فالتجأ الصوفي إلى ربه ، متوسلاً بنبيه الذي كان طبيباً لهذه الأمة ومخلصاً لها ، عسى أن يحظى بما عجز الحكماء عنه ، فنظم مدحته النبوية ، وأنشدها على كبير اعتقاد بالقَبول والشفاء ، ورأى في المنام ما رأى ، وتحقق له ما أمّل . .

ثم انطلقت قصيدته (البرأة) هذه تجوب الآفاق ، وتنتشر بين الناس أيّما انتشار ويتدافع حولها الشارحون والمقلدون والمعارضون والمشطرون والمخمسون . . . . بحيث لم تحظ قصيدة عربية قط بما كان للبرأة من مكانة وشهرة بين الناس[1] ، حتى أصبحت مجالس معظم الصوفية وحلقاتهم لا تُفْتتح وتُختتم إلا بها ، وربما وصفت أبياتها للتداوي بها ، « فبعضها أمان من الفقر ، وبعضها أمان من الطاعون »[2] . والقصيدة هذه ، التي ربما سميت : البردة ، للبردة التي ألقاها النبي ﷺ على ناظمها في نومه ، وربما وسمت بالبرأة ، لأن البوصيري بسببها بريء من علته ، هذه القصيدة كانت عدّتُها مئة وستين بيتاً ، كما وردت في (الديوان) ، على البحر البسيط ، وروي الميم المكسورة .

* * *

بعد هذه الاستطرادة التي لا بد منها ، يستطيع المرء أن يقارن وبسهولة بين (البردة) ، وبين أول بديعية نظمت على يد الصفي الحلي ، ثم يقارن بين دوافع كل من القصيدتين ، ويخرج بعد ذلك ودون كبير عناء ، إلى ما وصلنا إليه من تأكيد وجود علاقة تأثير وتأثر بين المدائح النبوية عامة ، و(البردة) خاصة وبين (البديعيات) .

ـ فالبوصيري ـ ممثل المدائح النبوية ـ ، والصفي الحلي ـ ممثل البديعيات ـ

---

(١) أنظر تفصيل ذلك في كشف الظنون : ٢ / ١٣٣١ ، وما بعدها .
(٢) المدائح النبوية في الأدب العربي ، ص : ١٤٨ .

كل منهما قد تعرض لمرض عضال طالت مدته ، وامتدت شدته ، قبل أن ينظم قصيدته ، وقد ألجأ صاحبه إلى الله تعالى ، متوسلاً بنبيه ، آملاً الشفاء .

ـ وكلاهما سلك سبيل الشعر في توسله .

ـ وكلاهما جاءت قصيدته على بحر البسيط ، وروي الميم المكسورة ، باختلاف الزيادة البديعية التي جاء بها الصفي الحلي ، وقد أشار إلى وجه الشبه هذا عبدالغني النابلسي في معرض حديثه عمن ألف في البديع فوصل إلى ابن أبي الإصبع ، وقال : « حتى جاء بعده الشيخ عبدالعزيز الحلي الملقب بالصفي ـ رحمه الله تعالى ـ فنظم قصيدة من بحر البسيط على قافية الميم ، مدح فيها النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ مثل قصيدة الأبوصيري التي سماها البردة . . . . »[1] .

ـ وكلاهما قد بريء من مرضه بعد نظم القصيدة ، وصرح بذلك كله .

هذه الاتفاقات كلها بين القصيدتين ، تحملنا على التأكيد بوجود الوشائج المتينة بين المدائح النبوية و (البديعيات) ، تلك الوشائج التي لا يجوز لنا بحال من الأحوال إغفالها وغضّ الطرف عنها ، ونحن نبحث في نشأة (البديعيات) وربما زعم بعضهم أن قصة المرض عند كلا الشاعرين ـ أو أحدهما ـ مختلقة لا أصل لها ، وهنا فإن لنا موقفاً من هذا الزعم .

فالج البوصيري والحلّي بين النفي والإثبات :

لقد أثارت قصة فالج البوصيري وشفائه بعد إنشاد قصيدته فضول غير باحث عن الحقيقة ، وكان أولهم محقق ديوان البوصيري محمد سيد كيلاني ، إذ توصل ـ بعد أدلة استقرأها ـ إلى أن البوصيري لم يصب بفالج ، وإنما بكسر في ساقه ، وأن البردة لم تكن سبب شفائه ، وأنه « كان مصاباً بعدة أمراض ، فلو

(١) نفحات الأزهار على نسمات الأسحار ، (للنابلسي) ص : ٣ .

كانت البردة تصلح للعلاج من الأمراض ، لكان الأولى أن يتعالج بها صاحبها »(١) . واتخذ على ذلك أدلة لا تثبت بالنظر ، إن هي إلا أوهى من بيوت العنكبوت :

آ ـ فهو يقتنص بيتاً للبوصيري من ديوانه أشار فيه إلى أنه أصيب بكسر ، وهو قوله :

ما ضَرَّكُم جَبْرُ الكَسِيرِ وَحَسْبُهُ   ما يَلْتَقي في الجَبْرِ من آلام(٢)

ليتخذ منه دليلاً على أنه أصيب بكسر .

ب ـ ثم يجتهد بتأويل بيت آخر له ، هو قوله :

ما حَالُ مَنْ مُنِعَ الرُّكُوبَ وطَرْفُهُ   يَشْكـو إلَيهِ رِبَـاطَـه مَحْبُـوسـا(٣)

ويقول : « والطرف هنا بمعنى الساق ، فهو يقول : إنه عجز عن الركوب لأن ساقه المكسورة كانت قد لفّت عليها الأربطة ، فتعذرت عليه الحركة . وعلاوة على ما تقدم فإن الفالج لا يُربط ، ومن هنا نستطيع أن ننفي إصابته بالفالج نفياً تاماً » (٤).

جـ ـ وعلى عادته ، يتّخذ من بيت ثالث ، يشكو البوصيري فيه من كثرة أولاده على الرغم من علّته المُقْعِدة ، فيقول :

أَوَ هٰـذِهِ الأولادُ جَـاءَتْ كُلُّهـا   مِنْ فِعْلِ شَيْخٍ لَيْسَ بِالقَوّام ؟(٥)

يتخذ منه دليلاً على عدم إصابته بالفالج ، فيقول : « فهو [أي

(١) مقدمة ديوان البوصيري ، ص : ٢٨ .
(٢) المصدر السابق ، ص : ٢٧ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) ديوان البوصيري ، ص : ٢٧ .
(٥) المصدر السابق .

البوصيري] يقول : إنه مع هذه العلة ، كان يباشر زوجته ، وينجب منها ، فكيف تكون هذه العلة فالجاً أبطل نصفه ؟! هذا وقد ذكرنا من قبل أن البوصيري كان مصاباً بعدة أمراض ، فلو كانت البردة تصلح للعلاج من الأمراض ، لكان الأولى أن يتعالج بها صاحبها »(١) .

د ـ ويجد في رواية لابن حجر الهَيتمي ، تنص على أن البوصيري قد رمد بعد نظم البردة ، ثم رأى النبي ﷺ في نومه يتفل في عينيه ، فبريء من الرمد . يجد في هذه الرواية برهاناً جديداً ينتهي به « إلى أن البوصيري لم يصب بفالج ، وأما ما يقال من أن النبي ألقى عليه بردة ، لم يحدث قط »(٢) .

هذا موقف محقق ديوان البوصيري .

ويبدو أن د. سلطاني قد قبل هذا ، ولم يجد في نفسه اعتراضاً عليه ، فقال في معرض حديثه عن أصداء البردة ، في كتابه « البلاغة العربية في فنونها » : « ويكفي للرد على هذه الأوهام والمزاعم ، ما ذكره محقق الديوان ، إذ انتهى إليه إلى أن البوصيري : لم يصب بفالج ، وما يقال من أن النبي ﷺ ألقى عليه بردة ، لم يحدث قط »(٣) .

* * *

والذي أراه بعد عرض هذه الأدلة والنظر فيها ، أنها بعيدة عن روح الصحة ولا ترقى إلى مراتب اليقين ، بحيث تقف شاهداً عدْلاً ينفي تلك القصة ، إن هي إلا رأي مَيْدَاني .

آ ـ فما وجده المحقق في البيتين : (ما ضَرَّكم جَبْر الكَسِير . . . .) و : (ما حال مَن مُنِع الركوب . . . .) من أنه دليل على كسر البوصيري لا فالجه ،

(١) المصدر السابق ، ص : ٢٧ ـ ٢٨ .
(٢) ص : ٣٨ .
(٣) ص : ١٧ ـ ١٨ .

فإننا نسأله : متى كان كسر الساق وربطه يجزيء عن الفالج ، أو يمنع من وقوعه والإصابة به ؟! أضف إلى أن المحقق نفسه يعترف بأن البوصيري كان مِراضاً .

ب ـ والتناقض ظاهر للعيان في برهانه الثالث عندما فسّر بيت البوصيري : (أو هذه الأولادُ جاءت . . . .) ، تفسيراً صحيحاً بقوله : « فهو يقول : إنه مع وجود هذه العلة كان يباشر زوجته وينجب منها »(١)، ثم يضل سبيله ، ويقول : « فكيف تكون هذه العلة فالجاً أبطل نصفه »(٢)؟.

ونحن نتساءل : كيف يكون البوصيري رجلاً غير قوام ـ كما أشار في البيت ـ ولا يكون المرض فالجاً أبطل نصفه فجعل القيام عليه متعذراً ؟!

ولا نجد في هذا المرض مانعاً من الإنجاب ، خاصة إذا علمنا أن الفالج يبطل أحد شقي الجسم طولا (٣)، أضف إلى ذلك أن البوصيري نفسه يبدي عجبه ودهشته من كثرة أولاد هذا المريض غير القوّام ، فكيف يسوغ لنا بعد هذا الاعتراف من صاحب المرض ، أن نرد اعترافه ، ونجعل من أنفسنا طبيباً يعالج البوصيري ، بعد ثمانية قرون من وفاته ، ونحكم عليه بالعقم ؟

جـ ـ وأمّا ما استشهد به من رواية الهيتمي ، فنرده من جانبين : الأول أنه لا مانع من كون البوصيري قد بريء من فالجه بعد إنشادها ، ثم أصيب برمد بعد ذلك وأنشدها ثانية ، فكانت له كرامة أخرى ، وبريء ثانية ، هذا إن صحت رواية الهيتمي رجل القرن العاشر ، والتي لم يذكرها صاحب « الفوات » عندما ذكر قصة الفالج وهو من رجال القرن الثامن ، وأقرب عهداً إلى البوصيري ، ويكاد يكون معاصراً له خاصة وأن الرواية تشير إلى الرمد بعد النظم ولا تحدد زمناً ، أو تنفي حادثاً . والثاني : أن رواية ابن حجر الهيتمي

---

(١) ديوان البوصيري ، ص : ٢٧ .
(٢) المصدر السابق ، ص : ٢٧ ـ ٢٨ .
(٣) انظر : المعجم الوسيط : (فلج) .

منوطة بـ (قيل) ، ورواية ابن شاكر الكتبي مصدّرة بـ (قال البوصيري) ، والفرق بينهما فرق بين الظن واليقين ـ هذا إذا سلّمنا بأن رواية الهيتمي دليل ينفي حادثة الفالج ـ ولا يجوز لنا بعد ذلك أن نقول : « وإذا أخذنا بما يرويه ابن حجر ، انتهينا إلى أن البوصيري لم يصب بفالج ، وأن ما يقال من أن النبي ﷺ ألقى عليه بردة لم يحدث قط »[1] .

هذا ما يخص فالج البوصيري .

أما فالج الحلي : فقد كان للدكتور سلطاني وقفة هادئة عنده ، وإن كنا لا نوافقه عليها .

فهو يرى أن الصفي الحلي عندما عزم على تأليف كتاب في البديع « اختار الطريق الأسهل ، وقد وجده معبّداً من قبل الإربلي (ت ٦٧٠ هـ) لنظم ما امتلأت به حافظته ونفسه بعد أن ازدحم ذهنه بحصيلة سبعين كتاباً في البديع »[2] .

ويرى أيضاً أن غايته كانت علمية صرفاً « ولا صحة للحافز الديني في مديحه النبوي بدليل أنه انتظر حتى أنهى قراءة كتاب (تحرير التحبير) لابن أبي الإصبع الذي لم يؤلفه صاحبه إلا بعد الوقوف على أربعين كتاباً في هذا العلم ، كما انتظر حتى اطّلع على ثلاثين كتاباً مما لم يقف عليه ابن أبي الإصبع مما كان قبله ، وما ألف بعده »[3] .

والحق أن هدف الصفي الحلي كان في بدايته علمياً ، ولم يخفِ ذلك ، بل عبّر عنه بقوله : « وعزمت أن أؤلف كتاباً أحيط بجلّها ، إذ لا سبيل إلى

---

(١) ديوان البوصيري ، ص : ٢٨ .
(٢) البلاغة العربية في فنونها (د. سلطاني) ، ص : ١٨ .
(٣) البلاغة العربية في فنونها ، ص : ١٨ .

الإحاطة بكلها »(١) . ، وهذا كان قبل مرضه ، والتحول عن ذلك إلى المدحة النبوية .

إلا أننا لا نستطيع أن نتجاهل الحس الديني في بديعيته ، إذا تجاهلنا اعترافه بقصده مديح محمد ﷺ بعد أن رآه في المنام يتقاضاه المديح ، فعدل عن تأليف الكتاب « إلى نظم قصيدة تجمع شتات البديع وتتطرز بمدح مجده الرفيع »(٢) .

فقصيدته ـ على وعورة مسلكها المشروط بجعل كل بيت شاهداً على نوع من أنواع البديع ـ جاءت واضحة سهلة ، فرضت الاعتراف بذلك على ابن حجة في معرض افتخاره ببديعيته ، ومقارنتها ببديعيتَي الصفي الحلي والموصلي ، فقد اعترفَ بأنه عزم على مجاراة « الحلي برقة السحر الحلال ، الذي ينفث في عقد الأقلام »(٣). وعندما افتخر بتفوقه على كلتا البديعيتين لم يزد على قوله : « وجاريت الصفي مقيّداً بتسمية النوع ، وهو من ذلك محلول العقال »(٤)، فالمجاراة، والمجاراة فقط ، غاية ما وصل إليه ابن حجة أمام بديعية الصفي الحلي .

وأمّا ما قيل من أنه انتظر حتى قرأ سبعين كتاباً ، ثم اختار الطريق الأسهل فعمد إلى نظم قصيدة ، هرباً من تأليف كتاب ، فإننا نرى هذا إجحافاً بجهد الصفي المبذول ، وهدراً لقيمة عمله .

فهو لم يكن مبتدئاً في قضية التأليف ، والمصادر تذكر لنا غير كتاب ألفه الصفي إضافة إلى شاعريته التي لا تنكر ، والتي ربما جعلته شاعر عصره .

---

(١) شرح بديعية الصفي له (النتائج الإلهية) ، ص : ٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص : ٢ ـ ٣ .
(٣) خزانة الأدب (ابن حجة الحموي) ، ص : ٣ .
(٤) المصدر السابق .

وإن كان فرّ من التأليف إلى النظم ، فإنه لم يكتف بالنظم وحده ، بل عكف على المنظوم وجعله منثوراً في كتاب حبّره في شرح تلك القصيدة ـ والكتاب مطبوع ـ وسمّاه « النتائج الإلهية في شرح الكافية البديعية » ، وبهذا يكون قد حمّل نفسه عناء النظم ، ومخاض التأليف ، فكيف نسمح بعد ذلك بأن يقال : إنه هرب من التأليف واختار الطريق الأسهل المتمثل بالنظم ؟!

* * *

وفوق ذلك كله ، يبقى اعتراف كل من الشاعرين قائماً ، ولا نملك مسوّغاً واحداً يحملهما على وضع هذه القصة، لما يتمثل به كلا الشاعرين من أخلاق دينية ـ وربما صوفية ـ واضحة ، ظاهرة في ديوانيهما من مدائح نبوية ، ومن سلوك في المجتمع . فلو فرضنا جدلاً أنه ربما فعل ذلك الحلي مقلداً للبوصيري لما رآه من شهرة نالها ، فإننا لن نجد مسوّغاً واحداً يحمل البوصيري على ذلك ، وإن كنا لا نملك سوى هذا الاعتراف دليلاً على مرض هذين الشاعرين ، فإننا لا نملك أيضاً ـ إلى الآن ـ دليلاً علمياً ينفيه وعليه يبقى الاعتراف قائماً ما لم يدفع ببرهان .

وقد سبق للدكتور زكي مبارك أن نفى فالج البوصيري ، وهزىء من استطبابه بقصيدة قائلاً : « فليس من المعقول أن يبرأ مريض من مرضه لآية يتلوها ، أو قصيدة ينشدها كما بريء البوصيري بقصيدته ، ولو مرض مفتي الديار المصرية ـ لا سمح الله ـ ما استغنى بالبردة عن الطبيب »[1] .

ولكنه استدرك موقفه هذا بعد فترة ، عندها أصبح الشك يقيناً في نفسه ، وأثبت هذا اليقين في حاشية الصفحة التي كان الهزء فيها ، معترفاً بصحة ذلك بقوله : « كذلك قلنا في كتاب (الموازنة بين الشعراء) ، ونرى الآن أن البوصيري صادق في رؤياه ، لأن قوة الإيمان تؤثر أبلغ التأثير على الجسم ،

---

(١) المدائح النبوية في الأدب العربي ، ص : ١٤٨ .

ولاسيّما إذا تذكرنا أنه لم يزد على أن قال : إنه وجد في جسمه نهضة ، وذلك أقلّ ما ينتظر لرجل مؤمن يرى الرسول في المنام ، ويسمع منه كلمات التشجيع »[1] .

فأنت ترى كيف تراجع عن رأي ثبت له فساده دونما حرج ، ونعمّا فعل .

ثم إن شفاء البوصيري من مرضه هو في حيّز الممكن ، وليس في حيّز المستحيل أضف إلى ذلك أن القصيدة تبدو من خلال قراءتها وطولها وكأنها قد نظمت على فترة متراخية ، ولم تكن بنت ساعتها ، فلو كانت نتيجة مرض يرجى البرء منه ـ كالكسر مثلاً ـ لما احتاج الشاعر إلى هذا الطول ، ولكن يبدو أنها نظمت مع تطاول مدة المرض ، ودخول اليأس من الشفاء إلى نفس المريض .

أضف إلى ذلك أن الشفاء قد لا يكون بسبب إنشاد (البردة) ، إنما بسبب الاستعداد النفسي عنده ، فهو رجل منتظر للشفاء ، يسعى إليه بكل الوسائل فوصل إلى مرحلة يجوز معها أن يجد في نفسه (نهضة) .

ومن مثل حادثته نجد الكثير في كتب التراث ، كشفاء لعلوية الزَّمِنَة[2] ، وعودة بصر يعقوب الفسوي[3] .

بعد وقفتنا هذه ، التي ما كانت إلا للصلة الوثيقة بينها وبين نشأة (البديعيات) ولما قيل في ذلك من ضعيف البراهين ، فإننا نرجو أن نشير إلى أن ما نريده من حادثتي المرض إنما هو وجود علاقة تأثير وتأثر بين البوصيري والصفي الحلي سواء مرض أحدهما أو كلاهما ، أو تمارض ، ومن هنا نؤكد ثانية علاقة (البديعيات) بالمدائح النبوية ، لا كما يتخبط به صاحب « الصبغ البديعي » بين إثبات العلاقة ونفيها ، فتارة يقول : « فليس بكثير على الحلي إذن

(١) المدائح النبوية في الأدب العربي ، حاشية الصفحة ١٤٨ .
(٢) انظر : نشوار المحاضرة (للتنوخي) : ٤ /١٥٩ ـ ١٦٢ .
(٣) ينظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء للذهبي ، الجزء الثالث عشر ، وهو قيد الطبع .

أن يكون سبّاقاً إلى فن جديد هو فن (البديعيات) الذي أحدثه في الشعر العربي ، وساعده على إبرازه (بردة) البوصيري التي حاكى وزنها ورويها وغرضها ، وأربى عليها في الاحتفال بالبديع »[1] . وأخرى يتراجع عن معرفته هذه ، ويتقعّر على عادته في كتابته ، ويخاطب القارىء بـ « أنك رأيت أن الدكتور زكي مبارك مسرف في دعواه حينما زعم أن (البديعيات) متفرعة عن المدائح النبوية ، فقد رأيت أن موضوع قصيدة السليماني في مدح غير نبوي »[2] ، ولا نكاد نجد واحداً عارض السليماني المذكور ، بينما صرّح معظمهم بمعارضة الصفي الحلي المبتدع .

ورأيه هذا كمعظم آرائه عندما يتحدث عن (البديعيات) ، لا يثبت للنظر ، وسيكون لنا وقفة عند معظم هذه الآراء ـ إن شاء الله ـ .

* * *

وتجدر الإشارة هنا ، وقبل مغادرة هذا البحث إلى أن بعض أصحاب (البديعيات) الذين جاؤوا بعد الصفي الحلي قد أشار إلى رؤية النبي ﷺ في المنام ، واتخذ من تلك الرؤية دافعاً ومحرضاً قوياً على نظم بديعيته ، تماماً كما حصل للصفي الحلي ، والبوصيري قبلهم ، على خلاف في الحالة المرضية فقط ، ولعل هذا يوضح لنا استمرار اقتران (البديعيات) بالنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبمديحه . فشعبان الآثاري مثلاً في مقدمة بديعيته « العقد البديع » وهي كبرى بديعياته يقول : « فلما أردت الشروع في نظم هذا العقد البديع وجدت الفكر غير قابل أن يطيع ، فصرت أستشكل أمراً وأستسهل أمراً ، وأقدم رجلاً وأؤخر أخرى ، لأن هذا مقام لا يناله إلا من حصلت له إشارة ، وكان من أهل البراعة والعبادة ، فأقمت قرب السنة ولم أظفر بمطلع يبرز إلى

(١) ص : ٣٧٦ .
(٢) ص : ٣٧٨ .

الظاهر مني ، ولا ببيت يأخذه بعض الأصحاب عني فجرت لذلك عَبرة العين ، ولم أعرف السبب في ذلك الحجاب من أين . فوقفت على باب الله تعالى خاشعاً باكياً متضرعاً داعياً راجياً من فضله العميم تيسير هذه المسالك ، وسألت النبي ﷺ في المساعدة على ما هنالك . . . . ونمت فرأيت في المنام خير الأنام وقد جعل لي ساعداً أبيض غير ساعدي اليمين الأول ، وحين انتبهت قيل لي : إنه لك بالمساعدة مؤول ، فأصبحت فرحاً مسروراً ، وعلى جيش القوافي مؤيداً منصوراً »[1] .

وقريباً من هذا أشارت إليه الباعونية في مقدمة بديعيتها وفيه ما فيه من دلالة على المدد النبوي الذي كان يختلج في ذهن ناظمي (البديعيات) .

أسباب نشأة البديعيات :

ما من شك في أن (البديعيات) لم تكن طفرةً بنتَ ساعتها ، بل كانت وراءها مسببات، وظهرت لها اعمال تفاعلت وتكاملت حتى أخرجتها إلى النور لتكتمل بعد ذلك خلقاً سوياً .

وجدير بالذكر أن هذه الاعمال وتلك الدوافع التي امتدت جذورها في عمق التراث والبيئة فتمكنت بها ، ثم بدأت بالظهور والتحريض على نشأة هذا الفن الذي يتناسب مع اعمـاله ، ويكون نتيجة طبيعية لدوافعه ، ثم إن هذه الدوافع لم تتوقف مع ظهور هذا الفن ، إنما استمرت خيوطاً واضحة تغذّيه وتنميه ، وتساعد على استمرار رحلته في تراث هذه الأمة .

وقد حاولت رصد هذه الدوافع المكنونة وراء (البديعيات) ، من خلال ما عثرت عليه من نصوص لها ، وإشارات تؤيد ذلك وتشد من أزره ، وعرضتها ليزداد الباحث معرفة وخبرة في هذا الفن . وربما تدافعت الأسباب

---

(١) العقد البديع في مديح الشفيع (شعبان الآثاري) : ٣ /ب ـ ٤ /آ .

حول أسبقية الترتيب ، لشدة تلازمها وترافقها في دفع هذا الفن إلى الظهور وحيّز الوجود ولذلك فإن تقدُّمَ سبب وتأخُّرَ غيره ربما كان أحق بالأسبقية ، لا يعني أبداً التغيير في النتيجة أو الموقف . وقد تمثلت تلك الدوافع في الأمور التالية :

١ - الرغبة في التأليف البلاغي (البديعي) :

إن هذا السبب لا يكاد يخفى ، فقد صرح به الحلي ناظم أول بديعية في مقدمة شرحه لها ، وقد كانت غايته الأولى تأليف كتاب يضم انواع البديع التي اجتمعت لديه من قراءاته ، والتي استخرجها بنفسه وارتضاها ، لولا حيلولة المرض بينه وبين ما أمّل ، وقد أشرنا إلى ما يؤيد هذا عندما تحدثنا عن علاقة البديع (بالبديعيات) ، فمن مكرور القول إن أفضنا به هنا ثانية ، ولكن نذكّر بنصه الذي جاء في المقدمة ، بعد أن عرض مصادر مادته التي اجتمعت في ذهنه ، فقد قال : « فجمعت ما وجدت في كتب العلماء ، وأضفت إليه أنواعاً استخرجتها من أشعار القدماء ، وعزمت أن أؤلف كتاباً محيطاً بجلها إذ لا سبيل إلى الإحاطة بكلها » . وفي هذا القول ما فيه من دلالة وبرهان ، يتضح فيه الرغبة والعزم على التأليف في البديع قبل كل شيء ، وربما لم تكن فكرة نظم الأنواع في قصيدةٍ قد اختلجت في ذهن الصفي الحلي أو داعبت أفكاره ، وإن كان مسبوقاً إلى مثل ذلك من قِبل أمين الدين الإربلي وحتى ابن معطي ، اللذين سيأتي الحديث عنهما . ولم يكن هذا دأب الصفي الحلي وحده ، إنما كان دأبَ كل من سار بعده على نهجه ، وحسبك ما أضيف إلى (البديع) من أنواع جديدة في (البديعيات) المتتالية[١] ، دليلاً على وجود هذه الرغبة وصدقها .

٢ - الرغبة في مدح النبي محمد ﷺ واجتماعها مع رغبة التأليف :

لعل بذور هذه الرغبة قد غُرست في وهمك عند قراءتك للحديث عن

---

(١) انظر الفصل الأخير من هذا البحث : أثر البديعيات في البلاغة .

علاقة المدائح النبوية (بالبديعيات) ، ومراجعة نص الصفي الحلي أيضاً الذي جاء في مقدمة شرحه بعد نصه والذي يجلي هذه الحقيقة ويوضحها ، إذ يقول : « فعرضت لي علة طالت مدتها ، وامتدت شدتها ، واتفق لي أني رأيت في المنام رسالة من النبي عليه السلام ، تتقاضاني المدح ، وتدني البرء من الأسقام ، فعدلت عن الكتاب إلى نظم قصيدة تجمع شتات البديع ، وتتطرز بمدح مجده الرفيع ، فنظمت مئة وخمسة وأربعين بيتاً من بحر البسيط . . »[1] .

فقد اجتمع للحلي سببان حملاه على نظم أول بديعية ، وكل منهما كان رديفاً للآخر رغبة التأليف لما يختزنه صدره من فنون بديعية يريد أن يترجمها إلى علم مكتوب ورغبة الاستجابة إلى مدح الرسول الكريم ﷺ أملاً بنيل الشفاء والخلاص من مرض عضال ألمّ به ، تماما كما حصل لسابقه البوصيري .

ويمكننا أن نلحظ هذا النازع الديني ـ وإن لم يصبح مقصوداً تماماً فيما بعد . عند جميع أصحاب (البديعيات) فجلّهم من الصوفية ، وحتى أصحاب (البديعيات) من النصارى الذين جاؤوا في مرحلة متأخرة ، نلاحظ عندهم ، وبوضوح ، بروز النازع الديني ـ وربما تطرفه أحياناً[2] ـ ، وبذلك تتكاتف رغبتا التأليف والمديح النبوي لتساعد على ظهور (البديعيات) ومن ثم استمرارها .

٣ ـ اجتماع الشاعرية والتأليف عند الناظم :

إن نظرة عامة فاحصة إلى ناظمي (البديعيات) ، بدءاً من الصفي الحلي أولهم وانتهاء بآخرهم ـ فيما أعلم ـ تجعلنا نستنتج شيئين اثنين :

آ ـ أن ناظمها شاعر مقتدر ، عرك القوافي وعركته ، وتمرس بها فانقادت

(١) شرح بديعية الصفي له (النتائج الإلهية) ، ص : ٢ ـ ٣ .
(٢) كما جاء في بديعية إبراهيم خيكي مثلاً .

له ، وظهر شعره للناس بثوب القبول والاستحسان ، وناظمو (البديعيات) لا نكاد نجهل أحداً منهم ، بل نكاد نضع معظمهم في المراتب الأولى ، فالصفي الحلي ، وشعبان الآثاري ، وابن حجة الحموي ، وعائشة الباعونية ، والجلال السيوطي ، وعبدالغني النابلسي ، وناصيف اليازجي . . وغيرهم ، كانت لهم دواوين شعر كبيرة معروفة ، إلى جانب قصائدهم البديعية فلم يقتصر نظمهم على البديعية وحدها ، أو بعض قصائد قليلة ، وإنما كانت تتويجاً لسلسلة أشعارهم وقمة بين أغراضهم الشعرية .

ب ـ أن ناظمها مؤلف ذو آثار مذكورة ، وهذه ملاحظة جديرة بالانتباه فلولا اجتماعها مع الشاعرية لما أنتجت بديعية مقبولة ـ ربما ـ ولكانت هذه المقدرة كتاباً مسطَّراً كغيره من الكتب ليس غير . ولكن وجود الشاعرية معها ساعدها وهيّأ لالتقائهما أن ينتج هذا الفن الطريف ، ومؤلفات الحلي ، وابن حجة وقاسم البكرجي ، والنابلسي ، وغيرهم[1] غنية عن التعريف والتعديد ، وربما كان يكفي معظم أصحاب (البديعيات) ـ إن لم نقل كلهم ـ ما ألفوه من شروح حول بديعياتهم ، ليشهد لهم بقدرتهم على التأليف ، وبأنهم مؤلفون ، إذ لا نكاد نجد الكثير من البديعيات التي لم يشرحها ناظموها ، لأنهم كانوا يلمسون ـ وهم الشعراء ـ ما يتخلل قصائدهم تلك ـ أحياناً ـ من عقادة وتكلف يحتاجان إلى توضيح ، فيعكفون عليها : شرحاً لها ، ودراسةً لما فيها من أنواع البديع ، وتمثيلاً واستشهاداً ، حتى أضحت شروحهم تلك معارض للأدب والبلاغة العربية ـ وهذا يشهد بغزارة ما يدّخرون ـ وسيكون لنا معه وقفة في فصل قادم[2] ـ إن شاء الله ـ .

---

(١) سيرد الحديث عن مؤلفات كل واحد من أصحاب البديعيات عند ذكر البديعيات وأصحابها بعد قليل .

(٢) انظر فصل : أثر البديعيات في الأدب ، من هذا البحث .

٤ ـ المرض ورقّة عواطف المريض :

لعل هذا السبب يقتصر على الصفي الحلي صاحب أول بديعية ، وقد سبقت الإشارة إلى مرضه الذي طالت مدته ، وامتدت شدته .

ونحن نعلم أن المريض يبحث عن دواعي شفائه أنّى كانت ، وكيفما تكون ، وتصبح روحه شفافة رقيقة ، تتقبل أي شيء فيه بصيص أمل بالشفاء ، وتتعلق به ، تعلّق الغريق بعود القش ، فكيف إذا كان المرض عضالاً ، والمريض مؤمناً لا يقنط من رحمة ربه وهو يعلم حادثة جرت لمريض مثله ، التجأ إلى الله ورسوله ، فوجد خيراً ، والدوافع الكامنة في نفسه لا تقل عن تلك التي عند البوصيري ، ومجموع هذه الأمور سيكون لها ـ بلا ريب ـ انعكاسات نفسية تهيّىء لطور الشفاء ، كما تجعل النفس أرق وأخشع على أعتاب بارئها .

ومن عادة الإنسان أنه ﴿ خُلِقَ هَلُوعاً * إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعا ﴾[1] ويعود إلى روحانيته ملتجئاً إلى الله تعالى عندما يتعرض لأي مكروه ، وهذا ما أشار إليه ربنا العليم . في سورة يونس[2] : ﴿ وإذا مَسّ الإنْسَانَ الضّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أو قائِما ﴾ .

فهذا التطلع الروحاني الإيماني إلى الله تعالى ، وهذه الرقة المتناهية لروح المريض ، إضافة إلى حس الشاعر المرهف ، والشاعرية القوية ، والمدّخر العلمي تفاعلت مجتمعة في نفس الشاعر ، وساعدت على ظهور أول بديعية للوجود .

٥ ـ السعي إلى الشهرة ، والرغبة في المعارضة ، وحبّ الظهور والتكثر :

إذا كان الشعراء قد تكاثروا حول لامية كعب بن زهير ، يعارضونها

---

(١) سورة المعارج: ٧٠ / ٢٠ ـ ٢١ .

(٢) ١٠ / ١٣ .

ويقتفون أثرها ، وإذا أعجبوا بتائية دعبل :

مَدارِسُ آياتٍ خَلَتْ مِنْ تِلاوَةٍ   وَمَنْـزِل وَحْيٍ مُقْفِرِ العَـرَصَاتِ

وإذا قرّظوا كافية الشريف الرضي :

يا ظَبْيَةَ البانِ تَرْعَى فِي خَمَائِلِهِ   لِيَهْنِكِ اليَوْمَ أَنَّ القَلْبَ مَرْعَاكِ

فإن بردة البوصيري قد بزّت الجميع شهرةً وسيرورةً ودوراناً على الألسنة وفي المجالس .

وإذا كان هذا شأن البوصيري وبردته ؛ فلم لا يكون للحلي الشاعر المفلق المؤلف الأديب، مثل ذلك؟! ولِمَ لا يدخل إلى الشهرة من بابها الواسع؟ فلينظم قصيدة على غرار البوصيري، وليقتفِ أثر البردة في بحرها ورويّها وموضوعها ـ والعلة واحدة ـ وليضف على ذلك كله تضمين كل بيت من أبياتها نوعاً من أنواع البديع ، يكون البيت شاهداً له ، وبذلك ينال حُسْنَيَيْن : حسنى النظم والشهرة ، وحسنى التأليف ، والصفي الحلي معروف بمثل هذه الاعمال. . وكان له ما أراد.

ولم يكن هذا دأب الصفي الحلي وحده ، بل دأب جميع من نظم (البديعيات) بعده ـ تقريباً ـ إذ سعَوا سعيه ، واقتفوا أثره .

فهذا عزالدين الموصلي ـ وقد رأى ما وصلت إليه بديعية الصفي الحلي من شهرة . يعقد العزم على معارضته بقصيدة مثلها ، وليُصِبْ من ذلك مقتلاً ، وورّى باسم النوع في البيت ، إضافة إلى كونه شاهداً له .

وشعبان الآثاري لم يكتفِ ببديعية واحدة ، إنما أراد أن يدل بما عنده من مقدرة على مثل ذلك ، فنظم ثلاث (بديعيات) بلغ مجموع أبياتها نحواً من سبعين وثماني مئة بيت ، وإن كانت في معظمها معادة مكرورة الألفاظ والتراكيب ، وربما المعنى ، أما ابن حجة الحموي ، فقد صرح بمعارضة الصفي الحلي وعزالدين الموصلي معاً ، والبردة كذلك ، فقد أراد أن يجمع محاسن الثلاثة

ليبزّهم ويتفوق عليهم ، واسمعه يقول : « فهذه البديعية التي نسجتها بمدحه ﷺ على منوال طراز البردة ، كان مولانا . . . . محمد بن البارزي الجهني الشافعي صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية . . . . هو الذي ثقّف لي هذه الصعدة . . . . وما ذاك إلا أنه وقف بدمشق المحروسة على قصيدة بديعية للشيخ عزالدين الموصلي ، رحمه الله تعالى ، التزم فيها بتسمية النوع البديعي وورّى بها من جنس الغزل ، ليتميز بذلك على الشيخ صفي الدين الحلي ، تغمّده الله تعالى برحمته ، لأنه ما التزم في بديعيته بحمل هذا العبء الثقيل . . . . فاستخار الله . . ورسم لي بنظم قصيدة . . . . وقد صار لي فكرة إلى الغايات سبّاقة ، فجاءت بديعية هدمتُ بها ما نحته الموصلي في بيوته من الجبال ، وجاريت الصفي مقيداً بتسمية النوع ، وهو من ذلك محلول العقال »[1] .

وقد لاحظ عبدالغني النابلسي شهوة الشهرة عند ابن حجة ، وحبه للتقدم والتفوق ؛ فلم يعجبه ذلك ، وعقّب بقوله ، في مقدمة شرحه : « ثم جاء بعده العلّامة تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي ـ رحمه الله تعالى ـ فعارضه وجاراه ، وزاحمه فيما اقترحه واجتراه . . . . ثم شرح قصيدته شرحاً أخذ فيه بأذيال الإطالة وألبسه حلل السآمة والملالة ، واعترض فيه على القوم ، وقال لمتعصبي أفكاره : هلموا فاليوم اليوم ، وتشدّق في عباراته ، وأفحش في إشاراته ، مع ما في أبيات قصيدته من الركة والقلاقة . . »[2] .

ولنستمع ثانية إلى قول النابلسي متحدثاً عن سبب نظمه لبديعيته : « فعندما شاهدت هذه البديعيات الأربع[3] ، وطفقت أرتع بخيول الأفكار في

(١) خزانة الأدب ، ص : ٢ ـ ٣ .
(٢) نفحات الأزهار على نسمات الأسحار ، ص : ٤ .
(٣) البديعيات الأربع التي شاهدها النابلسي وذكرها هي : بديعية الحلي والموصلي ، وابن حجة ، والباعونية .

مسارحها وأربع وتأملت ما نقلوه في شروحها من العبارات والشواهد ، وما نبهوا عليه من الأغراض والمقاصد . . . . فجلت فيه بعون الله تعالى ، وإن لم أكن من فرسانه . . ونظمت هذه القصيدة الميمية المسماة بنسمات الأسحار في مدح النبي المختار ، على طريقة تلك القصائد »[1] .

ولم يكتفِ النابلسي ببديعية واحدة ، بل ثنّى بأخرى ، لتكون ثانية اثنتين إذ هما بينَ الناس ، إحداهما محلولة العقال من التورية باسم النوع البديعي في كل بيت . وما عمله هذا إلا مدعاة لإبراز ما في الجَعْبة ، ومزاحمة مناكب الفحول في سوق التفاخر والشهرة .

وحتى غلام علي آزاد ـ الهندي ـ سلك سبيل (البديعيات) عندما أراد الحديث عن أنواع البديع الهندي ، وصرّح عن ذلك بقوله : « وأنا سلكت منهج تقليدهم وسللت الهند بتأييدهم »[2] ، وقد كان قال قبلاً : « وأنا مشيت على آثار أصحاب البديعيات ، ونظمت قصيدة فائقة على الأزهار الربيعيات »[3] .

ومثل هذا التقليد ، وحب الظهور ، والجري وراء الشهرة ، كان موجوداً عند معظم أصحاب (البديعيات) ـ إن لم نقل كلهم ـ ويمكننا أن نلحظه بوضوح من خلال نصوص بديعياتهم أو شروحها .

وحقاً فإن (البديعيات) كانت مجال شهرة كبيرة لأصحابها ، ويكفيك من ذلك سيرورتها ، وانتقالها في جهات الدولة الإسلامية آنذاك ، من الشام إلى العراق إلى الأندلس مروراً بمصر والحجاز واليمن ، وتهافت الشعراء النصارى عليها بعد أن قام بها المسلمون ، وفوق ذلك حب أولي الأمر لها وطلبها من الشعراء ، فهذا ابن حجة الحموي يرسم له بنظم القصيدة صاحب ديوان

---

(١) نفحات الأزهار على نسمات الأسحار ، ص : ٤ .
(٢) سبحة المرجان (غلام علي آزاد) ، ص : ٢٢ .
(٣) المصدر السابق .

الإنشاء بالممالك الإسلامية ، وذاك إسماعيل بن المقرىء يلبي دعوة السلطان الملك الناصر أحمد بن إسماعيل بن العباس ، بمدحة نبوية بديعية على طريقة الصفي الحلي[1] . وكفى بذلك كله مشجعاً ودافعاً يحث الشعراء على ورود حوض (البديعيات) والتنافس عليه والنهل منه .

٦ ـ أثر المجتمع :

ويقترن بالسبب السابق دافع آخر ، هو تقبّل الناس والمجتمع لهذا الفن الجديد والاستبشار به ، والاحتفاء بأهله ، وقد مرّ قبل قليل طلب أولي الأمر له ، والحض عليه ، مما حدا بالشعراء ، وبطريقة غير مباشرة ، إلى الإقبال عليه ، والإدلاء بدلوهم في معينه ، عسى أن يحظوا بآذان الجمهور وقلوبهم ، خاصة إذا علمنا أن الشعراء كانوا عصرئذٍ يعيشون عيشة الغربة مع الحكام غير العرب في غالبيتهم فكانت مرحلة تقرّب الأديب من الشعب بعد أن أيس من الحكام الغرباء عن لغته والذين قد لا يجيدون نظم جملة عربية فصيحة واحدة ، وما كان ليهزهم قسّ ولا زهير ، بَلْهَ أن يهزهم شاعر أدنى منه ، لبعد ذوقهم عن فهم البلاغة العربية ، وجريهم وراء اللهجة العامية المبسطة ، مما كان له كبير أثر على نشوء الفنون الأدبية الشعبية ، من زجل ومواليا وغير ذلك .

وليت شعري ، فإن حالةً كهذه ، يصبح نصيب الفصيح فيها قليلاً عند السلطان ستدفعه ولا ريب إلى طبقات الشعب ممن يسمع ويفهم ويطرب لكل فصيح ، ليستطيع الظهور والشهرة بينهم ، وليضمن لأدبه سوقاً رائجة ، وتجارة لا تبور ، وكانت (البديعيات) عند كثيرين منهم مجالاً محموداً ، وحوضاً مورودًا ، فأقبلوا عليه غير مترددين أو متلكئين ، وكان لهم ما أرادوا بالفعل .

---

(١) انظر تفصيل هذا في (أثر البديعيات في النقد) من هذا البحث .

حد البديعيات :

يكاد المرء يدهش عندما يُفاجأ بأن هذا الفن الذي طرأ على فنون الشعر العربي ودام فترة طويلة ، وانتشر بين الشعراء على مختلف أرجاء الدولة العربية الإسلامية ، لم يوضع له تعريف ، ولم تحدد له أسس دقيقة مميزة يلتزم بها من أراد السير في ركابه ، ومن هنا وجدنا بعض (البديعيات) التي شذّت عن جماعتها من جانب أو آخر ، ومع ذلك فإننا عندما نستقريء جميع نصوص (البديعيات) ، وأخبار ما غاب عنّا منها ، فإننا نلحظ اتفاقاً شبه كامل على أسس ومباديء محددة ومميزة وواضحة على الرغم من فقدانها حدّاً .

ولعل أول من أطلق مصطلح (بديعية) على هذه القصائد ذات الصفات المميزة هو صفي الدين الحلي ، الذي أرسى دعائم هذا الفن ، ويبدو ذلك جلياً من خلال تسمية بديعيته فقط ، ودون إظهاره مصطلحاً ملزِماً ، فقد أطلق عليها اسم : « الكافية البديعية في المدائح النبوية » ، وربما أوضحت هذه التسمية أن مصطلح (بديعية) انطلق باديء ذي بدء من صفة طغت على القصيدة إلى مصطلحٍ واضح المعالم أصبح لا يطلق إلا على مثل تلك القصائد .

ثم رسَخ هذا المصطلح في أذهان الناس ونفوسهم ، واستخدمه ابن حجة الحموي ولأول مرة ـ فيما وقفت عليه ـ بعد الصفي الحلي قاصداً به ما وضع من أجله ، وذلك في تقديمه لبديعيته إذ قال : « وبعد ، فهذه البديعية التي نسجتها بمدحه ﷺ على منوال طرز البردة . . »[(1)] .

وبعد ذلك انتشر هذا المصطلح ، وعرفه الناس والشعراء ، وطفقوا يستخدمونه ويطلقونه على مثل تلك القصائد التي تنتظم في سلك هذا الفن .

ومع ذلك ، وعلى الرغم من انتشار هذا المصطلح وسيرورته ومعرفته ،

---

(1) خزانة الأدب ، ص : ٢ .

فإن أحداً لم يضع له تعريفاً واضحاً مميزاً وحَدّاً فاصلاً ملتزَماً ، إنما بقي مُتجاذَباً بين كل من أراد أن يلقي على هذا الفن نظرة ، أو أن يدلي برأيٍ فيه ، وحسبما يراه ويخمّنه هو ، وليس حسبما يقتضيه هذا الفن وقوامه (البديعيات) .

ولو عدنا إلى الوراء قليلاً باحثين عن مفهوم هذا المصطلح وملامحه عند العلماء والباحثين على مر الأيام وتوالي البدور لوجدنا في ذلك بعضاً من الاختلاط ، وشيئاً من عدم الوضوح أحياناً ، مع اتفاق حول المعالم الأساسية .

فصفي الدين الحلي يرسم معالم (البديعية) من خلال إعلانه عن مضمون قصيدته بقوله : « فنظمت مئة وخمسة وأربعين بيتاً ، من بحر البسيط ، تشتمل على مئة وخمسين نوعاً من محاسنه [أي البديع] . . وجعلت كل بيت منها شاهداً ومثالاً لذلك النوع »[1] .

إذاً قوام (البديعية) عند الصفي الحلي :

آ ـ أن تكون قصيدة طويلة .

ب ـ من البحر البسيط .

جـ ـ يشتمل كل بيت منها على نوع بديعي .

د ـ كل هذا مضاف إلى المديح النبوي .

أما ابن حجة فقد اكتفى بوضع الشروط التي يجب أن تتوفر في المقدمة الغزلية للبديعية والتي تنطبق على جميع المدائح النبوية بقوله : « إن الغزل الذي يصدّر به المديح النبوي يتعين على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدب ويتضاءل ، ويتشبب مطرياً بذكر سَلع ورَامة وسَفح العَقيق والعذيب والغُوير ولَعلع وأكناف حاجر ، ويطرح ذكر محاسن المُرْد والتغزل في ثقل الردف ورقة الخصر ، وبياض السلاق وحمرة الخد وخضرة العذار وما أشبه ذلك ، وقلّ من يسلك هذا الطريق

---

(١) شرح بديعية الصفي الحلي له (النتائج الإلهية) ، ص : ٣ .

من أهل الأدب »(١) . فابن حجة يضع شروط المقدمة الغزلية للبديعية ، ويتجافى قلمه عن تعريفها . وقُدّر لهذا التعريف أن يظل قلقاً حتى عند الباحثين المحدثين .

فالدكتور زكي مبارك يتعرض لوضع تعريف للبديعيات ، وهو يتحدث عن أثر (البردة) فيقول : إن ابن جابر « قد شغل نفسه بمعارضة البردة ، ولكن أي معارضة ؟ لقد ابتكر فناً جديداً هو (البديعيات) ، وذلك أن تكون القصيدة في مدح الرسول ، ولكن كل بيت من أبياتها يشير إلى فن من فنون البديع »(٢) .

أما محمود رزق سليم فيرى أن (البديعيات) فن شعري جديد ، بزغ نجمه ، وتألق ضوءه في القرن الثامن الهجري ، ويرى أن « القصيدة البديعية : منظومة يتوخى فيها الناظم أن يُضمّن كل بيت من أبياتها لوناً من ألوان البديع أو أكثر ، وهذه هي السمة الأولى الأصيلة في كل بديعية »(٣) .

ويكتفي صاحب « كشف الظنون » بالقول ـ في معرض حديثه عما ألف في البديع : « ومنها بديعيات الأدباء ، وهي : قصائد مع شروحها »(٤) .

وكفى الله الباحثين السؤال !!

ويبدو أن (البديعية) كانت تعني عند الدكتور عمر فروخ : المدحة النبوية ، ففي حديثه عن الشاب الظريف (ت : ٦٨٨ هـ) يقول : « وله شيء من البديعيات في مدح الرسول »(٥) . وكذلك يقول في ترجمة القاسم بن علي بن

(١) خزانة الأدب ، ص : ١١ .
(٢) المدائح النبوية في الأدب العربي ، ص : ١٦٩ .
(٣) عصر سلاطين المماليك (محمود رزق سليم) : ٦ / ١٥٧ .
(٤) ١ / ٢٣٣ .
(٥) تاريخ الأدب العربي : ٣ / ٦٥٦ .

هُتَيْمل (ت : قبل ٧٠٠ هـ) : « وله بديعية في مدح الرسول »[١] . فإذا انتقلنا معه إلى صفي الدين الحلي نراه يحافظ على هذا المفهوم فيقول : « وإذا نحن استثنينا البوصيري ، كان صفي الدين أول من قصد نظم البديعيات (القصائد في مدح الرسول) أو جعل منها فناً قائماً بنفسه على الأصح »[٢] .

ولم نعدم رأياً للدكتور أحمد موسى في « صبغة البديعي » يشير من خلاله إلى ما نحن بصدده ، ففي معرض حديثه عن تطور البديع إلى حد أصبح فيه متكلّفاً ممجوجاً ، بلا شاعرية تحس منه سوى التفاعيل ، وجد ذلك ممثلاً في « القصائد التي اشتمل كل بيت منها على لون أو أكثر من ألوان البديع ، تمثيلاً فقط ، أو مضموماً إليه التزام التورية باسمه ، وهذه هي التي وقع عليها اسم البديعيات »[٣] . .

وكان للدكتور محمود الربداوي وقفة مع الصفات التي تتمتع بها جميع (البديعيات) فوجد « أنها تتمتع بصفات أربع رئيسية :

١ ـ نظمت في مدح الرسول ، ﷺ .

٢ ـ اختار الشاعر لها البحر البسيط .

٣ ـ جعل القافية ميمية .

٤ ـ ضمّن كل بيت فيها نوعاً من أنواع البديع ، وقد يصرح باسم هذا النوع أحياناً وقد لا يصرح في الأحيان الأخرى »[٤] .

واقتصر د. شوقي ضيف[٥] على تكرار ما ذكره الصفي الحلي عن بديعيته في مقدمة شرحه لها .

---

(١) المرجع السابق : ٣ / ٦٩٢ .
(٢) تاريخ الأدب العربي : ٣ / ٧٧٣ .
(٣) الصبغ البديعي (أحمد إبراهيم موسى) ، ص : ٣٧٢ .
(٤) ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً ، قيد الطبع .
(٥) البلاغة تطور وتاريخ (شوقي ضيف) ص : ٣٦٠ .

أمّا د. محمد زغلول سلام فيرى شيئاً يضارع مفهوم د. مبارك إذ يقول ، في سياق حديثه عن (البردة) : « وسار كثير من شعراء العصر على أثر البردة ، فاحتذاها وعارضها جماعة من الشعراء ، وتناول معانيها وأسلوبها جملة ممن اهتموا بالمديح من بعد كالخيمي ، وصفي الدين الحلي ، وابن جابر الأندلسي الضرير ، .. وابن حجة الحموي . ولكن صفي الدين الحلي ومن تبعه انتهجوا نهجاً جديداً في مدائحهم إذ طرّزوها بالبديع ، وأسموها : البديعيات ، ضمّنوا كل بيت فيها نوعاً من البديع ، فجعلوها مديحاً ومتناً في علم البديع معاً »[1] .

وأطال الوقفة عند (البديعيات) قليلاً الدكتور سلطاني في كتابه « البلاغة العربية في فنونها »[2] ، فتحدث عن أزمانها ، وعددها ، وغايتها ، وطرائقها ، وموضوعاتها ، وبحورها ، وكأنه تمثل ما جاء في « الصبغ البديعي » ، إلا أنه اجتزأ بما ذكره عن تعريفها فلم يضع لها تعريفاً .

ولهلال ناجي مفهوم أيضاً (للبديعيات) عبّر عنه وهو يقدّم لـ « بديعيات الآثاري » بقوله : « كانت بردة البوصيري في مدح الرسول ﷺ منعطفاً ضخماً في تاريخ الشعر العربي ، وقد اندفع إلى محاكاتها وزناً ورويّاً وغرضاً عدد كبير من شعراء العربية عبر العصور ، مع احتفالهم بالبديع ، فأُطلق على قصائدهم هذه اسم : البديعيات »[3] .

* * *

ولو جئنا بهذه الأقوال ، وعرضنا عليها ما بين أيدينا من (البديعيات) ، محاولين المطابقة بين التعريف والمعرّف به ، لوجدنا هذا التعريف يضيق تارة ، ويتّسع تارة أخرى ، وفيما بين هذا وذاك يشذّ عدد من البديعيات ويخرج عنه .

---

(١) الأدب في العصر المملوكي (محمد زغلول سلام) : ١ / ٢٣١ .
(٢) ص : ١٣ ، وما بعدها .
(٣) بديعيات الآثاري ، ص : ٦ ـ ٧ .

إذ لا تُعدُّ كلُّ قصيدة تضمّنت نوعاً من أنواع البديع في أبياتها بديعية ، كما فعل غير واحد[1] عندما جعلوا قصيدَتَيْ أمين الدين الإرْبِلي ، وعبد علي بن ناصر الحوزي ، وقصيدة ابن نباتة المصري التي مطلعها :

صَحَا القَلْبُ لولا نَسْمَةٌ تَتَخَطَّرُ وَلَمْعَةُ بَرْقٍ بالفَضَا تَتَسَعَّرُ[2]

جعلوا هذه القصائد من (البديعيات) ، فلو قبِلنا ذلك لاضطررنا إلى إدخال الكثير من القصائد والمقطّعات والأبيات التي قيلت في عصر الدول المتتابعة ـ وربما في غيره ـ ضمن سلك هذا الفن ، لأنها لا تكاد تخلو من نوع بديعي في كل بيت من أبياتها .

أمّا أنها قصيدة على بحر البسيط ، ورويِ الميم ، فهذا تشذُّ عنه غيرُ واحدة من (البديعيات) .

وأن تقتصر البديعية على مدح النبي ﷺ فهذا يعني أن ندخل جميع المدائح النبوية في عقد (البديعيات) ، كما فعل د. فروخ ، وبالنتيجة فأين هذا الفن الجديد ؟!

ومن هنا ، وبعد استقراء (البديعيات) التي بين يديّ ، واستقراء ما قيل حول بعض المفقود منها ، وجدت أنه من الصعوبة بمكان أن نطلق تعريفاً واحداً يحتضن جميع (البديعيات) ، لا تخرج عنه واحدة ، ولم يشذّ عنه شاعر ، ولذلك أرى أن يكون لمصطلح (البديعية) تعريفان اثنان لا واحد ، أحدهما عامّ ، يشمل جميع (البديعيات) على شيء من التعميم الذي يخرجه عن دقة التحديد ، والآخر خاص دقيق ، يضم التعريف الصحيح للبديعية كما أُريد لها أن تكون ، وكما سار عليه معظمهم ، لا كما آلت إليه عند بعضهم .

---

(١) من مثل صاحب (الصبغ البديعي) . انظره ، ص : ٤٥٣ .
(٢) ظهر الإسلام (أحمد أمين) : ٤ / ٢٠٢ .

١ ـ التعريف العام لـ (البديعية) :

البديعية : قصيدة طويلة ، في مدح نبيٍّ ـ ونادراً غيره ـ يتضمن كل بيت من أبياتها نوعاً من أنواع البديع ، يكون هذا البيت شاهداً عليه ، وربما وُرِّيَ باسم النوع البديعي في البيت نفسه في بعض القصائد .

وعلى هذا الحد : يمكننا إدخال جميع (البديعيات) ضمنه ، دون أن نشير إلى (بديعيات) مخالفة .

٢ ـ التعريف الخاص :

البديعية : قصيدة طويلة ، في مدح النبي محمد ﷺ ، على بحر البسيط ، وروي الميم المكسورة ، يتضمّن كل بيت من أبياتها نوعاً من أنواع البديع ، يكون هذا البيت شاهداً عليه ، وربما وُرّي باسم النوع البديعي في البيت نفسه ، في بعض القصائد .

ونتجنب اعتراض سائل ، بتوضيح الفرق بين هذين الحدّين للبديعية، فنقول : إن التعريف الثاني : مخصص مقيّد ، ليخرج القصائد ذات الأبيات القليلة أولاً ، ثم ليخرج القصائد التي قيلت في مدح غير رسول الله محمد ﷺ والتي جاءت في مرحلة متأخرة وعلى ندرة ، وبعد ما لا يقل عن أربعة قرون ونصف[1] ، ولينحّي القصائد التي كانت على غير روي الميم المكسورة والبحر البسيط ، مما جاء شاذاً عن الأصول الأولى (للبديعيات) ، وإن كانت كل تلك القصائد تدخل ضمن (البديعيات) عندما تعد من شذوذ القاعدة في بعض جوانبها ، ونتيجة لمرور الأَهِلّة عليها .

وهذا التعريف ، على تقييده وإخراجه لهذه (البديعيات) المخالفة ، فإنه

---

(١) وقد أثبت هذه البديعيات في مكانها من هذه الدراسة لتوضيح التطور التاريخي للبديعيات ، إلا أنني لن أثبتها في « ديوان البديعيات النبوية » الذي أعده للطبع قريباً إن شاء الله تعالى .

يحتضن معظم (البديعيات) على اختلاف عصور الأدب العربي ، منذ نشأتها وإلى أيامنا هذه ، وهذا ما حملني على وضع حدّين اثنين للبديعيات ، الأول يشملها بعجرها وبجرها ، صحيحها وشاذّها ، والآخر يختارها على أصالتها ، وعلى الوجهة الأساسية التي انطلقت منها (البديعيات) وسار عليها غالب شعرائها فيما بعد .

فإن شئت بعد هذا التوضيح أن تنحي التعريف العام جانباً ، وتقبل التعريف الخاص فقط ، معتبراً ما خالفه من البديعيات من شواذ القاعدة ، فنعما اخترت ، وهو المراد .

ويمكن لنا أن نستخلص من تعريف البديعية ، الأسس والمقومات ، والغاية ، والموضوع ، التي بنيت عليها هذه المنظومة :

فأسسها ومقوماتها :

١ ـ البحر البسيط .

٢ ـ روي الميم المكسورة .

٣ ـ أن يكون في كل بيت من أبياتها نوع بديعي ، وأن يكون البيت شاهداً له .

٤ ـ أن تكون ، فوق ذلك كله ، قصيدة طويلة جداً ، لا تقل عن مئة بيت(١) .

وغايتها وموضوعها :

هي مديح النبي محمد ﷺ وأصحابه الأبرار ، وهي غاية روحية ، وغرض شعري معروف ، ومع ذلك تعداد أنواع البديع التي حصلت عند ناظم

---

(١) ندر أن توجد بديعية دون المئة بيت ، باستثناء بديعية طاهر الجزائري وعذره فيها أنه التزم بأنواع كتاب « التلخيص » . أمّا بديعية الجلال اليمني فلا نستطيع الجزم بأنها كاملة لاحتمال أن يكون المترجم له الذي ذكرها ضمن ترجمته قد حذف منها قسماً .

البديعية ، وهو غرض علمي ، فهي من هذه الوجهة ، كما قال د. سلطاني : « شبيهة بالمنظومات العلمية ذات الغاية التعليمية ، كألفية ابن مالك وغيرها » ، ثم استدرك ليوافق الغاية الأولى بقوله : « غير أن بينها [أي بين المنظومات التعليمية] وبين البديعيات فرقاً أساسياً : ذلك أن البديعيات كانت بالإضافة إلى مضمونها العلمي ، تقصد إلى التعبير عن غرض شعري هو المديح ، وخاصة حين يكون هذا المديح نبوياً ، فإن مشاعر التأثر والشوق قد تغلب على الشاعر ، فتقترب القصيدة أشد ما يكون الاقتراب من ميدان الشعر »(١) .

وأرى أن غاية البديعية وموضوعها لا يخرجان عمّا ذكرت من المديح النبوي والهدف العلمي ، لا كما أشار د. سلطاني(٢) إلى موضوعاتها حيث توزعتها عنده ثلاثة اتجاهات :

١ - في المديح النبوي .
٢ - في مديح غير نبوي ، وفيه بديعيتان .
٣ - في مديح عيسى عليه السلام .

فأنا أرى أن القصائد التي مُدِح بها عيسى ، عليه السلام ، من (البديعيات) المخالفة ، وقد نضمّها تحت المديح النبوي إذا لم نقصد الدقة والتخصيص ، وقصدنا التعميم . أما المديح غير النبوي فلا وجود له في (البديعيات) ، اللهم إلا تلك البديعية اليتيمة التي نظمها محمد بن محمد بن عبدالرحمن الهاملي في مدح شيخه أستاذ طريقته ولا أراها تستحق أن تشاطر غرض المديح النبوي ، ولم يذكرها د. سلطاني ، أما القصيدة التي ذكرها على أنها في مدح غير النبي ، فنحن لا نوافقه عليها ، إذ أننا لا نرى قصيدة الإربلي التي ذكرها الدكتور بديعية ، لأنها سابقة ومساعدة ، كما أنها خالية من جميع

(١) البلاغة العربية في فنونها ، ص : ١٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص : ١٥ .

أسس « البديعية » سوى أن كل بيت من أبياتها يتضمن نوعاً من أنواع البديع . وسيأتي فصل المقال في هذا بعد قليل ، إن شاء الله .

وأما القصيدة الثانية فلم تُذكر لنا ، ولا نعلمها ، إلا أن تكون قصيدة عبد علي بن رحمة الحوزي ، وتلك أيضاً لا مكان لها بين (البديعيات) ، للسبب ذاته .

وهكذا نرى أن موضوع (البديعيات) مديح نبوي عام ، وأن غايتها إضافة إلى ذلك ، تعداد أنواع البديع في أثناء تلك القصائد .

* * *

وقد أردت أن أذكر (البديعيات) المخالفة التي تخرج عن التعريف الخاص في فصل منفرد ولكنني آثرت تأخيرها إلى حيث أعدّد (البديعيات) عامة وتركتها ضمن سياقها التاريخي ، وعندها أشرت إلى المخالِفات منها ، نفياً للتكرار ، وحرصاً على الترتيب الزمني لهذه البديعيات .

* * *

و (البديعيات) على ذلك ، هي هذا الفن الشعري الطريف الذي بزغ نجمه في القرن الثامن الهجري ، وتلألأ على صفحات التراث في القرون المتتالية ، فجمع بين المتعة والفائدة ، ووافق بين الذوق والإحساس ، فلا نعدم فيه صورة جميلة ، أو أبياتاً رائعة ، أو تعبيراً عفوياً وعاطفة صادقة ، أو لمحة وجدانية معبّرة .

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن ذلك العصر الذي اكتمل فيه نمو (البديعية) كان عصر منظومات علمية تعليمية في شتى العلوم : النحو ، والصرف ، والعروض ، والفقه ، والأحكام . . وغير ذلك ، إلا أن تلك المنظومات كانت تُنحت من صميم الفكر وتُمزج بقوانين العقل ، وتصب في قوالب القواعد ،

دون التلوُّن بعاطفة ، أو الاقتران بغرض من أغراض الشعر المعروفة ، إذ الغاية كل الغاية أن تنظم المعلومات في تفعيلات شعرية يسهل على الناس حفظها . أما (البديعيات) فقد ضمّت الغرض الشعري ملوناً بعاطفة الشاعر وإحساسه وروحانيته ، إلى جانب الغاية العلمية ، وليت شعري مَن ذا الذي يقرأ بديعية الباعونية مثلاً وألفية ابن مالك ، ولا يجد مصداق ما أقول ؟!

وكلامنا هذا لا يعني أن نتصور البديعية تضج بالمشاعر الصادقة والأحاسيس المرهفة والعاطفة المتوقدة ، متناسين الخيط التأليفي الذي ينتظم كل بيت فيها ، والذي سيظهر على قسمات القضيدة شاء الشاعر أم أبى ، لأن الشعر شعور وليس قضايا علمية ، وقواعد . وإن كان بعضهم يرى أن « البديعيات منذ ولدت ، إلى أن قضت ، صناعة من العبث ، أضعفت من الشعر ، وهدّت من قوته ، وأزرت من مكانته ، وأوردته موارد التكلف والتعمل الثقيل »[1] ، فإنني لست أرى هذا أبداً ، لأن (البديعيات) لم تكن شعر العصر كله ، ولم يقتصر الشعراء عليها ، ولم يسلك سبيلها إلا من ملك ناصية التأليف وزمام القوافي ، وقليلٌ ما هم ، فإذا عددنا (البديعيات) وجدناها لا تبلغ المئة - فيما عرفناه - على مدى سبعة قرونٍ ليست بالعجاف من الناحية الشعرية ، وليت شعري من ذا الذي يحكم على شعر سبعة قرون من خلال بضع وتسعين قصيدةً لبضعة وثمانين شاعراً ، لم تُعرف كلها .

ومن ذا الذي ينكر أن (البديعيات) جاءت بفنٍ جديد في الشعر العربي لم نكن نعرفه ، ولا آباؤنا الأولون ، قبلها ، هذا النوع الذي سَمَا بالمنظومات التعليمية إلى مرتبة الغرض الشعري ، كما أنه سما بغرض المديح عن المآرب والغايات القريبة ، إضافة إلى أنه ربما لو وَجَد الشاعر في رسالته الشعرية ما يشغله ويملأ فراغه ، لما وجد إلى أمثال (البديعيات) دافعاً وسبيلاً ،

---

(١) الصبغ البديعي ، ص : ٣٧٢ .

فـ (البديعيات) إذاً لم تكن سبباً في ضعف الشعر ، بل كانت عاملاً إلى ارتقائه في الشكل والمضمون إلى حدٍّ كبير .

وعلى ذلك كله ، فإننا نرى أن (البديعيات) برزخ بين الشعر الرائع ، والنظم التأليفي ، فلا يستطيع المرء أن يدرجها تحت أيٍّ منها ، والسبب يتمثل باشتراك العاطفة مع التأليف ، فالممدوح مثلٌ كاملٌ ، والقصيدة مدحية ، وهنا تجود القرائح وتهتز الأريحيّة ، ويَمدح الشاعر ولا حرج ، وأوضح ما يكون ذلك في بديعية الحلي ثم بديعية الباعونية ، والنابلسي الصوفيّيْن ، وكثيرين غيرهم .

* * *

الفصل الثاني

نشأة البديعيات،

أوليتها - عددها وأعلامها - زمنها

نَشْأَة البَدِيعِيَّات

١ ـ أوليتها :

لا يخفي على الباحث أن معرفة البدايات من أعقد المشكلات ، فكيف إذا كانت البداية بحدّ ذاتها تسهم في ذلك الإشكال ، وتُشعِّب الطرق إليه كما هي الحال في بداية (البديعيات) ، من وجود إمكانية الأخذ والرد والتقديم والتأخير ؟ مضافاً إلى ذلك أنها إلى الآن لم تُدرس في بحث مستقل ولم تحظ بعناية كاملة ، إنما كان لبعض المُحْدَثين توقّفات عندها في سياق بحوثهم العامة ، ولذلك لم تشهد (البديعيات) حكماً فاصلاً في معظم جوانبها ، إن لم أقل في جميع ذلك ، ومن هذه الجوانب : بداياتها .

فما زال الباحثون الذين تعرضوا للحديث عن (البديعيات) ونشأتها مختلفين في تحديد أول بديعية ، وأول من وضعها ، ومن خلال استعراض آرائهم نرى أن مكان الأولية يتنازعه ثلاثة من الشعراء ، وهم : علي بن عثمان أمين الدين الإِرْبِلي المتوفي سنة (٦٧٠ هـ) ، وعبد العزيز بن سرايا صفي الدين الحلي المتوفى سنة (٧٥٠ هـ) ، ومحمد بن أحمد بن جابر الأندلسي المتوفى سنة (٧٧٩ هـ) . ولكل من الباحثين حججه التي تقوى حيناً وتضعف حيناً آخر ، ومن هنا كان لا بدّ من الفصل فيما بين هؤلاء الثلاثة ، وإعطاء واحد منهم فقط

مكان الأولية وتحديد موقع الآخَرين .

والحقيقة أن الخلاف حول مكان الريادة حديث العهد ، ذلك أن (البديعيات) ـ كما أشرت ـ لم تحظ بدارس لها في القديم ، وافتقدت مختصاً بها في الزمن المعاصر ، ولكنها لم تعدم بين الحالتين واقفاً متعجلاً ، أو باحثاً كمستظل بفيء شجرة ثم راحل ، يمرّ بها مرور الكرام ، أو ناظراً متسرعاً ، ومن خلال هذه التوقفات غير العميقة وغير المقصودة لذاتها بالبحث ، كان التباين في الآراء : آ ـ فالدكتور زكي مبارك يرى أن (البديعيات) إن هي إلا أثر من آثار البردة تمثّل أول ما يكون عند ابن جابر الأندلسي الذي أحب البردة ، وشغف بها ، وقد شغل نفسه بمعارضتها « ولكن أي معارضة ؟ لقد ابتكر فناً جديداً هو (البديعيات) ، وذلك أن تكون القصيدة في مدح الرسول ، ولكن كل بيت من أبياتها يشير إلى فن من فنون البديع »[1] . ثم يمر بالصفي الحلي فيقول : « وفي عصر ابن جابر وضع صفي الدين الحلي المتوفي سنة ٧٥٠ قصيدة سمّاها : الكافية البديعية في المدائح النبوية »[2] .

وربما كان د . مبارك وحيداً في اختياره لابن جابر رائداً أول للبديعيين ووضع الصفي في المرتبة الثانية ، كما يفهم من ترتيبه .

ولعل الدافع الذي حمله على موقفه هذا ، هو ما وجده في مقدمة شرح بديعية ابن جابر لأبي جعفر الألبيري من قوله في وصف تلك البديعية : « نادرة في فنّها ، فريدة في حسنها ، تجني ثمر البلاغة من غصنها ، وتنهل سواكب الإجادة من مزنها ، لم يُنسج على منوالها ، ولا سمحت قريحة بمثالها »[3] .

---

(١) ــ المدائح النبوية في الأدب العربي ، ص : ١٦٩ .
(٢) ــ المرجع السابق .
(٣) ــ المرجع السابق . وانظر مقدمة شرح « طراز الحلة وشفاء الغلة » . وقد شايعه وحذا حذوة د بكري شيخ أمين ـ انظر مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، ص : ٢٦٧ وما بعدها

ب ـ أما د . محمود الربداوي في بحثه : « ابن حجّة الحَموي شاعراً وناقداً » ، فقد توقف عند قضية الأولية ، ورشّح للمكان الصفي الحلي ، معترضاً على د . مبارك بأنه « أميل إلى اعتبار صفي الدين الحلي أسبق من ابن جابر في نظم أوائل البديعيات »(١) ، ثم يتحدث عن حججه في ذلك بأن « الحلي توفي قبل ابن جابر بثلاثين سنة ، وهذا السبب ليس بمرجح كافٍ ، ولكن دعنا نستمع إلى الأسباب التي حدت بالحلي إلى تأليف بديعيته ، لعلها تلقي ضوءاً يساعدنا على هذا الترجيح ، ولعلها تضع بين أيدينا الخيوط الأولى التي إن تابعناها وصلنا إلى حقيقة في هذا الشأن . فالحلي يذكر في مقدمة شرحه لبديعيته بأنه اعتزم على تأليف كتاب في البلاغة ، وهذا الإعتزام ينسجم مع الحركة الناشطة في التأليف البلاغي في عصره ، لولا أن علة لازمته ، فعدل عن تأليف كتاب في البلاغة إلى تأليف منظومة يجعلها بمنزلة كتاب لقواعد فن البديع ، فلنستمع إلى كلامه في مقدمة شرحه للبديعية . . » ، ثم يأتي بنص الحلي ، ويعقّب عليه بقوله : « وقبل أن تتسرع فتحكم على بعض النتائج من خلال هذه المقدمة البسيطة لا بد لنا من استعراض بعض ما كتبه أيضاً في مقدمته تلك ، لتعلم من أين استقى مادة بديعيته . وإذا كانت قصة منامه هي الدافع المباشر لنظمها ، فإن ثمة دافعاً بعيداً أو غير مباشر ، هو الذي دفعه إلى التفكير في التأليف البلاغي وهو الدافع الذي دفع جلّ مَن ألّف في هذا المضمار ، دافع إعجاز القرآن الكريم ، وفهم ما ورد في الذكر الحكيم » ، ثم يسرد قول الحلي في مراجعته للكتب البلاغية السابقة ، ويخلص من ذلك كله إلى وضع الصفات العامة التي تنتظم (البديعيات) ، وهي كونها نظمت في مدح الرسول ﷺ وعلى البحر البسيط وروي الميم ، ضُمّن كل بيت فيها نوعاً من أنواع البديع ، سواءً صُرّح باسمه في البيت أم لا . وينطلق من هذا ليقول : « فلوعدنا إلى كل من ابن جابر والحلي ، وطرحنا السؤال التالي : لماذا اختار ابن

(١) ـ المرجع قيد الطبع .

جابر بحر قصيدته من البسيط ، وقافيتها الميمية ؟ ولماذا كانت مخصوصة بمدح الرسول ؟ أظن أنه لا جواب عنده لهذا السؤال ، اللهم إلا إذا أجاب بما أجاب به د . زكي مبارك من أن ابن جابر تأثر بالبوصيري وقصيدته . ولكن هذه الأسئلة تحمل الإجابة في ثناياها من خلال مقدمة الحلي الآنفة الذكر ، فالذي دفعه إلى مدح الرسول هو تلك الرؤيا التي رآها كما ذكر هو ، وهذه الرؤيا التي رآها الحلي تذكرنا فوراً برؤيا البوصيري ، وتقاضي الرسول المديح منه ، فلا غرابة أن ينشط الحلي لمعارضة البوصيري في قصيدة كقصيدته ، ما دامت دواعي النظم متشابهة ، فلماذا لا يستريح الحلي من البحث عن بحر وقافية وموضوع لقصيدته ما دام يعيش التجربة نفسها التي عاشها البوصيري ، فكل ظروف الحلي تشبه ظروف البوصيري ، فلذا ما عليه إلا أن يفرغ معانيه وأفكاره في قوالب مشابهة لمعان كان غيره قد مرّ بها ، وإذا كان ثمة فرق بين الحلي والبوصيري فهو في أن الحلي ضمّن قصيدته أنواع البديع ، وهذا أمر طالما فكر فيه الحلي ، وكان يود أن يؤلف فيه كتاباً ، لولا ما ألمّ به من مرض . فمن كل هذا نستخلص نتيجة واحدة وهي أن الحلي لديه من مسوغات السبق في نظم البديعيات أكثر وأرجح مما لدى ابن جابر في نظم البديعية » .

ولم يكن هذا موقف د . ربداوي فحسب ، بل سبقه وشاركه فيه كثير من الباحثين ، منهم : ابن حجر في « الدرر الكامنة » (ت ٨٥٢ هـ) ، إذ قال في ترجمته لابن جابر : « ونظم الحلة السِّيَرا في مدح خير الورى ، على قافية الميم بديعية على طريقة الصفي الحلي »[١] .

كما يفهم من كلام شعبان الآثاري (ت ٨٢٨ هـ) في مقدمة بديعيته الكبرى : « العقد البديع في مدح الشفيع » أنه يقدم الصفي الحلي على ابن جابر ففي معرض تقريظ قصيدته وتفضيلها على البديعيات السابقة لها ، يصفها بأنها

---

(١) - ٣/٤٢٩ - ٤٣٠ .

« تشغل طلاب الصفي بصفائها من الكدر ، وتجبر مكاسير ابن جابر بطول أنواعها من ذلك القِصَر »[1] .

كذلك فعل ابن حجة (ت ٨٣٧ هـ) في شرحه لبديعيته ، إذ كان يقدّم بيت الصفي الحلي في الإستشهاد ، ثم بيت ابن جابر ، ثم بيت الموصلي .

ورأى هذا أيضاً بعضهم فقال في أثناء حديثه عن التأليف في علم البديع : « وأما أول من نظم قصيدة سرد فيها أشكال البديع ، وسُميت من ثَم بديعية فهو الشاعر الشهير صفي الدين الحلي »[2] .

ومثل هذا الموقف نراه عند كثيرين ممن أرّخوا للأدب العربي عامة[3] ، فهم يجمعون على تقديم الصفي الحلي ، ووضعه في مكان الريادة .

جـ - ويقف بين هذا الموقف وذاك صاحب « الصبغ البديعي » ليتنفج - على عادته - ويخرق الآراء كلها ، ظناً منه أنه أتى بجديد ، وكان الفتح على يديه ، ويهزأ من د . مبارك وجمهور الباحثين معاً ، فيقول بعد عرض رأي د . مبارك : « قد فات الدكتور ، كما فات الجمهور ، أن التحقيق في هذه المسألة على خلاف ما قرروه جميعاً ، فليس ابن جابر ، كما ذهب الدكتور ، وليس صفي الدين الحلي ، كما جزم الجمهور بأول سابق إلى هذا الفن ، بل كلاهما مسبوق بشاعر مصري ، عرّف به الكتبي المتوفي سنة (٧٦٤ هـ) في كتابه « فوات الوفيات » ذلك هو علي بن عثمان بن علي بن سليمان أمين الدين السليماني الإربلي الصوفي ، الشاعر . . . . توفي في الفيّوم وهو في معترك المنايا سنة (٦٧٠ هـ) ومن شعره قصيدة في كل بيت نوع من البديع ، وهي :

---

(١) - ٣/آ .

(٢) - تاريخ الآداب العربية من نشأتها إلى أيامنا ، ص : ٥٤٤ .

(٣) - وانظر مثلاً : تهذيب الإيضاح : ١٢ - ١٥ ، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه : ٣١٣ ، المفصل في تاريخ الأدب العربي : ٢ / ٢٠٠ - ٢٠١ ، الرائد في الأدب العربي (نعيم الحمصي) : ٥٧١ .

بَعْضَ هـذا الـدّلالِ والإدْلالِ حـالِيَ الهَجْرُ والتَّجَنُّبُ حَـالِي

الجناس اللفظي (١). . . . » .

ثم يقول : « فها أنت ذا ترى أن أمين الدين الإربلي السليماني هو صاحب المحاولة الأولى في هذا الفن الجديد . . . . كما أنك رأيت أن الدكتور زكي مبارك مسرف في دعواه حينما زعم أن البديعيات متفرعة عن المدائح النبوية فقد رأيت أن موضوع قصيدة السليماني مدح غير نبوي ، وقد كنت وقفت على أسبقية السليماني لهذا الفن منذ أخذت في مراجعة المصادر التي أستنير بها في هذا البحث ، فاعتبرت ذلك في حينه ظفراً لم يسبقني إليه سابق ، ثم وقفت في أثناء تنقيبي عن البديعيات على « أنوار الربيع في أنواع البديع » ، وهو شرح لابن معصوم المتوفي سنة ١١٢٠ ، على بديعيته فوجدته فريداً في خروجه على هذا الإجماع حيث صرّح بما طمأنني على سداد هذا الرأي . قال في مقدمة شرحه المذكور »(٢) . . . ثم يورد نص ابن معصوم ، ويخلص من ذلك كله إلى أنه « للبديعيات ثلاثة أطوار : أما الأول : فهو طور التأليف، وقد كان ذلك على يد السليماني المتوفي سنة (٦٧٠ هـ) في قصيدته البديعية التي نظمها على بحر الخفيف في المدح وعلى روي اللام . وأما الثاني : فقد كان على يد صفي الدين الحلي المتوفي سنة (٧٥٠ هـ) فقد نظم بديعيته على بحر البسيط ، وعلى روي الميم المكسورة ، وفي مدح النبي ﷺ جاعلاً كل بيت منها مثالاً لنوع من البديع أو أكثر وفي هذا الطور يظهر أثر بردة البوصيري في الوزن والروي والغرض . وأما الطور الثالث : فقد كان على يد عز الدين الموصلي المتوفي سنة (٧٨٩) فقد حاكى الصفي فيما صنع وأربى عليه بالتزام التورية باسم النوع البديعي ، فذهب

---

(١) ـ ص : ٣٧٧ .

(٢) ـ ص : ٣٧٨ .

بهذا الفن إلى أبعد غايات التكلف والثقل ، حتى لم يستطع مجاراته إلا القليل من أصحاب البديعيات »[1] .

ولا بد لنا من وقفة مع صاحب « الصبغ » ورأيه هذا قبل مغادرته لنشير إلى أنه لم يكن صادقاً في دعواه من أن الفتح كان على يديه باكتشافه أولية الإربلي إذ أنه قد نشر كتابه هذا عام (١٩٦٩ م) على الرغم من أنه قدمه رسالة للدكتوراة عام (١٩٤٤ م) ، وعلى هذا فإن آراءه في كتابه لم يقيض للناس الإطلاع عليها إلا بعد عام (١٩٦٩ م) ، فإذا علمنا أن محمود رزق سليم ، في كتابه « عصر سلاطين المماليك » الذي نشره عام (١٩٦٢ م) قد أشار إلى قصيدة الإربلي هذه بقوله : « وأول من نظم الشعر بهذا القيد هو : أمين الدين السليماني ، أحد أدباء مصر ، وتوفي عام ٦٧٠ هـ . غير أن الناظر في بديعيته التي تقع في (٣٦) بيتاً في الغزل ، يحكم أن هذا الفن الشعري الوليد كان في بدئه لا يزال يحبو ، أو كان ذرة تتلمس لنفسها وجوداً ولمّا يتفجر ما في بطنها من حياة »[2] .

وإذا علمنا أيضاً أن د . شوقي ضيف قد أشار في معرض حديثه عن نشأة البديعيات في كتابه « البلاغة تطور وتاريخ » المنشور عام (١٩٦٥ م) ، قد أشار إلى بداية الفن على يدي السليماني الإربلي بقوله : « ولا نكاد نمضي بعد ابن أبي الإصبع حتى نجد علي بن عثمان الإربلي المتوفي سنة ٦٧٠ هـ ينظم قصيدة في مديح بعض معاصريه ، مضمناً كل بيتٍ منها محسناً من محسّنات البديع ، وبإزاء كل بيت المحسّن الذي يشير إليه ، ولا ندري هل عدّ فيها جميع المحسنات التي كانت معروفة في عصره ، أو أنه اقتصر على طائفة منها فقط ، فإن صاحب « فوات الوفيات » لم يذكر من قصيدته سوى ستةٍ وثلاثين بيتاً . على كل حال تعد هذه القصيدة أول قصيدة عني ناظمها بأن يودع كل بيت من أبياتها محسّناً

---

(١) - ص : ٣٧٩ .
(٢) - ٦ / ١٥٨ .

بديعياً . وإذا تقدمنا إلى القرن الثامن وجدنا صفي الدين الحلي المتوفي سنة (٧٥٠ هـ) ينظم قصيدة في مديح الرسول ﷺ على غرار بردة البوصيري المشهورة »[١] .

وأن د . ربداوي في بحثه « ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً » الذي تقدم به عام (١٩٦٥ م) لنيل درجة الماجستير قد أشار إلى الإربلي بوصفه صاحب أول قصيـدة للبديعيات بقوله ـ بعد أن أورد حججه في تقديم الصفي الحلي على ابن جابر ـ : « ومن كل هذا نستطيع أن نحكم بأسبقية الحلي على ابن جابر في نظم البديعية ، ولكن لا نستطيع أن نقول : إنه أول من ابتكر فن البديعيات ـ كما وصف د . زكي مبارك ابن جابر الأندلسي ـ ذلك لأننا نعلم أن شاعراً اسمه الشيخ علي بن عثمان بن علي بن سليمان أمين الدين السليماني الإرْبِلي الصوفي قد نظم قصيدة لامية ضمّنها جملة من أنواع البديع ، نوعاً في كل بيت »[٢] .

إذا علمنا ذلك كله تبين لنا أن غير صاحب « الصبغ » قد تنبه إلى قصيدة الإربلي بوصفها بداية أولى ، إلا أنهم لم يدّعوا دعواه ، ولم يفعلوا فعلته ، أضف إلى ذلك ما أشار إليه صاحب « الصبغ » من موافقة رأي ابن معصوم المتوفي سنة (١١٢٠ هـ) لرأيه ، ولكننا لا ندري أكان ذلك منه قبل الإطلاع أم بعده[٣] ؟ ! .

---

(١) ـ ص : ٣٦٠ .

(٢) ـ المرجع قيد الطبع .

(٣) ـ ومما يذكر أيضاً أن أحمد تيمور باشا قد استدرك في المطبوع من بديعية العميان ، كما ذكره الناشر (١٩٢٨ م) ، وأشار إلى قصيدة الإربلي ومكان وجودها في « الفوات » . ولا بد من أنّ صاحب « الصبغ » قد اطلع على هذا القول إذ أنه أشار إلى تلك البديعية ، ولا يعقل أن يكون قد اطلع على الكتاب ، ولم يعلم ما فيه ، ومما يؤيد ذلك أن اطلاعه وعثوره على « أنوار الربيع » كان متأخراً أي بعد أن راجع كثيراً ، ولا بد من أنه وقف على هذه البديعية المطبوعة (بديعية العميان) . فكيف نصدق بعد هذا كله دعواه بأسبقية الفكرة إلى رأسه قبل الإطلاع عليها عند غيره ؟ !!

بعد هذا ، وكما ترى ، فإن الآراء ثلاثة ، والمتنازعين ثلاثة ، والمكان واحد ، فلننظر معاً في هذه القضية ، علّنا نستطيع الوصول إلى ترتيب الثلاثة ، ولا بد أنك قد لاحظت شيئاً في أثناء عرض هذه الآراء .

فموقف د . مبارك ـ وكما أشرت في مكانه ـ لا دليل عليه إلا ما اجتزأه من مقدمة شرح أبي جعفر الإلْبِيْري لبديعية ابن جابر ، وهذا وحده لا يمكن أن يقوم مقام المسوّغ لهذا التقديم ، وتجاهَلَ ثلاثين عاماً كانت بين وفاة الصفي الحلي وابن جابر . كما أننا نجد في الحجج التي جاء بها د . ربداوي ، وما أعقبناها به من إجماع على تقديم الصفي الحلي ، ما يدعم الرأي القائل بتأخير ابن جابر غير ناسين في هذا المقام أن معظم من أنشأ بديعية بعدهما أشار إلى معارضة الصفي الحلي ، بينما لم نجد واحداً يصرّح بمعارضته ابن جابر ، وفي هذا ما فيه من ومضات تقديم للصفي .

وفوق ذلك كله لم نسمع من الصفدي المتوفي بعد الصفي الحلي بأربعة عشر عاماً ، وهو الأستاذ والصديق لابن جابر ، لم نسمع منه ذكراً لبديعيته ، على الرغم من أن ابن جابر كان يُسمعه الكثير من شعره كما يقول الصفدي ، وكان أولى بابن جابر أن ينشده بديعيته لو نظمها قبل وفاة الحلي وأن يشير إليها الصفدي لو سمعها ، مما يرجّح في النفس أن ابن جابر قد نظم بديعيته بعد وفاة الصفي الحلي .

واستمع معي إلى نص الصفدي في « نكت الهميان » في معرض حديثه عن ابن جابر ، قال : « وينظم الشعر جيداً ، وأنشدني منه كثيراً ، وهو الآن حي يرزق بناحية إلْبِيْرة ، كتب إليّ يستجيزني :

إنَّ البَـرَاعَـةَ لَفْظٌ أَنْتَ مَعْنَـاهُ   وَكُلُّ شَيْءٍ بَدِيْعٍ أَنْتَ مَفْنَاهُ . . . .

فكتبت له إجازة ، صدّرتها بقولي :

يا فَاضِلاً كَرُمَتْ فِيْنا سَجَاياهُ   وَخَصَّنا بِالّلآلِي في هَدايـاهُ[1] »

وبذلك نكون قد حكمنا على واحد بالتأخير ، ويبقى النزاع بين الصفي الحلي ، والسليماني الإربلي ، وهنا لا بد من تدقيق وتفصيلٍ ، إذ لا يمكننا أن نوافق على أن قصيدة الإربلي المؤلَّفة من ستة وثلاثين بيتاً ، كما أوردها الكتبي ، والتي مطلعها :

بَعْضَ هٰـذا الـدَّلالِ والإدْلالِ   حَـالِيَ الهَجْـرُ والتَّجَنُّبُ حَـالِي

لا يمكننا أن نعدّها بديعية ، لأننا لا نجد هدفاً ولا غاية ولا مُسوّغاً يحمل صاحبها على قصد تأليف فنٍ جديدٍ، كالذي نجده عند الصفي الحلي، ولكنه ـ جرياً على عادة العصر ـ قد دبّج القصيدة بأنواع فن البديع ، وأحب أن يلفت الأنظار إلى صنيعه ، فذكر اسم النوع بجانب البيت ، وَضَعْ في حسبانك أننا لسنا على يقين من أنّ الإربلي هو الذي أشار بقلمه إلى أسماء الأنواع بجانب كل بيت ، إذ لم ينص على ذلك ابن شاكر الكتبي ، أول ذاكر لهذه القصيدة ولصاحبها ، فلعل تلك الإشارة بذكر اسم النوع بجانب البيت هي من صنيع الكتبي الذي قرأ القصيدة ووجد فيها ما وجد ، أو علم ذلك ممن روي له القصيدة فأحبّ أن يعلن عنه ، أو لعله من صنيع غيره ، إذ لم ينص أيضاً الإربلي ـ كما وصلنا ـ على قصده لذلك وتعمّده له .

ومما يقوّي هذا الشك أن العلاّمة أحمد تيمور عندما أشار إلى هذه القصيدة قال :[2] « . . إحداها لامية غزلية من الخفيف عدّتها ستة وثلاثون بيتاً وأولها ، وفيه الجناس اللفظي . . عثرت عليها في مجموع مخطوط عندي . . منسوبة للسليماني ، ثم رأيتها في « فوات الوفيات » . . ومنه عرفنا اسم ناظمها وزمنه » . إلا أنه لم يشر إلى وجود اسم النوع بجانب البيت لا نصّاً ولا كتابة .

---

(١) ـ ص : ٢٤٤ ـ ٢٤٦ .

(٢) ـ انظر : بديعية العميان ، استدراك أحمد تيمور باشا ، ص : ٩ ـ ١٤ .

ومع كل ما ذكرت فالقصيدة لا تملك من مقومات البديعية وشروطها شيئاً واحداً ، اللهم إلا جَعْل كل بيت شاهداً على نوع من أنواع البديع ، وهذا وحده لا يمكن بحال من الأحوال أن يحملنا على جعل قصيدة تشتمل عليه ، كقصيدة الإربلي ، ومِن بعده قصيدة عبد علي بن ناصر بن رحمة الحوزى ، من شعراء القرن الحادي عشر[1] ، من (البديعيات) ، إلا أن تكون تأليف سبق الظهور ، ومقدمة سبقت المخاض ، فلولا مكابدة الصفي الحلي ، وتحمّله عناء ذلك ، مع قدرته وعنايته وجدارته به ، لَما رأينا هذا الفن الجديد ، ولما وضعنا له اسماً ، ومن ذا الذي ينسب الإسم إلى غير صاحبه وإلى من هَيَّأ للمسمى لا لصاحبه ؟!

وحال قصيدة الإربلي هذه مع (البديعيات) ، كحال قصص الجاحظ وحكايا ابن دريد مع المقامات ، فإذا جاز لباحثٍ أن يعد هذه من المقامات ـ ولم يحصل ذلك ـ جاز لصاحب « الصبغ البديعي » بعد ذلك أن يعد قصيدة الإربلي من (البديعيات) ، وأولاهم .

وخير ما يقال في قصيدة الإربلي هو ما قاله محمود رزق سليم من أنّ الناظر فيها « يحكم أن هذا الفن الشعري الوليد كان في بدئه لا يزال يحبو ، أو كان ذرة تتلمس لنفسها وجوداً ولما يتفجر ما في باطنها من حياة »[2] .

وقبل أن أترك هذا الجانب أود أن أشير إلى أن صاحب « الصبغ » كان في قرارة نفسه أميل إلى أن الاسم والريادة يستحقها الحلي وقصيدته ، لا الإربلي ، ونلحظ هذا من سياق قوله : « وإذن ، فللبديعيات أطوار ثلاثة أما الأول : فهو طور التأليف، وقد كان ذلك على يد السليماني المتوفي سنة (٦٧٠ هـ) في قصيدته البديعية التي نظمها على بحر الخفيف في المدح ، وعلى روي اللام .

---

(١) انظر سلافة العصر (ابن معصوم) ، ص : ٥٤٦ ـ ٥٥٣ .
(٢) عصر سلاطين المماليك : ٦ / ١٥٨ .

وأما الثاني : فقد كان على يد صفي الدين الحلي المتوفي سنة (٧٥٠ هـ) ، فقد نظم بديعيته على بحر البسيط ، وعلى روي الميم المكسورة وفي مدح النبي ، ﷺ . . . . وأما الطور الثالث : فقد كان على يد عزالدين الموصلي المتوفي سنة (٧٨٩ هـ) ، فقد حاكي الصفي فيما صنع وأربى عليه بالتزام التورية باسم النوع البديعي »[١] . فهو هنا يؤكد أن قصيدة السليماني الإربلي إن هي إلا الجنين قبل أن يكون خلقاً سوياً ، إذ ما معنى أن تكون قصيدته أول بديعية ، ثم تكون بعد ذلك طوراً بدائياً من أطوار (البديعيات) الثلاثة التي اختلقها. والتي يحق لنا مع هذه الأطوار أن نقلد كل واحد من الثلاثة الذين ذكرهم لقب الريادة والأسبقية ، فنكون قد أهدرنا وقتاً كعبث الوليد . ومن هنا نقول : كان عليه ألّا يتسرع في حكمه ، وأن ينظر بعين ابن قتيبة ، ويقول كما قال غيره ممن وصل إلى ما وصل إليه بموضوعية وتعقّل ، فالدكتور الربداوي عندما وقف على هذه الحقيقة قال : « ومن كل هذا نستطيع أن نحكم بأسبقية الحلي على ابن جابر في نظم البديعية ، ولكن لا نستطيع أن نقول : إنه أول من ابتكر فن البديعيات . . ذلك لأننا نعلم أن شاعراً اسمه الشيخ علي بن عثمان . . السليماني الإربلي الصوفي قد نظم قصيدة لامية ضمّنها جملة من أنواع البديع »[٢] . فهو يعترف للإربلي بوضع الأساس وطفرة الابتكار ، ويضع الحلي في مكان الريادة للتأليف المكتمل والصرح المشاد لأول قصيدة يطلق عليها اسم « بديعية » ، فلا يكون عليها فضفاضاً ولا قصيراً .

وهذا هو الكلام الفصل ، كما هو الموقف الحق ، فالصفي الحلي إضافة إلى كل المرجّحات التي ذكرها مقدّموه كان أهلاً لهذا المكان ، وجديراً به ، وعنده من مسوّغات العمل ما يشهد له بذلك وتقرُّ به عين المؤيد ، أضف إلى ذلك أن معظم أصحاب « البديعيات » بعده ـ كما سبقت الإشارة ـ كانوا يضعون

---

(١) الصبغ البديعي ، ص : ٣٧٩ .
(٢) ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً ، قيد الطبع .

بديعيته نصب أعينهم لمعارضتها ، بينما عدمت بديعية ابن جابر وقصيدة الإربلي ذلك ، كما لم يصرّح أحد بتقدُّم أحدهما على الحلي إلا ما ورد في نص ابن معصوم المتوفي سنة (١١٢٠ هـ) . وكلامه في نصه هذا يمكننا أن نلاحظ من خلاله أنه لم يجعل الإربلي أول بديعي ، بل أول من نظم قصيدة وأدخل فيها من أنواع البديع ، أما الصفي الحلي فقد ناقش موقفه مع ابن جابر كأول من نظم تلك القصائد على هذا النظام المتّبع ، أي بعد أن اكتملت بمقوماتها وشروطها واستحقت التسمية ، مما يوحي مؤكداً إلى ما وصلنا إليه من أن الإربلي كان صاحب البديعية الأولى ، وللحلي شرف النسبة والأولية . واستمع معي بعد هذا إلى نص ابن معصوم ـ على طوله ـ لتعلم مصداق ذلك ، فقد قال : « كنت أظن أن أول من نظم أنواع البديع على هذا الأسلوب البديع ، فضمّن كل بيت نوعاً ، وانقاد له شموس هذا المرام طوعاً ، هو الشيخ صفي الدين الحلي ، رحمه الله تعالى ، حتى وقفت في ترجمة الشيخ علي بن عثمان بن علي بن سليمان أمين الدين السليماني الإربلي الصوفي الشاعر على قصيدة لامية له ، نظم فيها جملة من أنواع البديع ، وضمّن كل بيت منها نوعاً منه ، أولها الجناس التام . . . . فعلمت أن الشيخ صفي الدين لم يكن أباً عذر هذا المرام ، ولا أول من نظم جواهر هذا العقد في نظام ، فإن الشيخ المذكور توفي قبل أن يولد الشيخ صفي الدين بسبع سنين ، وذلك أن وفاة الشيخ أمين الدين في سنة (٦٧٠ هـ) وولادة الشيخ صفي الدين في سنة (٦٧٧ هـ) . وأما نظم أنواع البديع على هذا الوزن والروي الذي نظم عليه الشيخ صفي الدين الحلي فلا أتحقق أيضاً أن الشيخ صفي الدين هو أول من نظم عليه ، فإنه كان معاصراً للشيخ أبي عبدالله محمد بن أحمد بن علي الهوّاري المعروف بشمس الدين بن جابر الأندلسي الأعمى ، صاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان ولا أعلم من السابق منهما إلى نظم بديعيته على هذا الأسلوب وإن كان الشيخ صفي الدين قد حاز قصبات السبق في مضمار براعة هذا المطلوب فإن ابن جابر لم يستوف

الأنواع التي نظمها الشيخ صفي الدين ، بل أخل بنحو سبعين نوعاً من الأنواع ، وكلاهما لم يلتزم التورية باسم النوع البديعي . . . . وأول من التزم ذلك الشيخ عزالدين الموصلي »[1] .

وحقيقة أخرى نذكرها ، هي أن الإربلي قد سُبق أيضاً بمن نظم أنواع البديع في قصيدة ، وإن اختلفت الطريقة التي سلكها كل من السابق والمسبوق فالفكرة تكاد تكون واحدة ، وهي حشد أنواع البديع في منظومة شعرية .

إذ نظم يحيى بن عبدالمعطي الزواوي المتوفي سنة (٦٢٨ هـ) قصيدة مؤلفة من « أبيات ، كل عدد منها مستقل في وزنه وقافيته ، وذكر فيها أولاً شواهد هذا البديع نظماً ، يذكر الشاهد ضمن بيت أو بيتين له ، ثم يذكر بعد ذلك نظماً اسم نوع البديع وحده »[2] يقول المؤلف فيها :

وبَعْـدُ فَـإنِّي ذاكِـرٌ لِمَنِ ارْتَضَىٰ بِنَظْمِي العَرُوض المُجْتَلَىٰ والقَوافِيا
أتَيْتُ بـأبْياتِ البَـدِيْعِ شَـواهِداً أَضُمُّ إلَيْها في نَظِيْمي الأَسَامِيا[3]

وسمى قصيدته هذه : « البديع في علم البديع » .

فأنت ترى أن فكرة نظم أنواع البديع في قصيدة تعود إلى أواخر القرن السادس وأوائل السابع ، وأنه وجدت محاولة قبل الإربلي ، ولكن كل تلك المحاولات لم تُجدِ نفعاً ، ولم تفك أسر الفكرة وتطلقها إلى حريتها المنشودة لتصبح خلقاً في أحسن تقويم إلا على يدي الصفي الحلي ، وبعد معاناته لذلك . ولا يمكننا أن نُحمّل لقب الريادة إلى كل من شارك بوضع لمحات ولمسات أولى ، ولكنه مستحَق لمن شيّد البناء ، ووضع القواعد من البيت ، حتى غدا قِبلةً للمعارضين ومحطاً للناظرين ، لا يعرفونه إلا من خلال بانيه صفي الدين الحلي ،

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع (ابن معصوم) : ١ / ٣١-٣٢ .
(٢) فهرس المخطوطات المصورة : ١ / ٤٠٩ .
(٣) المرجع السابق .

وبديعيته « الكافية البديعية في المدائح النبوية » التي مطلعها :

إنْ جِئْتَ سَلْعاً فَسَلْ عَنْ جِيْرَةِ العَلَمِ   وَاقْرِ السَّلامَ عَلىٰ عُرْبٍ بِذِي سَلَم

* * *

وقبل أن أغادر هذا البحث أود أن أشير إلى أن أسبقية صفي الدين الحلي لا تعني بالضرورة أن يكون ابن جابر قد اطلع على بديعية الصفي وجاراها بل ربما كان نظم كل واحدٍ منهما دون أن يعلم صنيع الآخر ، وجاء عملهما متشابهاً لتشابه الدوافع والظروف مع الحالة العامة والحركة العلمية الواحدة والتي كانت مهيأة لظهور مثل هذا الفن .

فقد سبقت الإشارة إلى أن نظم أنواع البديع قد سبق ابن جابر بقرن ونصف تقريباً ، واستمر حتى زمن نشأة (البديعيات) . فحسين بن سليمان الطائي مثلاً (ت : ٧٧٠ هـ) نظم قصيدة في (٧٠٠) سبعمئة بيت ضمت أنواع البديع ، سمّاها « زهر الربيع في علم البديع »[1] . فمثل هذه المنظومة ، مع تزامن ظهور ثلاث من (البديعيات) ، كل ذلك يوحي بالبيئة المهيَّأة لظهور هذا الفن . وهذا يسوّغ قلة عدد أنواع البديع في بديعية ابن جابر عن مثيلاتها ، وعن بديعية الصفي الحلي سابقه .

ومع هذه الحالة يبقى الصفي الحلي أقدم من نظم بديعية مكتملة ـ فيما علمناه ـ .

* * *

٢ ـ زمنها :

ما دمنا قد تجاوزنا مرحلة معرفة البداية ، بكل ما فيها من تشابك وخلاف ، وقرّ قرارنا على صفي الدين الحلي رائداً للبديعيات ، وعلى بديعيته

---

(١) انظر : كشف الظنون : ٢ / ٩٦٠ .

انطلاقة أولى لها ، أصبح من اليسير علينا أن نقدر الزمن الذي وجدت فيه أول بديعية ، وإن كنّا لا نملك توقيتاً دقيقاً لنظمها ، إذ بخلت علينا المصادر بذلك ، إنما نقدّر الزمن من خلال حياة ناظمها الأول الذي كانت ولادته سنة (٦٧٧ هـ) ووفاته سنة (٧٥٠ هـ) ، وما بينهما كانت قيلولته في هذه الحياة .

وبما أنه أشار إلى أنه نظم بديعيته بعد خوضه بحار العلم والمعرفة ، وقراءة الجم الغفير من الكتب . وبما أن نظم البديعية يحتاج إلى مهارة في نظم الشعر وخبرة فائقة به ، وذلك كله لا يتأتى للمرء إلا على مرور الأيام ، والحياة الطويلة ، فإنني أُقدّر أن تكون أول بديعية ظهرت في النصف الأول للقرن الثامن الهجري ، وفي عقده الخامس ، ربما .

وبظهور أول بديعية ، انطلق ركب االبديعيات يمخر عباب هذا التراث ويسجل على صفحاته معالمه وآثاره التي استمرت حتى عهد قريب منا ، وعلى امتداد نحو سبعة قرون من عمر هذا التراث ، جابت خلالها (البديعيات) معظم أصقاع الدولة العربية الإسلامية ، وتوارثها الشعراء جيلاً بعد جيل ، ورغب فيها شعراء النصارى ، فشاركوا فيها الشعراء المسلمين ، ونظموا (بديعيات) في مدح السيد المسيح ، عليه السلام ، على غرار (بديعيات) المسلمين .

* * *

٣ ـ عددها وأعلامها :

هناك حقيقة لا بد من الإشارة إليها ثانية في هذا المقام ، وهي أن ما وصلتُ إليه من (البديعيات) لا يعني أنها قد جُمعت كلُّها ، بل أكاد أزعم أن بعضاً منها بقي متناثراً بعيداً عن معرفتي لم أستطع العثور عليه ، لا لفتورٍ في همّتي ، ولكن لعدم إمكانية حصر هذا الفن ضمن نطاق واحد أو مجموعة من الكتب ، ولانعِدام الدراسات حول هذا الفن ، فما زالت إمكانية وجود بديعية

قائمةً في كل كتاب يتحدث في نطاق العصر المملوكي وما بعده ، ومع ذلك فإن مجموع ما وصلت إليه من (البديعيات) نصوصاً وأخباراً بلغ إحدى وتسعين بديعية مؤكدة ، إضافة إلى اثنتين منها تحتاجان إلى إثبات . وبذلك أكون قد أضفت إلى حيِّز معرفتنا أكثر من خمسين بديعية كانت متناثرة هنا وهناك في بطون الكتب .

وإليك نبأ مجموع هذه (البديعيات) ، مع لمحة عن أعلامها ووصفٍ لها وقد جعلتُها مرتبة ترتيباً زمنياً بالنظر إلى وفاة الناظم أو زمن نظمها ـ أحياناً ـ :

١ ـ « الكافية البديعية في المدائح النبوية » :

وهي أول بديعية مكتملة في تاريخ (البديعيات) نظمها : عبدالعزيز بن سرايا بن علي السِّنْبِسي ، صفي الدين الحلي* .

شاعر عصره المتقدم، وصاحب المنظوم والمنثور، والمحاكاة، والتآليف الكثيرة المتنوعة(١).

ولد في الحِلَّة ، بين الكوفة وبغداد ، سنة (٦٧٧ هـ) ، ونشأ فيها ، ثم

(*) انظره في : فوات الوفيات : ٢ / ٣٣٥ ـ ٣٨٧ ، الدرر الكامنة : ٢ / ٤٧٩ ـ ٤٨١ ، النجوم الزاهرة : ١٠ / ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة : ١ / ٣٣٧ ـ ٣٣٨ ، فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار لغاية (١٩٢٥ م) : ٢ / ٢١٥ ، و : ٢٢٥ ، تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان) : ٣ / ١٣٩ ـ ١٤٠ ، الوسيط في الأدب العربي ، ص : ٣١٣ ، المفصل في تاريخ الأدب العربي : ٢ / ٢٣٩ ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، ص : ٧٨٨ ـ ٧٨٩ ، ظهر الإسلام : ٤ / ٢٠٠ ـ ٢٠٢ ، الأعلام : ٤ / ١٧ ـ ١٨ ، تاريخ الأدب (للزيات) : ٤٦٨ ـ ٤٦٩ ، تاريخ الأدب العربي (لعمر فروخ) : ٣ / ٧٧٢ ـ ٧٧٧ ، فهرس الجبوري : ٣ / ٣٩٠ ، الرائد في الأدب العربي : ٥٦٨ ، ٥٧١ ، مجلة معهد المخطوطات العربية المصورة : م ٤ ، ع٢ ، ص : ٢٦٩ . و« صفي الدين الحلي » لمحمود رزق سليم ، سلسلة نوابغ الفكر .

(١) له ديوان شعر مطبوع ، و« العاطل الحالي » وهي رسالة في الزجل والموالي ، و« صفوة الشعراء، وخلاصة البلغاء » و« الخدمة الجلية » رسالة في وصف الصيد بالبندق وغيرها .

ارتحل تاجراً بين الشام ومصر وماردين ، وغيرها من مدن الدولة آنذاك . وقد مكث في ظل الدولة الأرتقية مدة ، مدح فيها ملوكها بغرر قصائده التي نسبت إليها فعرفت بـ « الأرتقيات »[1] .

واستمرت حياته بين حلّ وترحال حتى كانت نهاية رحلة الرحلات سنة (٧٥٠ هـ) .

« وقد طرق معظم فنون الشعر ، وقال من الأوزان المولّدة ، وفي التشطير والتخميس ، وهو أول من نظم القصائد النبوية الجامعة لأنواع البديع المسماة بـ (البديعيات) . وكان شعره سهل اللفظ ، جيّد الأسلوب ، وقد يعده بعض الأدباء أشعر شعراء عصره »[2] .

وذكره الكتبي فقال : « أجاد القصائد المطولة والمقاطيع ، وأتى بما أخجل زُهْر النجوم في السماء ، كما أزرى بِزَهْر الأرض في الربيع . تطربك ألفاظه المصقولة ، ومعانيه المعسولة ، ومقاصده التي كأنها سهام راشقة وسيوف مسلولة »[3] .

ولعل أشهر ما عرف به بديعيته هذه « الكافية البديعية في المدائح النبوية »[4]. وقد سبقت الإشارة إلى سبب نظمه لها ، من وجود العلة المانعة من تأليف كتاب في البديع كان قد هيأ له بقراءة سبعين كتاباً في هذا الفن . فقد أراد أن يلتجىء إلى الله ، متشفّعاً برسوله الكريم ، فنظم مِدحةً نبوية ، طرّزها

---

(١) وتعرف باسم « درر النحور » . وهي في مديح الملك المنصور من آل أرتق (بقايا السلاجقة) الذين استمروا حتى أوائل القرن التاسع الهجري في ماردين ، وتتصف الأرتقيات بأن حروف أوائلها مثل حروف رويّها . عددها تسع وعشرون بعدد حروف المعجم .

(٢) المفصل في تاريخ الأدب : ٢ / ٢٣٩ .

(٣) فوات الوفيات : ٢ / ٣٣٥ .

(٤) هناك جزء منها في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد برقم : (٦١٩٨) باسم جزء من بديعية لمؤلف مجهول .

انظر فهرس الجبوري : ٣ / ٣٩٠ .

بأنواع البديع ، موجداً بذلك فناً جديداً في الشعر العربي ، عُرف باسم (البديعيات) .

ولنستمع إلى الصفي الحلي وهو يحدّثنا واصفاً بديعيته بقوله : « فنظمت مئة وخمسة وأربعين بيتاً من بحر البسيط ، تشتمل على مئة [وواحد] وخمسين نوعاً من محاسنه [أي البديع] ، ومن عدّ جملة أصناف التجنيس بنوعٍ واحدٍ كانت عنده العدّةُ مئة وأربعين نوعاً ، فإن في السبعة الأبيات الأوائل منها اثني عشر[1] صنفاً منه . وجعلت كل بيت شاهداً ومثالاً لذلك النوع . وربما اتفق في البيت الواحد منها النوعان والثلاثة بحسب انسجام القريحة في النظم . والمعتمد على ما أسس البيت عليه »[2] . ومطلع بديعيته ، وفيه (براعة المطلع)[3] و (الجناس المركب) و (المطلق) :

إنْ جِئْتَ سَلْعاً فَسَلْ عَنْ جِيْرَةِ العَلَمِ ... وَاقْرِ السَّلاَمَ عَلىٰ عُرْبٍ بِذِي سَلَمِ[4]

ومن أبياتها قوله في (النزاهة)[5] :

حَسْبِي بِذِكْرِكَ لِي ذَمّاً وَمَنْقَصَةً ... فِيْما نَطَقْت فَلا تُنْقِصْ وَلا تَذُمِ

وفي (تشابه الأطراف)[6] يقول :

لَمْ أَدْرِ قَبْلَ هَواهُمْ ، والهَوىٰ حَرَمٌ ... أَنَّ الظِّباءَ تُحِلُّ الصَّيْدَ في الحَرَمِ

---

(١) في الأصل : « اثنا » .

(٢) شرح بديعية الصفي له (النتائج الإلهية) ، ص : ٣ .

(٣) براعة المطلع : هي سهولة اللفظ وعذوبته ، وصحة سكبه ، ووضوح المعنى ورقته ، وعدم الحشو ، وأن لا يكون البيت متعلقاً بما بعده . وقد شرطوا تناسب القسمين بحيث لا يكون شطر البيت الأول أجنبياً عن شطره الثاني .

(٤) سلع ، وذو سلم ، : موضعان قرب المدينة المنورة ، على ساكنها الصلاة والسلام .

(٥) النزاهة : عبارة عن الإتيان بألفاظ فيها معنى الهجو الذي إذا سمعَتْه العذراء في خِدرها لا تنفر منه .

(٦) تشابه الأطراف : هو أن يعيد الناظم لفظة القافية للبيت في أول البيت الذي يليها . وهذا ما فعله الصفي هنا ، فالبيت السابق للشاهد قوله :

قَالُوا : أَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الحُبَّ غَايَتَه ... سَلْبُ الخَواطِرِ والأَلْبابِ ؟ قُلْتُ : لَمِ

و (براعة ختام) هذه البديعية قوله :

فَإِنْ سَعِدْتُ فَمَدْحِي فِيْكَ مُوجِبُهُ وَإِنْ شَقِيْتُ فَذَنْبِي مُوْجِبُ النِّقَمِ

وما من شك في أن القارىء لهذه البديعية يشعر بانقياد الألفاظ مع الوزن للشاعر ، على الرغم من أنه كان ينظم مع إشراك المادة العلمية في هذا النظم ، كما يشعر الإنسان بعاطفة تفرض نفسها على أحاسيسه ، موحيةً بمشاعر الناظم الصادقة ، وهذه العاطفة قلّما وجدنا مثلها في باقي (البديعيات) ، اللهم باستثناء بعض (بديعيات) المتصوفة ، كالباعونية ، والنابلسي ، وغيرهما .

وكان الصفي الحلي يذكر اسم النوع الموجود في البيت إلى جانبه ، ولعله شعر بحاجة السامعين إلى توضيح ذلك ، ذلك ، فعكف على بديعيته وشرحها شرحاً لطيفاً أسماه : « النتائج الإلهية »[1] .

كما حظيت هذه البديعية بغير ما شرح لها ، فقد شرحها محمد بن القاسم بن زاكور[2] (ت : ١١٢٠ هـ)، كما شرحها عبد الغني الرافعي (ت : ١٣٠٨ هـ) وأطلق على شرحه اسم : « الجوهر السَّنِي في شرح بديعية الصَّفِي »[3] . ولمجهول شرح على هذه البديعية أيضا[4] .

وسيكون لي وقفة ثانية مع هذه الشروح وأمثالها في حديثي عن أثر (البديعيات) في الأدب ، في فصل قادم ـ إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) وقد طبع بالمطبعة العلمية سنة (١٣١٦ هـ) باسم : شرح بديعية صفي الدين الحلي لناظمها .

(٢) انظر : ايضاح المكنون : ١ / ١٧٣ ، هدية العارفين : ٢ / ٣١٠ ، ومعجم المؤلفين : ١١ / ١٤٥ .

(٣) الأعلام : ٤ / ٣٢ .

(٤) مجلة معهد المخطوطات العربية المصورة : م ٤ ، ع ٢ ، ص : ٢٦٩ .

٢ - «الحُلَّة السِّيَرا[1] في مدح خَير الورى»:

وهي بديعية ابن جابر : محمد بن أحمد بن علي الأندلسي ، أبو عبد الله الهوّاري المالكي* .

ولد سنة (٦٩٨ هـ) في المَرِيّة من بلاد الأندلس ، وكان ضريراً ، قرأ القرآن والنحو ، وتعلم الفقه والحديث على مشايخ عصره المعروفين .

ارتحل ابن جابر إلى مصر بصحبة وطَنِيِّه أحمد بن يوسف الرعيني واقترنت حياتهما معا ، فلم يفترقا قطّ إلا عندما تزوج ابن جابر في أخريات حياته ، عندها انفصل الصاحب ، وانفصمت عرا الصداقة بينهما .

وقد كان ابن جابر ينظم الشعر ويؤلف الكتب[2] ، وصاحبه يكتب له ذلك حتى تفجّر ينبوع الشعر على لسانه أيضا ، وقد عُرف هذان الصاحبان بالأعمى والبصير .

استمر بهما الترحال قريبا من حلب سنة (٧٤٣ هـ) حيث أمضيا ما تبقى من أيامهما هناك ، ومات ابن جابر سنة (٧٨٠ هـ)، ومات قرينه قبل عام تقريباً .

---

(١) حلة سيراء : مذهبة ، أو مخططة بخطوط صفراء .

* ترجمته في: نكت الهيمان في نكت العميان، ص: ٢٤٤ - ٢٤٦، الدرر الكامنة: ٣ /٤٢٩، ٤٣٠، شذرات الذهب : ٦ / ٢٦٨ ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة : ١ / ١٥٦ - ١٥٧ ، تاريخ آدات اللغة العربية (زيدان): ٣ / ١٣٤ ، فهرس الكتب الموجودة بدار الكتب المصرية : ٢ / ٢٠٣ ، و : ٢١٠ - ٢١١ ، معجم المطبوعات العربية والمعربة : ٦٠ - ٦١ ، الأعلام : ٥ / ٣٢٨ .

(٢) منها : «شرح ألفية ابن مالك» اعتنى فيه بإعراب الأبيات ، و«نظم فصيح ثعلب» ليسهل حفظه ، و«وسيلة الآبق» وهي أرجوزة جمع فيه أسماء الصحابة والتابعين على ما رواه أبو نُعَيم . إضافة إلى ديوان شعره .

أما (براعة مطلع) بديعيته فكان :

بِطِيْبَةَ انْزِلْ سَيِّدَ الأُمَمِ وَانْشُرْ لَهُ المَدْحَ وَانْثُرْ أَطْيَبَ الكَلِمِ(١)

وبلغ عدد أبيات بديعيته (١٧٧) بيتاً ، قسمها إلى قسمين : أحدهما لما تعلق باللفظ من أنواع البديع ، أبياته (٧٣) بيتاً ، وفيها (١٨) نوعاً مجزّأة على أنواع ، والثاني لما تعلق بالمعنى ، وأبياته (٧٨) بيتاً ، فيها (٣١) نوعاً مجزّأة . أما الأبيات الستة والعشرون المتبقية فهي تتمة للقصيدة لا يخلو بيت من نوع من أنواع البديع المذكورة ، كما أشار إلى ذلك(٢) .

ومما جاء في شرحه عليها قوله شارحاً نوع (المبالغة): « ذكر المبالغة : وهو أنواع ، وحقيقتها أن يبالغ في المدح وغيره إلى مبلغ بعيد حتى يتوهم السامع أن الموصوف فيها وصفته به غير بالغ إلى غايته ، مع بعده ، ويسمى هذا النوع (التبليغ). ثم ذلك المبلغ البعيد إما أن يكون ممكناً عقلاً وعادة ، وإما أن يكون ممكناً عقلا لا عادة ، ويسمّى (الإغراق)، وإما أن يكون لا يمكن عقلا ولا عادة ويسمى (الغلو).. ويجمع هذه الأنواع خمسة أبيات وهي :

يَمِّمْ نَبِيّاً تُبارِي الرِّيْحَ أَنْمُلَهُ وَالمُزْنُ مِنْ كُلِّ هَامِي الوَدْقِ مُرْتَكِمِ(٣)
لَوْ قَابَلَ الشُّهْبَ لَيْلاً في مَطَالِعِها خَرَّتْ حَيَاءً وَأَبْدَتْ بِرَّ مُحْتَرِمِ
تَكَادُ تَشْهَدُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ إلى الوَرَى نُطَفُ الأَبْنَاءِ في الرَّحِمِ
لو عامَتِ الفُلْكُ فِيْمَا فَاضَ مِنْ يَدِهِ لَمْ تَلْقَ أَعْظَمَ بَحْراً مِنْهُ إِنْ تَعُمِ
تُحِيْطُ كَفَّاهُ بِالبَحْرِ المُحِيطَ فَلُذْ بِهِ وَدَعْ كُلَّ طَامِي المَوْجِ مُلْتَطِمِ »(٤)

---

(١) طيبة : من أسماء المدينة المنورة .

(٢) الحلة السيرا في مدح خير الورى : ٣٢ / ب. وقد أفردتُ هذه البديعية بكلام مفصل عند الحديث عن أثر البديعيات في البلاغة ، من هذا البحث ،

(٣) الودق : المطر ، شديدُه وهيّنه .

(٤) الحلة السيرا في مدح خير الورى : ٢٩ / ب ـ ٣٠ / آ، ولاحظنا كيف أنه جزّأ المبالغة إلى أنواع .

وختامها قوله :

لكِنْ وَإنْ طَالَ مَدْحِي لا أَفِي أَبَداً فَأَجْعَلُ العُـذْرَ والإِقْرَارَ مُخْتَتَمِي

وإضافة إلى شرحه المختصر عليها ، فقد شرحها صديقه الرعيني شرحا مطوّلا أطلق عليه اسم « طراز الحلة وشفاء الغلة »[١]، كما شرحها محمود بن خليل داماد بياضي زادة الموستاري (ت: ١٠٩٩ هـ)[٢] .

٣ - « بديعية الموصلي »[٣] :

ناظمها : علي بن الحسين بن علي بن أبي بكر ، عزّ الدين الموصلي* .

من شعراء القرن الثامن الهجري المشهورين ، عارف بالأدب ، أقام بحلب مدة ، ثم انتقل إلى دمشق ، واستقر فيها إلى حين وفاته سنة (٧٨٩ هـ).

قال العسقلاني : « الشاعر المشهور ، نزيل دمشق ، مهر في النظم ، وجلس مع اشهود بدمشق تحت الساعات ، وأقام بحلب مدة ، وجمع ديوان شعره في مجلد »[٤] .

وقد اقترنت بديعيته باسم شرحه عليها المعروف « التوصل بالبديع إلى التوسل بالشفيع »، ولم يعرف بديعيته اسم - فيما أعلم -.

فالعسقلاني القريب العهد بالموصلي قال : « وله البديعية المشهورة قصيدة

---

(١) انظر الحديث عنه بالتفصيل في : أثر البديعيات في الأدب من هذا البحث .

(٢) أنظر : هدية العارفين : ٢ / ٤١٦ ، ومعجم المؤلفين : ١٢ / ١٦٢ .

(٣) طبعت مع غيرها باسم « البديعيات الخمس في مدح النبي المختار والصحابة الكرام ». مطبعة المعارف بمصر سنة ١٨٩٧ م .

(*) ترجمته في : الدرر الكامنة : ٣ / ١١٢ ، ايضاح المكنون : ١ / ١٧٣ ، فهرس الكتب الموجودة بدار الكتب : ٢ / ١٨٤ ، و٧ / ٦٣، فهرس المخطوطات المصورة : ١ / ٤٠٨ الأعلام : ٤ / ٢٨٠ .

(٤) الدرر الكامنة : ٣ / ١١٢ .

نبوية عارض بها بديعية الصفي الحلبي »[1] ، ولم يذكر لها اسماً وهذا ما حملني على ترجيح أن تكون بلا اسم منفرد .

كما استنّ الموصلي في بديعيته سنّة جديدة في فن (البديعيات)، ذلك أنه لم يكتف بتضمين البيت نوعاً من أنواع البديع ، وجعله شاهداً عليه ، بل التزم تسمية ذلك النوع أيضاً ضمن البيت ، وبذلك يكون أول من أضاف جديداً إلى (البديعيات)، وهذا ما حمل صاحب « الصبغ البديعي »[2] على وضعه في الطور الثالث من أطوار (البديعيات)، ثم سار عدد من الشعراء على طريقته ، وابتعد عنها بعضهم ، لأنهم لم يجدوا في صنيعه ـ ربما ـ إلزاماً يجب أن يحتذوه دوما إضافة إلى إعْناته للناظم .

ومطلع بديعيته :

(بَرَاعَتِي) تَسْتَهِلُّ الدَّمْعَ فِي العَلَمِ   عِبَـارَةً عَنْ نِدَاءِ المُفْـرَدِ العَلَمِ

وتقع في (١٣٩) بيتاً ، جمع فيها (١٤٤) نوعاً بديعياً ، وبذلك يكون قد قصَّر عن صفي الدين الحلي بسبعة أنواع[3]، وهي : (التسليم)، و(الموازنة)، و(ائتلاف اللفظ مع اللفظ)، و(تشبيه شيئين بشيئين)، و(التوزيع)، و(الاستعانة)، و(السهولة). ومما جاء فيها قوله في (الاستطراد)[4]:

(يَسْتَطْرِدُ) الشَّوْقَ خَيْلُ الدَّمْعِ سابِقَهُ   فَيَفْضُلُ السُّحْبَ فَضْلَ العُرْبِ لِلْعَجَمِ

وفي (الاستعارة) يقول :

دَعِ المَعَاصِي فَشَيْبُ الرَّأْسِ مُشْتَعِلٌ   (بِالاسْتِعَارَةِ) مِنْ أَرْواحِها العُقُمِ

---

(١) المصدر السابق .

(٢) ص : ٣٧٩ .

(٣) سأذكر في أثناء وصف (البديعيات) ما أخلّت به من أنواع عن بديعية الصفي الحلي ، أما الزيادة فسأذكرها في بحث : أثر البديعيات في البلاغة .

(٤) الاستطراد : أن يكون المتكلم في معنى ، فيخرج منه بطريق التشبيه أو الشرط أو الإخبار ، أو غير ذلك ، إلى معنى آخر يتضمن مدحا أو هجوا أو وصفا ، وغالب وقوعه في الهجاء .

وفي (الافتتان)[1] :

كانَ (افْتِتَانِي) بِثَغْرٍ رَاقَ مَبْسمُهُ صَارَ افْتِتِانِي بِثَغْرٍ فِيْهِ سَفْكُ دَمِي

وفي الطباق قال:

أَبْكِي فَيَضْحَكُ عَنْ دُرٍ (مُطَابَقَةً) حتى تَشـابَه مَنْثُـورٌ بِمُنْتَـظِمِ

و(حسن ختامها) قوله :

فَاجْعَلَ لَهُ مَخْلَصاً مِنْ قُبْحِ زَلَّتِهِ في حُسْنِ مُفْتَتَحٍ مَعْ (حُسْنِ مُخْتَتَمِ)

وواضح كيف أن العزّ الموصلي قد التزم التورية بأسماء الأنواع ضمن الأبيات .

٤ - « بديعية ثانية للموصلي »

وهذه لا نملك منها سوى خبرٍ وحيدٍ ، ذكره ابن حجر العسقلاني معاصر الموصلي ، فبعد أن أشار إلى بديعيته الميمية السابقة الذكر قال : « وله أخرى لامية على وزن بانت سعاد »[3] ، وبذلك يكون العزّ الموصلي : أول من أضاف جديداً إلى فن (البديعيات) بالتورية باسم النوع ضمن البيت ، وأول من خالف قوانينها فنظمها على غير روي ، وأول من سنّ نظم أكثر من بديعية من قبل شاعر واحد .

٥ - « الفتح الإلي في مطارحة الحلي »[4] :

بديعية شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن العطار الدُّنَيْسَري* المتوفي سنة (٧٩٤ هـ) .

(١) الافتتان : أن يفتنّ الشاعر فيأتي بفنّين متضادين من فنون الشعر في بيت واحد فأكثر ، مثل النسيب والحماسة ، والمديح والهجاء .

(٢) الطباق : هو الجمع بين الضدين في كلام أو بيت شعر .

(٣) الدرر الكامنة : ٣ / ١١٢ .

(٤) منها نسخة مخطوطة في مكتبة برلين برقم (٧٣٥٥).

(*) ترجمته في : كشف الظنون : ٢ / ١٢٣١ ، هدية العارفين : ١ / ١١٦ ، تاريخ الأدب العربي في العراق : ١ / ٢٢٨ .

أديب مصري ، أصله من دُنَيسر - بضم ففتح - بلدة من نواحي الجزيرة الشامية ، قرب ماردين ، وله شعر كثير ، ومدائح في أكابر عصره ، إضافة إلى مديحه النبوي ، ومؤلفاته المتعددة[1] .

ويتضح لنا من اسم بديعيته هذه ، التي لا أملك نصها ، بعض خصائصها فهي في معارضة الحلي أي على روي الميم المكسورة وبحر البسيط وفي مدح النبي ﷺ .

٦ - « الجوهر الرفيع ووجه المعاني في معرفة أنواع البديع »:

وهي بديعية عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن علي ، وجيه الدين العلوي الزبيدي اليمني* .

مولده سنة (٧٤٨ هـ)، وكان « فقيهاً نبيهاً ، أديباً جواداً ، سخيا هُماماً ، أبيّاً مُمَدَّحاً ، ذا نظر كثير في العلوم ، ومشاركة في المنثور المنظوم »[2] .

وكان ذا مكانة مرموقة لدى السلطان ، وحُبس لوشاية به من قِبل حاسديه ، ثم أُطلق ، وعمل على بناء مدرسة بزبيد جعل فيها درساً للحنفية وآخر للشافعية توفي سنة (٨٠٣ هـ).

ومطلع بديعيته :

سَلْ مَا بِسَلْمىٰ ، وسَلْ مَا رَبَّةُ السّلمِ   وخُصَّ طِيْبَةَ مَأْوى الطِّيْبِ والكَرمِ

ويلاحظ في هذا المطلع أن الناظم لم يلتزم التورية باسم النوع البديعي

---

(١) منها : « بديع المعاني في أنواع التهاني »، و« حسن الاقتراح في وصف الملاح » و« الدر الثمين في حسن التضمين »، و« زهر الربيع في التشابه والبديع » و« قطع المناظر بالبرهان الحاضر » و« لطائف الظرفاء ».

(*) ترجمته في : المجمع المؤسس للمعجم المفهرس ، لابن حجر : ٢ / ورقة ١٣٤ / ب ، الضوء اللامع : ٤ / ١٥٣ - ١٥٤ ، أنوار الربيع في أنواع البديع : ٢ / ١٥٨ ، هدية العارفين : ١ / ٥٢٩ .

(٢) الضوء اللامع : ٤ / ١٥٣ .

ضمن البيت ، بل اكتفى بجعله شاهداً له .

وبين يدي صورة ، لا أظنها كاملة ، عن مخطوطتها في مكتبة برلين[1] ، آخر أبياتها في (المزاوجة)، وعددها (١٣١) بيتاً ، فيها (١٣٦) نوعاً بديعياً .

ومما جاء فيها قوله في (التذييل)[2] :

ما أَصْعَبَ الحُبّ لَولا الوَصْلُ مُنْتَظَرٌ لَذابَتِ النَّفْسُ والمَهْجُورُ لَم يَقُمِ

وفي (الالتفات)[3] يقول :

ولائِمٍ في هَوى مَنْ لَيْسَ يَشْهَدُهُ أَتْعَبْتَ نَفْسَكَ لَو شاهَدْتَ لَمْ تَلُمِ

وفي (الهزل المراد به الجد)[4] :

أَخافُ لَوْمَكَ إنْ شَاهَدْتَ نُورَهُمُ يَجْني عَلَيْكَ فَإنَّ السُّمَّ في الدَّسَمِ

وحسن ختامها[5] :

صلّى علَيْهِ بِعَدِّ الرَّمْـلِ مُتّسِقاً وَعَدِّ نَبْتِ الثّرى والوابِلِ السَّجِمِ

وله عليها شرح وافٍ ، كما شرحها عيسى بن حجاج المعروف بعويس (ت : ٨٠٧ هـ)[6] .

وقد أخطأ صاحب « هدية العارفين »[7]، وتابعه عمر رضا كحالة[8]،

---

(١) برقم : (٧٣٧٦).

(٢) التذييل : أن يذيّل الناثر أو الناظم كلاماً بعد تمامه بجملة تحقق ما قبلها ، تزيده توكيداً ، وتجري مجرى المثل ، وهذا واضح في آخر الشطر الثاني من البيت .

(٣) الالتفات : أن يكون المتكلم آخذاً في معنى ، فيعترضه إما شك فيه ، أو ظن أن رادّاً يرده عليه ، أو سائلا يسأله عن سببه ، فيلتفت إليه بعد فراغه منه .

(٤) الهزل المراد به الجد : هو أن يقصد المتكلم مدح انسان أو ذمه ، فيخرج من ذلك المقصد مخرج الهزل والمجون اللائق بالحال .

(٥) اورده ابن معصوم في شرحه : (أنوار الربيع في أنواع البديع »: ٦ / ٣٣٠ .

(٦) هدية العارفين : ١ / ٨١٠

(٧) ١ / ٥٤٤ .

(٨) معجم المؤلفين : ٥ / ١١٢ .

فنسبا هذه البديعية لعبد الرحمن بن إبراهيم بن اسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف العلوي المتوفي سنة (٩٢٠ هـ). ومما يؤيد أنها ليست له ما ذكره صاحب « الضوء اللامع » عن شيخه من أن عبد الرحمن بن محمد أرسل إليه بديعيته مجيزاً له بها ، ثم قال : « قلت : قد قرأتها بخطه المشار إليه ، وهي :

رِوايَـةٌ مـا لَنـا فيه سَمَـاع   مِن الأصْلَين أيْضـاً والفُرُوع[1]

وَ(جَوْهَرنـا الرَّفِيْع) وما حَـواهُ   مِن العِلْم المُلَقَّبِ بِـالبَـدِيـع

.... وكتب شيخنا تلو خطه : إنه من أعيان أهل زبيد ، وكانت له وجاهة ورياسة وهو شاعر ليس له سماع ولا رواية ولا دراية ، وقد اجتمعت به فرأيته عريض الدعاوى ، كثير الشقاشق ، قليل العلم ، إلى الغاية لكنه ينظم ، وهذا عنوانه وأشار بقوله : و« جوهرنا الرفيع »، إلى البيديعية ، يعني المشار إليها »[2] .

فإن صح أن لعبد الرحمن بن ابراهيم بديعية ، فهي بديعية أخرى غير « الجوهر الرفيع » وبذلك تزداد (البديعيات) المعروفة واحدة .

٧ ـ « بديعية ابن حجاج »:

وهو عيسى بن حجاج بن عيسى بن شداد السعدي، المصري الحنبلي الملقب بعويس العالية لمهارته الفائقة في لعب الشطرنج وتقدمه فيه .

ولد سنة (٧٣٠ هـ) بالقاهرة ، و« تعاني الأدب فمهر ، وقال الشعر الجيد

---

(١) في الأصل : « راوية » وصححته لإقامة الوزن والمعنى .

(٢) ٤ / ١٥٤ .

(*) ترجمته في : الضوء اللامع : ٦ / ١٥١ ـ ١٥٢ ، شذرات الذهب : ٧ / ٧٣ ، هدية العارفين ١ / ٨١٠ ، الأعلام : ٥ / ١٠٢ .

ومدح الأعيان »[1]. وكانت وفاته سنة (٨٠٧ هـ).

وقال المقريزي ، فيما نقله صاحب « الضوء اللامع »[2] عنه : « إنه قال المواليا فمهر واشتهر بذلك ، فقيل له : الأديب ، ثم نظم الشعر ومهر في فنونه ، وعرف طرفا من اللغة ، وشارك في غيرها ».

ويبدو من سيرته أنه كان مُغرضاً مداهنا ، يجري وراء رزقه ويتملّق لذلك ، وقد اجتمع بعلماء عصره وشعرائه ، فقد رُوي أنه أخذ عن الصفي الحلي ، والصلاح الصفدي ، وغيرهما . وقد عمل بديعية على غرار بديعية الصفي ، إلا أنه جعل حرف رويها راء مكسورة ، ومطلعها :

سَلْ ما حَوى القَلْبُ في سَلْمى مِن العِبَرِ فَكُلَّما خَطَرَتْ أمسى عَلى خَطَرِ[3]

وبذلك فإن هذه البديعية تعدّ من (البديعيات) الشاذة ، التي خالفت الأصل في حرف الروي . ويلاحظ من المطلع أنه لم يلتزم التورية باسم النوع البديعي ضمن البيت .

وما زالت هذه البديعية في ضمير الغيب ، مع أن السخاوي أشار إليها بقوله : « وعمل بديعية على طريقة الحلي ، لكنها على قافية الراء ، قرّظها له المجد اسماعيل الحنفي وغيره »[4] .

والمجد اسماعيل هذا لم يكتف بتقريظ البديعية هذه ، بل شرحها أيضا ولكن الشرح أيضا أصابه ما أصاب البديعية من الضياع - فيما أعلم - وبقي منه خبر السخاوي الذي قال : « وجمع شيخنا المجد اسماعيل الحنفي شعره ، وكان يجلّه بل شرح بديعيته التي عارض بها الحلي »[5] .

---

(١) الضوء اللامع : ٦ / ١٥١ .
(٢) ٦ / ١٥١ - ١٥٢ .
(٣) شذرات الذهب : ٧ / ٧٣ .
(٤) الضوء اللامع : ٦ / ١٥١ - ١٥٢ .
(٥) الضوء اللامع : ٦ / ١٥١ - ١٥٢ .

ويبدو أن هذه البديعية بقيت حتى أيام ابن العماد الحنبلي الذي تفرّد بذكر مطلعها(1) .

٨ ـ « البديعية في الكعبة اليمنية الثمنية » :

للسيد جمال الدين عبد الهادي بن إبراهيم بن علي الحسني الصنعاني* (ت : ٨٢٢ هـ) .

وهذه لا علم لي بها إلا ما جاء في مصادر الترجمة .

٩ ـ « بديعية الآثاري الوسطى » :

ناظمها : زين الدين ، شعبان بن محمد بن داود** ، الموصلي نسبة إلى أصله ، الآثاري نسبة إلى الآثار النبوية الشريفة التي أقام بجوارها مدة ولجوارها فقد لُقّب بجار الله ، أيضاً .

ولد في ليلة النصف من شعبان سنة (٧٦٥ هـ) بمصر ، واشتغل بالكتابة حتى برع فيها ، ونظم الشعر ، وتنقّل في وظائف متعددة لدى السلطان .

ويبدو أنه كان سيء السيرة بين الناس ، يتقلّب حسب أهوائه ، ويمدح ويهجو كما يشاء ، مما أوغر صدور الناس ، فاستَعْدوا السلطان عليه ، ففرّ من القاهرة هارباً ، وبدأت رحلته وتطوافه حتى قضى سنة (٨٢٨ هـ) .

وقد غلب عليه ـ وحتى على ما ألّفه ـ النظم ، قال السخاوي : « كتب

---

(١) شذرات الذهب : ٧ / ٧٣ .

(*) انظر : إيضاح المكنون : ١ / ١٧٣ ، هدية العارفين : ١ / ٦٤٣ ، معجم المؤلفين : ٦ / ٢٠٢ .

(**) ترجمته في : الضوء اللامع : ٣ / ٣٠١ ـ ٣٠٣ ، شذرات الذهب : ٧ / ١٨٤ ، تاريخ آداب اللغة العربية : (زيدان) : ٣ / ١٤٠ ـ ١٤١ ، الأعلام : ٣ / ١٦٤ .

بخطه أن تصانيفه الأدبية تزيد على الثلاثين ، غالبها منظومات »[1] .

وكان للآثاري وقفة طويلة مع (البديعيات) ، استغرقت ثلاث سنين بدءاً من سنة (٨٠٧ هـ) وحتى (٨١٠ هـ) ، كان حصيلتها ثلاث (بديعيات)[2] ، أولها « بديعيته الوسطى » ومطلعها :

دَعْ عَنْكَ سَلْعاً وَسَلْ عَنْ سَاكِنِ الحَرَمِ   وَخَلِّ سَلْمى وَسَلْ مَا فِيْهِ مِنْ كَرَمِ

وبلغت عدة أبيات هذه « الوسطى » (٣٠٨) أبيات ، ضمت (٣٠٠) نوع بديعي بينها (٦٨) نوعاً فقط (للجناس) . فبعد بيت المطلع يقول في (الجناس المحرف مع الإسم) :

فَهْو الّذي فَاقَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ   عَلى الأَنَامِ وَفِي حُكْمٍ وَفِي حِكَمِ

ثم يستمر بسرد أنواع الجناس ضمن أبياته . ويؤرّخ سنة تأليفه لها بقوله :

فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ قَدْ نَجزَتْ   فِي عَامِ سَبْعٍ وَأُثْمِنْ مِن مِئِيْنِهِمِ

فقد أتمها ليلة النصف من شعبان سنة (٨٠٧ هـ) وهذه أول بديعية له . ويختمها بقوله :

صَلَّى وَسَلَّمَ رَبِّي دائِماً أَبَداً   عَلَيْهِ فِي مُبْتَدا مَدْحِي وَمُخْتَتَمِي

وواضح أنه لم يلتزم التورية باسم النوع البديعي ضمن أبياته .

---

(١) الضوء اللامع : ٣ / ٣٠٢ . ومن مؤلفاته المنظومة هذه : « ديوان مفتاح الفرج في مدح النبي ﷺ » ، و « الحلاوة السكّرية » أرجوزة في نحو (١٠٠) بيت ، « لسان العرب في علوم الأدب » ، و « الوجه الجميل في علم الخليل » أرجوزة في العروض . وغيرها .

(٢) وقد طبعت هذه (البديعيات) في ديوان باسم : « بديعيات الآثاري » تحقيق هلال ناجي ، (بغداد ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م) . وانظر الحديث عنها مفصلاً في : أثر البديعيات في البلاغة ، من هذا البحث .

١٠ ـ « العقد البديع في مديح الشفيع »[١] :

وهي البديعية الكبرى من (بديعيات) الآثاري . مطلعها :

(حُسْنُ البَرَاعَةِ) حَمْدُ اللَّهِ في الكَلِمِ   وَمَدْحُ أَحْمَدَ خَيرِ العُرْبِ والعَجَمِ

وهي أكبر بديعية عثرتُ عليها في تاريخ (البديعيات) ، إذ بلغت عدّتها (٤٠٠) بيت[٢] .

ويحدّثنا الآثاري عن نظم بديعيته هذه ، بعد أن كان قد هجر الشعر فترة لأسباب كثيرة بقوله : « حتى وقفت على حوادث في نظم هذا العلم لا يحسن السكوت عليها . . ولم يشتهر للمتأدبين سوى أربع قصائد[٣] ، مع ما فيها من الحاجة إلى كثير من الفوائد ، وطرح المهملات والزوائد . . فاستخرت الله تعالى في نظم قصيدة خامسة . . أضمّنها مهمات البديع وأضمّخها بمدح المليح الشفيع . . لا تحمل من الفنون إلا نوعاً شائعاً ، ولا تهمل من الأنواع إلا واهياً شاسعاً . . حاملة لأسماء الأنواع البديعية ضمن أبياتها ، حاوية لأقسامها الضرورية التي ليست في أخواتها »[٤] .

وقد تضمّنت هذه البديعية ما يزيد عن (٢٤٠) نوعاً بديعياً ، والسبب في قلّة الأنواع عن الأبيات ، أنه كان يُجَزِّىء النوع الواحد ويفرّعه إلى أقسام ، فمثلاً في (رد العجز على الصدر)[٥] يقول :

كَمْ (رَدَّ) يَوْماً (على صَدْرِ) الوَغَى (عَجُزاً)   كَمْ شَدَّ عَزْماً بِسَيْفٍ باتِرٍ ، وَكَمِ

---

(١) منها نسخة في المكتبة الظاهرية برقم (٣٥٦٠) .

(٢) كذا جاء في المطبوع منها ، وكما أشار هو ، وفي نسخة الظاهرية بلغ عددها (٤٠٩) أبيات .

(٣) القصائد الأربع التي ذكرها هي : بديعية الحلي ، وابن جابر ، والموصلي وعويس العالية .

(٤) العقد البديع في مديح الشفيع : ١ / ب ـ ٢ / آ .

(٥) رد العجز على الصدر (التصدير) : هو أن يجعل المتكلم أحد اللفظين المتفقين في النطق والمعنى ، أو المتشابهين في النطق دون المعنى ، في آخر الكلام بعد جعله اللفظ الآخر في أوله أو حشو النصف الأول ، أو آخره .

فَمِي يُخَبِّرُ والأَكْوانُ شَـاهِـدَةٌ   بِفَضْلِهِ فَلِي البُشْرىٰ بِصِدْقِ فَمِي
حُمِي مِنَ النَّارِ عَبْدٌ في شَفاعَتِهِ   كما على ضِدِّهِ جَمْرُ الجَحِيْمِ حُمِي
تَهَدَّمَتْ في الوَرَىٰ أَعْـداءُ مِلَّتِهِ   فَلَيْسَ يُنْـظَرُ مِنْهُم غَيْرُ مُنْهَـدِمِ

ويستمر بذكر أمثلته حتى بلغت ثلاثة عشر بيتاً ، وعليه قِسْ .

ومن أبياتها أيضاً قوله في (الجناس الملفق)[1] .

تَلفِيقُ عُذْري عَنِ التَّوْفيقِ أَقْعَدني   سِرْ بي فَقَد ضاقَ سِرْ بي مِنَ الأَلَمِ

وقوله في (الجناس المصَحَّف)[2] :

فَصِّل مَدَائِحَ فَضْلٍ فيهِ جُمْلَتُها   تُكْفَىٰ الدَّسَائِسَ مِنْ تَصْحِيْفِ قَوْلِهِمِ

وكان بيت (ختامها) قوله :

صَـلَّى وَسَلَّمَ رَبِّي دائِـماً أَبَـداً   عَلَيْهِ في المُبْتَدا مَعْ (حُسْنِ مُخْتَتَمِي).

ثم قال : « تمّت وبالخير عمّت في عشر شهر ربيع الأول عام تسع وثمان مئة »[3] .

١١ - « بديع البديع في مدح الشفيع » :

وهي البديعية الصغرى لشعبان الآثاري ، وقد أراد لها أن تكون معارضة لبديعية الصفي الحلي ، معترفاً بذلك في مقدمتها بقوله : « فهذه قصيدةٌ بديعية في علم البديع ، مدحتُ بها حضرةَ الجناب الرفيع ، عارضت بها من عارض البُردة من أهل الحِلّة ، وهو عبد العزيز بن سرايا . . »[4]. ويذكر لنا تسميتها في المقدمة ببيت شعر فيقول :

---

(١) الجناس الملفق : أن يكون كل من الركنين مركبا من كلمتين .
(٢) الجناس المصحف : هو ما تماثل ركناه خطاً واختلفا لفظاً .
(٣) العقد البديع : ١٨/ آ .
(٤) بديعيات الآثاري ، ص : ١٩ .

تُدْعَى (بَدِيْعَ البَدِيْعِ) مِنْ مَحَاسِنِها   وفي (مَدِيْحِ الشَّفِيعِ) أَبْدَتِ العَجَبا

كما يشير إلى أنها جاءت بعد بديعيتيه السابقتَيْن بقوله : « والتزمت في هذه البديعية الصغرى تجريدَ ألقاب الأنواع التي ضمَّنتُها في البديعية الكبرى ، مع اشتمالها على ما فيها وفي الوسطى من جمع الأُوْلى والأُخْرى رجاءَ الإيضاحِ والإيجاز لطالب الأُخْرى »[1] .

وجاءت بديعيته هذه في (١٦٩) بيتاً مجرَّدةً من التسمية ، كما أشار ، متضمنةً لـ (٢٠١) من أنواع البديع . ومطلعها :

إنْ جِئْتَ بَدْراً فَطِبْ وَانْزِلْ بِذِي سَلَمِ   سَلِّمْ عَلَى مَنْ سَبَا بَدْراً على عَلَمِ

ومنها : ما جاء في (التوليد)[2] :

وَصَحْبهُ خَيْرُ صَحْبٍ في الأَنامِ وَهُم   أَهْلُ الثَّنا والغِنَى في الحِلِّ وَالحَرَمِ

وفي (المشجَّر)[3] يقول :

مُحَمَّـدُ البَدْرُ في أَصْحَـابِهِ مَعَـهُ   في مُرَّة يَلْتَقِي الصِّدِّيْقُ بِالعَلَمِ
مُحَمَّـدُ البَدْرُ في أَصْحَـابِهِ مَعَـهُ   فارُوقُهُم يَلْتَقِي مِنْ طُهْرِ كَعْبِهِمِ
مُحَمَّـدُ البَدْرُ في أَصْحَـابِهِ مَعَـهُ   مِنْ صُلْبِ عَبْدِ مَنَافٍ شَاهِدُ النِّعمِ
مُحَمَّـدُ البَـدْرُ في أَصْحَـابِهِ مَعَـهُ   مِنْ عَمِّهِ يَلْتَقِيْهِ صَاحِبُ الهِمَمِ
مُحَمَّـدُ البَدْرُ في أَصْحَـابِهِ مَعَـهُ   مِنْ مُـرّة طَلْحَة ثـاني عَتِيْقِهِمِ
مُحَمَّـدُ البَدْرُ في أَصْحَـابِهِ مَعَـهُ   يَلْقِي الزُّبَيْرُ اجْتِماعاً في قُصَيِّهِمِ

---

(١) بديعيات الآثاري ، ص : ٢٠ .

(٢) التوليد : هو أن يضمّن الشاعر في بيت له لفظة أعجبته من شعر غيره ، أو أن ينظر إلى معنًى من معاني مَن تقدمه ، ويكون محتاجاً إلى استعماله في بيت من قصيدة له ، فيورده يولّد منه معنى آخر .

(٣) المشجَّر : سيأتي تعريفه في : الأنواع الجديدة المفردة ، وإن كانت طريقة شعبان الآثاري هنا تختلف عمّا وُضِع له من حدود فيما بعد .

مُحَمَّـدُ البَدْرُ في أَصْحَـابِهِ مَعَـهُ   سَعْدٌ بِأَصْلِ قُصَيٍّ كَابْنِ عَوْفِهِمِ
مُحَمَّـد البَدْرُ في أَصْحَـابِهِ مَعَـهُ   سَعِيدُهُم كَابْنِ خَطَّابٍ بِكَعْبِهِمِ
مُحَمَّـدُ البَدْرُ في أَصْحَـابِهِ مَعَـهُ   يَلْقي ابْنُ عَوْفٍ بِهِ أَصْلاً كَسَعْدِهِمِ
مُحَمَّـدُ البَدْرُ في أَصْحَـابِهِ مَعَـهُ   أَبُـو عُبَيْدَةَ في فِهْـرٍ فَلُذْ بِهِمِ

وقوله في (الإيفال)[١] :

كأنَّما النَّفْسُ بَحْرٌ غَيْرُ مُنْتَقِصٍ   والقَدْرُ كالشَّمْسِ في العَلْياءِ لم يُرَم

وقوله في (التفريق)[٢] :

إنْ قِيلَ : كالْبَدْرِ . قُلْتُ : الفَرْقُ بَيْنَهما   البَدْرُ يُكْسَفُ والمخْتَارُ لَم يُضَمِ

وحسَن ختامها الصّلاة على النبي ﷺ كسابقتَيْها :

عَلَيْـهِ أَزكَى صَلاةٍ دائِـماً أَبَـداً   والآلِ والصَّحْبِ في بَدْءٍ ومُخْتَتَمِ

والملاحظ أنه قد فصل فيها بين أنواع البديع اللفظية والمعنوية ، فجعل اللفظية أولاً في أربعين بيتاً ، تتضمن ستين نوعاً ، عدّ فيها المشجّر ، نوعاً واحداً وبيتاً واحداً ، بأبياته العشرة ، ثم الأنواع التي تتصل بالمعنى وعددها أربعون نوعاً في أربعين بيتاً ، ثم ذكر فصلاً للأنواع المشتركة بين اللفظ والمعنى وعددها (١٠٠) نوع في (٨٠) بيتاً . وبذلك يكون أوّل من فعل ذلك التقسيم وآخرهم ـ فيما أعلم ـ .

هذا ولم تحظ (بديعيات) الآثاري بشرح .

---

(١) الإيفال : أن يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه قبل أن يأتي بقافيته ، فإذا أراد الإتيان بها ليكون الكلام شعراً أفاد بها معنى زائداً على معنى البيت .

(٢) التفريق : أن يأتي المتكلم أو الناظم إلى شيئين من نوع واحد فيوقع بينهما تبايناً وتفريقاً بفرق يفيد زيادة وترجيحاً فيما هو بصدده من مدح أو ذم . .

١٢ - « الجواهر اللامعة في تجنيس الفرائد الجامعة للمعاني الرائعة »[١] :

بديعية إسماعيل بن أبي بكر بن عبدالله اليمني شرف الدين ، ابن المقرِىء* .

ولد سنة (٧٥٥ هـ) وتنقّل طلباً للعلم في بلاد اليمن ، وأخذ العلم ، وتفقّه على علماء عصره ، وبرز في ذلك كله ، وتقدم في المنثور والمنظوم ، ودرّس في مدارس اليمن المعروفة ، وصارت له حظوة عند السلطان ، حتى وفاته سنة (٨٣٧ هـ) .

قال الموفق الخزرجي ، فيما نقله عنه السخاوي[٢]: « كان فقيهاً محققاً بحّاثاً مدققاً مشاركاً في كثير من العلوم ، والإشتغال بالمنثور والمنظوم ، إن نَظَمَ أعْجَب وأعجز ، وإن نثر أجاد وأوجز ، فهو المبرز على أترابه ، والمقدَّم على أقرانه وأصحابه وكان يقول الشعر الحسن مع كراهته أن ينسب إليه . . حتى إنه قال :

بِعَيْنِ الشِّعْرِ أَبْصَرَنِي أُنَاسٌ   فَلَمَّا سَاءَنِي أَخْرَجْتُ عَيْنَه
خُرُوجاً بَعْدَ راءٍ كانَ رَأْيِي   فَصَارَ الشِّعْرُ مِنِّي الشَّرَّ عَيْنَه » .

وله تصانيف كثرة[٣] ومعروفة ، وأشهرها كتاب « عنوان الشرف » الذي

---

(١) للبديعية مع شرحها نسختان في برلين برقم (٧٣٧٠) و(٧٣٧١) .

(*) ترجمته في : الضوء اللامع : ٢ / ٢٩٢ - ٢٩٥ ، بغية الوعاة : ١ / ٤٤٤ ، شذرات الذهب : ٧ / ٢٢٠ - ٢٢٢ ، البدر الطالع : ١ / ١٤٢ - ١٤٥ ، فهرس الكتب الموجودة بدار الكتب : ٢ / ٢١٤ ، معجم المطبوعات العربية والمعربة : ٢٤٨ - ٢٤٩ ، تاريخ الأدب العربي في العراق : ١ / ٢٣١ - ٢٣٢ الأعلام : ١ / ٣١٠ - ٣١١ ، فهرس المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة الأوقاف ببغداد : ٣ / ٣٨٩ .

(٢) الضوء اللامع : ٢ / ٢٩٣ .

(٣) منها : « روض الطالب » وهو اختصار لكتاب « الروضة » للنووي . و« مسألة الماء المشمس » .

عمله ليضاهي به كتاب المجد الفيروزأبادي الذي قدّمه للسلطان الأشرف ، سلطان اليمن ، والذي يبدأ كلُّ سطر منه بحرف « ألف » . فألَّفَ ابنُ المقرىء كتابَه هذا والتزم أن تخرج من أوائله وأواخره وأواسطه علومٌ غير العلم الذي وضع الكتاب له ، وهو الفقه على نحو ، وتاريخ ، وعروض ، وقواف .

أما بديعيته هذه فمطلعها :

شَارَفْتَ ذَرْعاً فَذَرْعَنْ مَائِها الشَّبِمِ أَوْجُزْتَ نَملَى فَنَمْ لا خَوْفَ في الحَرَمِ(١)

وابن المقرىء يحدّثنا عن بديعيته هذه في مقدمة شرحه عليها بقوله : « وقد نظمت هذه القصيدة مئة وأربعةً وأربعين بيتاً ، فيها جميع أنواع البديع ، وهي مئة وخمسون نوعاً(٢)، وقد يجتمع لي في البيت الواحد عدة من أنواع البديع ولكن المعوّل على ما أسّس البيت عليه ، وقد أكثرت في أكثر أبياتها من (التورية) و(الإيهام) ، و(التوشيح) ، و(الإستخدام) ، وغير ذلك من أنواع البديع مما يروق الأسماع ويحرّك الطباع » (٣).

وقد نظم هذه البديعية امتثالاً لأمر الملك الناصر أحمد بن إسماعيل (ت : ٨٢٧ هـ) ، ولم يلتزم فيها التورية باسم النوع البديعي ضمن البيت .

وقد تعجّل صاحب « الصبغ البديعي » ، كعادته ، فقال في وصفها : « التزم في البديعية في كل بيت تورية مع التورية باسم النوع البديعي ، فتراه قد ضم إلى طريقة الموصلي صعوبة إلى صعوبتها ، حيث قيّد نفسه بالتزام توريتين في كل بيت » (٤). ولا يخفى أن هذا الباحث قد أخطأ فهم كلام ابن المقرىء ،

---

(١) نَملَى : ماء قرب المدينة المنورة . وذرع : بئر فيها ، كما قال الناظم .

(٢) هذا ما ذكره ، بينما لم نجد في البديعية سوى (١٤٩) نوعاً ، وأخل بـ (المواردة) و (الجناس المطلق) .

(٣) الفريدة الجامعة : ١ / ب .

(٤) ص : ٤٤٧ .

كما أنه لم يقف على البديعية بل على مقدمتها ـ إن حَصَلَ ـ وأباح لنفسه الحكم عليها ، وفي مقدمة ابن المقرىء التي سبقت قبل قليل ما يبيّن خطأ صاحب « الصبغ » وتعجّله .

ومن أبيات هذه البديعية قوله في (المقابلة) :

لَقَدْ بَكَى الجَفْنُ حُزْناً بَعْدَ بُعْدِهِمِ كَضِحْكِ ثَغْرِي سُرُوراً عِنْدَ قُرْبِهِمِ

وقال في (الإستدراك)[1] :

قَالُوا : مَرِضْتَ فَهَلْ عَادُوا ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ لَكِنْ عَنِ العَهْدِ والإِيْفاءِ بِالذِّمَمِ

وفي (التسليم)[2] يقول :

لَمْ يَلْقَ أُذْناً عَلَى أُذْنِي مَلامُكِ لِي وَهَبْهُ يَلْقى فَلِي قَلْبٌ أَصَمُّ عَمِي

وفي (التغاير)[3] يقول :

جَرى الفراقُ فراقُ الإِلتِقا وَوَقى ملامَةَ الوَصْلِ فاحْمَدْهُ ولا تَذُمِ

وحسن ختامها :

لكنَّ ذٰلِكَ مَجْهُودي أَتَيْتُ بِهِ وَمَنْ يُقَصِّرْ وَرَاءَ الجَهْدِ لَمْ يُلَمِ

وقد شرحها شرحاً لطيفاً باسم « الفريدة الجامعة للمعاني الرائعة » .

وكان حق هذه البديعية أن تذكر قبل (بديعيات) الآثاري لأن ابن المقرىء نظمها سنة (٨٠٧ هـ)[4]، ولكن أخّرتُها لتأخر وفاة ناظمها .

---

(١) الاستدراك : وهو الكلام المشتمل على لفظ (لكن) وهو قسمان : الأول أن يتقدم الإستدراك ما فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد له ، والثاني : أن لا يتقدم الإستدراك شيء من ذلك .

(٢) التسليم : أن يأتي المتكلم بكلام منفي أو مشروط بحرف الإمتناع ، ثم يسلّم بوقوعه تسليماً جَدَلياً .

(٣) التغاير : أن يتلطف الشاعر بتوصله إلى مدح ما كان قد ذمه هو أو غيره .

(٤) انظر : تاريخ الأدب العربي في العراق : ١ / ٢٣١ .

١٣ - « تقديم أبي بكر » :

وهي البديعية وشرحها لتقي الدين ، أبي بكر بن حجة الحموي الأزراري* ، المولود في مدينة حماة سنة (٧٦٧ هـ) .

في هذه المدينة علّمه أبواه القرآن الكريم منذ طفولته ، ودفعاه إلى تعلّم حرفة أماناً له ، فامتهن عمل الحرير وعقد الأزرار ، وإلى هذا العمل الأزراري .

إلا أن طموحه كان أكبر من ذلك ، فأخذ يثقّف نفسَه ، ويتردد على أهل الأدب وينظر في كتبه حتى أصبح ممن يُرْحَل إليه في صناعَتَيَ النثر والنظم

كان ابن حجة عصامياً ، جوّاب آفاق ، تنقل بين مدن الشام والقاهرة ، وشغل مناصبَ مرموقةً عديدة لدى السلاطين ، إذ كان مقرباً إليهم في أغلب الأحيان ، وفي خلال ذلك كله كان يظهر منثوره ومنظومه موشحاً بالمديح تارة وبغيره أخرى ، فكثيرة قصائده ، وكثيرة مؤلفاته(١) .

وفي البلد الذي لامس التراب فيه ،ورأى النور أول مرة ، كان آخر عهده بالحياة سنة (٨٣٧ هـ) .

« كان ابن حجة شاعراً ومترسلاً ومؤلفاً ، وشعره مملوءٌ بأوجه البلاغة . . ونثره المرسل سهل واضح متين »(٢) .

وبراعة مطلع بديعيته التي نال بها شهرة عظيمة :

(*) ترجمته في : الضوء اللامع : ١١ / ٥٣ - ٥٦ ، شذرات الذهب : ٨ / ٢١٩ - ٢٢٠ البدر الطالع : ١ / ١٦٤ - ١٦٥ ، معجم سركيس : ٧٦ - ٧٧ ، تاريخ الأدب (فروخ) ٣ / ٨٣٩ - ٨٤٤ ، وانظر : ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً ، للدكتور محمود الربداوي .

(١) منها : « ياقوت الكلام فيما نابَ أهل الشام » ، و« قهوة الإنشاء » ، و« ثمرات الأوراق » ، و« كشف اللثام عن وجه التورية والانسجام » .

(٢) تاريخ الأدب (فروخ) : ٣ / ٨٤٠ .

لِيْ في (ابْتِدا) مَدْحِكُم يَا عُرْبَ ذِي سَلَمِ   (بَرَاعَةٌ تَسْتَهِلُّ) الدَّمْعَ في العَلَمِ

ولا يخفى أبداً أن معارضة الصفي الحلّي ، والعِزّ الموصلي ، كانت الغاية الأولى لنظم هذه البديعية ، وهذا ما أشار إليه صراحة في مقدمة شرحه لها ، وفَعَله في أثنائها .

تقع البديعية في (١٤٢) بيتاً ، تضمنت (١٤٧) نوعاً بديعياً ، التزم فيها التورية باسم النوع البديعي داخل البيت على غرار ما فعله الموصلي ، وقد أخلّ بأربعة أنواع ذكرها الصفي ، وهي : (التسليم) ، و (الموازنة) ، و (التوزيع) ، و (الاستعانة) . وإليك بعض أبياتها .

قال في (المراجعة)[1] :

قَالَ: اصْطَبِرْ. قُلْتُ: صَبْرِي ما (يُرَاجِعُنِي)   قالَ : احْتَمِلْ. قُلْتُ: مَنْ يَقْوىٰ لِصَدِّهِم

وفي (القَسَم)[2] :

بَرِئْتُ مِنْ أَدَبِي وَالغُرُّ مِنْ شِيَمِي   إنْ لَمْ أبرّ بِنَأْيٍ عَنْهُمُ (قَسَمِي)

وفي (الترديد)[3] يقول :

أَبْدىٰ البَدِيْعُ لَهُ الوَصْفَ البَدِيْعَ وَفِي   نَظْمِ البَدِيْعِ حَلاَ (تَرْدِيْدُهُ) بِفَمِي

وفي (الانسجام)[4] يقول :

لَهُ (انْسِجَامُ) دُموعي في مَدَائِحِهِ   بِاللّهِ شَنِّفْ بها يا طَيِّبَ النَّغَمِ

---

(١) المراجعة : وهو أن يحكي المتكلم مراجعة في القول ومحاورة في الحديث بينه وبين غيره بأوجز عبارة وأرشق سبك وألطف معنى وأسهل لفظ .

(٢) القسم : هو أن يقصد الشاعر الحلف على شيء فيحلف بما يكون له مدحا ، وما يكسبه فخرا ، وما يكون هجاء لغيره .

(٣) الترديد : هو أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ، ثم يرددها بعينها ويعلقها بمعنى آخر .

(٤) الانسجام : أن يأتي الكلام لخلوة من العقادة كانسجام الماء في انحداره ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة .

وفي (حسن النسق)[1] يقول :

مَنْ ذا (يُناسِقُهم) مَنْ ذا يُطَابِقُهم   مَن ذا يُسابِقُهم في حَلْبَةِ الكَرَمِ

وحسن ختامها قوله :

حُسْنُ ابتِدَائِي بِهِ أرجُو التَخَلُّصَ مِنْ   نارِ الجَحِيْمِ ، وهٰذا (حُسْنُ مُخْتَتَمِي)

وقد شرح بديعيته شَرْحاً حافلاً بمختلف الفنون ، عُرف باسم « خزانة الأدب » . ثم اختصره باسم : « ثبوت الحجّة على المَوْصلي والحلي لابن حجّة »[2] .

وليس كما أشار د. فروخ من أن ابن حجة صنع « لبديعيته هذه شرحين : شرحاً موجزاً سماه « تقديم أبي بكر » وشرحاً مطولاً هو كتاب « خزانة الأدب وغاية الأرب »[3] . لأن كلتا التسميتين لشرح بديعيته المطول ، إنما جاءت التسمية الثانية متأخرة[4] .

ولقيت بديعية ابن حجّة عناية من العلماء واضحةً ، فقد شرحها محمد بن أحمد بن عثمان البسطامي (ت : ٨٤٢ هـ)[5] . كما شرحها محمد بن عيسى بن محمود بن كنان (ت : ١١٥٣ هـ) وأطلق على شرحه اسم « المحاسن المرضية في شرح المنظومة البديعية »[6] . وشرحها أيضاً عثمان الظاهر[7] .

---

(١) حسن النسق : أن يأتي المتكلم بالكلمات من النثر والأبيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً ، وتكون جملها ومفرداتها متسقة متوالية إذا أفرد منها البيت قام بنفسه .
(٢) منه نسخة في برلين برقم : (٧٣٦٩) .
(٣) تاريخ الأدب العربي : ٣ / ٨٤٠ .
(٤) وقد فصل الدكتور محمود الربداوي في قضية التسمية هذه في بحثه « ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً » فليراجع هناك .
(٥) هدية العارفين : ٢ / ١٩٢ - ١٩٣ .
(٦) نسخة منه في برلين برقم : (٧٣٦٦) .
(٧) نسخة في برلين برقم : (٧٣٦٧) .

١٤ ـ « المعاني اليتيمة والمباني الرخيمة » :

بديعية عبدالرحمن بن محمد بن سلمان الحموي ، ابن الخيّاط . ولد بحماة سنة (٧٧٧ هـ) ، « وكان إنساناً حسناً أديباً فاضلاً بارعاً في النظم والنثر ، غاية في اللطافة والكياسة وحسن الكتابة . . بديع النظم ، كثير التأليفات»(١). توفي سنة (٨٤٠ هـ).

وقد شرح بديعيته هذه ، كما أشارت أخبارها .

١٥ ـ « بديعية ابن القباقيبي» :

ناظمها محمد بن خليل بن أبي بكر ، المعروف بابن القباقيبي** . من علماء القراءات . ولد في حلب سنة (٧٧٨ هـ) ، وتعلم فيها ، ثم انتقل إلى القاهرة فغزّة ، وكانت وفاته في بيت المقدس سنة (٨٤٩ هـ) وبعد أن كُفَّ بصره . وله عدة مؤلفات (٢).

وليس بين يدي ما يشير إلى أنه قد شرح هذه البديعية(٣) .

١٦ ـ « الحصون المُعَدّة لكف يد الجاني عن البُردة »(٤) :

بديعية الإمام أبي العباس ، شمس الدين محمد بن نورالدين علي الشافعي

(*) ترجمته في : الضوء اللامع : ٤ / ١٣٠ ـ ١٣١ ، شذرات الذهب : ٧ / ٢٣٥ ، إيضاح المكنون : ٢ / ٥٠٧ ، هدية العارفين : ١ / ٥٣٠ ، معجم المؤلفين : ٥ / ١٧٥ .

(١) الضوء اللامع : ٤ / ١٣٠ .

(**) ترجمته في : الضوء اللامع : ١١ / ٢١٦ ، التبر المسبوك : ١٣٥ ـ ١٣٦ ، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء : ٥ / ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ، الأعلام : ٦ / ١١٧ .

(٢) منها : « مجمع السرور ومطلع الشموس والبدور » ، كتاب في القراءات الأربع عشرة و« تخميس البردة » ، و« إيضاح الرموز » وهو شرح لـ« مجمع السرور » .

(٣) نسختها في برلين برقم : (٧٣٧٢) .

(٤) هي ضمن مجموع فيه خمس بديعيات في مكتبة معهد التراث العلمي التابع لجامعة حلب برقم : (أنطاكي ٣٧) .

المصري الشهير بأبي شجاع، نزيل الاسكندرية. وهو من علماء القرن التاسع الهجري ـ ظناً ـ.

وتقع بديعيته هذه التي لم يلتزم فيها التورية باسم النوع البديعي ضمن البيت في (٢٧٠) بيتاً، مطلعها:

إنْ رُمْتَ سُقْياً فَسُقْ يا حادِي النَّعَمِ   وَرَوِّ عِيْسَكَ سُقْيا مَوْرِدَ النِّعَمِ

ومنها قوله في (اللف والنشر)(١):

شَوْقِي بُكائِي حَنِيْنِي لَوْعَتِي كَلَفِي   لَهُم عَلَيْهِم إلَيْهِم مِنْهُمُ بِهِمِ

وحسن ختامها قوله متوسلاً بالنبي ﷺ طالباً القَبُولَ ونيلَ الرجاء:

بِجَاهِ أَحْمَدَ خَيْرِ الخَلْقِ قَاطِبَةً   زَيْنِ الخَلِيْقَةِ حَامِي حُرْمَةِ الحَرَمِ

١٧ ـ «بديعية عماد الدين بن القصار»:

هذه البديعية وصاحبها ليس بين يدي من أخبارهما شيء، اللهم إلا ما جاء في «فهرس المخطوطات المصورة»(٢) عند الحديث عن بديعية الطهطائي من أنها «معارضة لبديعية عماد الدين بن القصار»، وبذلك علمنا أن ابن القصار هذا قد نظم بديعية، ولكن الأيام ضنّت بها عليّ، وهو فيما يقدّر من وفاة الطهطائي الآتي، من علماء القرن التاسع الهجري.

١٨ ـ «نخبة البديع وأنواعه في مدح الجناب الرفيع وأتباعه»:

بديعية فرج بن أحمد بن أبي بكر الطهطائي* التي نظمها معارضاً بديعية

---

(١) اللف والنشر: هو أن تذكر شيئين فصاعداً إما تفصيلاً، فتنص على كل واحد منهما، وإما إجمالاً فتأتي بلفظ واحد يشتمل على متعدد، وتفوّض إلى العقل رد كل واحد إلى ما يليق به..

(٢) ١ / ٤١٢.

(*) ترجمته في: الضوء اللامع: ٦ / ١٦٨، فهرس المخطوطات المصورة: ١ / ٤١٢، معجم المؤلفين: ٨ / ٥٧.

ابن القصار السابقة الذكر . وجاء في « الضوء اللامع »[1] أن وفاة صاحبها تعد ضمن وفيات سنة (٨٩٩ هـ) ، وأن له تخميساً ونظماً .

وقد شَرَح الناظم هذه البديعية ، كما جاء في المصدر الذي ذكرها[2].

١٩ ـ « مواهب البديع في علم البديع » :

بديعية شهاب الدين ، أبي العباس ، أحمد بن محمد بن عبدالرحمن الحميري ، الفاسي الأصل ، المعروف بابن الخلوف*.

عالم أديب ، ولد بقسنطينة في الجزائر سنة (٨٢٩ هـ) وسافر مع أبيه متنقلاً بين مكة والقدس والقاهرة . وكانت وفاته سنة (٨٩٩ هـ) .

حفظ القرآن وأخذ العلوم والفنون عن علماء عصره ، « وتعانى الأدب فبرع نظماً ونثراً . . ونظم (المغني) و (التلخيص) وغير ذلك ، وعمل بديعية ميمية سماها : مواهب البديع في علم البديع ، أولها :

أَمِنْ هوى مَن ثوىٰ بالبانِ والعلمِ ... هَلَّتْ براعةُ مُزْنِ الدمع كالعَنَم

وشرحها شرحاً حسناً »[3].

٢٠ ـ « شفاء الكليم بمدح النبي الكريم » :

نظمها تاج الدين ، عبدالوهاب بن أحمد بن محمد بن عربشاه**، المولود سنة (٨١٣ هـ) .

---

(١) ٦ / ١٦٨ .

(٢) نسختها مع الشرح تقع في (٧٦) ورقة في معهد المخطوطات المصورة برقم : (سوهاج ـ ٥١ بلاغة) .

(*) ترجمته في : الضوء اللامع : ٢ / ١٢٢ ـ ١٢٣ ، الأعلام : ١ / ٢٣١ .

(٣) الضوء اللامع : ٢ / ١٢٢ ، وقد طبع ديوان ابن الخلوف في بيروت سنة (١٨٧٣ م) بالمطبعة السليمية ، ولم أجد فيه البديعية المذكورة . ولم أقف على شرحه لها .

وقد أشار إلى هذه البديعية غير مرة عثمان الجليلي في كتابه « الحجة على من زاد على ابن حجة » في الصفحات : ٦٤ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ .

(**) ترجمته في : الضوء اللامع : ٥ / ٩٧ ـ ٩٨ ، الكواكب السائرة : ١ / ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ، =

وقد ارتحل مع أبيه ، وطوف في المدن ، واستقرت حياته في القاهرة ، حيث توفي هناك سنة (٩٠١ هـ) .

وكان قد نَبَه ذكره ، وعلت مرتبته ، و « قرأ القرآن وغيره ، وتدرب بأبيه في العربية والفقه وغيرهما ، وسمع بقراءة أبيه على القاضي الشهاب بن الحبال صحيح مسلم »[١] . وكانت له عدة مؤلفات[٢] .

وبديعيته هذه لها مقدمة وخاتمة ، في (غوطا)[٣] .

٢١ - « بديعية بدرالدين الحسن بن مخزوم الطحان » :

قال العاملي : « لا نعلم من أحواه شيئاً سوى ما حكى عنه الكفعمي في كتابه « فرج الكرب » أنه قال : له البديعية ، مخمس لبديعية الشيخ صفي الدين الحلي ، فعُلم من ذلك أنه كان أديباً شاعراً »[٤] . فقدرتُ وضعه قبل الكفعمي .

٢٢ - « بديعية الكفعمي » :

إبراهيم بن علي بن الحسن الحارثي الكفعمي* .

شذرات الذهب : ٨ / ٥ ، تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان) : ٣ / ١٣٧ - ١٣٨ ، الأعلام : ٤ / ١٨٠ .

(١) الضوء اللامع : ٥ / ٩٧ .

(٢) منها : « روضة الرائض في علم الفرائض » أرجوزة وشرحها ، و« الجوهر المنضد في علم الخليل بن أحمد في العروض » ، و« دلائل الإنصاف في مسائل الخلاف » أكثر من (٢٥) ألف بيت .

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية : (لزيدان) : ٣ / ١٣٨ .

(٤) أعيان الشيعة : ٢٣ / ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(*) انظر : أنوار الربيع في أنواع البديع : ١ / ٩٥ - ٩٦ ، نفح الطيب : ٧ / ٣٤٠ - ٣٤٦ ، كشف الظنون : ٢ / ١٩٨٢ ، أعيان الشيعة : ٥ / ٣٣٦ - ٣٥٨ ، الأعلام : ١ / ٥٣ ، معجم المؤلفين : ١ / ٦٥ .

ولد في قرية كفرعيبا ، من قرى صفد ، سنة (٨٤٠ هـ) ، وتوفي فيها سنة (٩٠٥ هـ) .

« أديب من فضلاء الإمامية . . له نظم ونثر ، وصنف (٤٩) كتاباً ورسالة »[1] . وبديعيته هذه مطلعها :

إنْ جِئْتَ سَلْمى فَسَلْ مَنْ في خِيَامِهِم ومَنْ سَكَنْ مَنْسَكاً عَنْ دُمْيَتِي وَدَمِي

هذا المطلع ينبيء عن عدم التزام التسمية في الأبيات .

وقد شرحها بشرح أطلق عليه اسم « نُور حدقة البديع ونَور حديقة الربيع » وقد رأى هذا الشرح صاحب « نفح الطيب » ، كما رأى البديعية ابن معصوم المدني فقال عنها : « وقد نظم جماعة من المتأخرين (بديعيات) يعرفها من وقف عليها ويحق أن ينشد فيها :

لَقَدْ هَزُلَتْ حَتَّى بَدا من هُزَالِها كُلاها ، وحَتّى اسْتَامَهَا كُلُّ مُفْلِسِ

ولعل الواقف على هذا الكلام يرميني بسوء ظنه . . وأنا أعوذ بالله من التَّزيد في المقال . . فمن تلك (البديعيات) بديعية الكفعمي . . »[2] .

٢٣ - « نظم البديع في مدح خير شفيع » :

وهي البديعية وشرحها للعالم الإمام ، والأديب المكثر : عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد ، جلال الدين السيوطي* .

ولد سنة (٨٤٩ هـ) ، ونشأ في القاهرة يتيماً ، واعتزل الناس في كبره ، واستغنى عنهم بعمله في الجمع والتأليف ، ولم يقبل مالاً من أحد ، ولا قُربى من

(١) الأعلام : ١ / ٥٣ .

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع : ١ / ٩٥ .

(*) ترجمته في : الضوء اللامع : ٤ / ٦٥ ، والكواكب السائرة : ١ / ٢٢٦ - ٢٣١ ، شذرات الذهب : ٨ / ٥١ - ٥٥ ، وتاريخ آداب اللغة العربية (زيدان) : ٣ / ٢٢٨ ، تاريخ الأدب (فروخ) : ٣ / ٨٩٨ - ٩١٤ ، الأعلام : ٣ / ٣٠١ - ٣٠٢ .

سلطان وهو أشهر من أن يتحدث عنه المرء ، ويكفيه أنه صاحب نحو (٦٠٠) مصنفٍ في شتى العلوم والفنون . توفي سنة (٩١١ هـ) .

أما بديعيته هذه فمطلعها :

مِنَ العَقِيْقِ وَمِنْ تَذْكارِ ذِي سَلَمِ ... (بَرَاعَةُ) العَيْنِ في (اسْتِهْلالِها) بِدَمِ[1]

وعدد أبياتها (١٣٣) بيتاً ، ذكر فيها (١٤٧) نوعاً بديعياً منها أنواع جديدة ، وبذلك أخلّ بثمانية عشر نوعاً هي : (الجناس المطلق) ، و (الملفق) ، و (المذيّل) ، و (اللفظي) ، (التمثيل) ، (الاستعارة) ، (مراعاة النظير) ، (حسن التخلص) ، وقد استخدم بدلاً منه (الاقتضاب) ، (النوادر) ، (ائتلاف المعنى مع المعنى) ، (التصريع) ، (المماثلة) ، (المواردة) ، (الإلغاز) ، (ائتلاف اللفظ مع اللفظ) ، (التوزيع) ، (التفسير) ، (الإبداع) .

وقد التزم التورية باسم النوع البديعي ضمن البيت ، وصرّح بأنه أراد معارضة ابن حجة الحموي فقال : « فهذه بديعية مدحت فيها من وجب على الخلق امتداحُه . . معارضاً بها بديعية الشاعر الماهر تقي الدين بن حجة في التورية باسم النوع البديعي »[2] .

ومن أبياتها قوله في (المذهب الكلامي)[3] :

و (مَذْهَبِي) أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَجُزْ شَرَفاً ... عَلَيْهِم ما تَخَلَّوا عَنْ (كَلامِهِم)

وفي (التوجيه)[4] يقول :

وأَمْـرُهُ نَـافِـذٌ مـاضٍ وَمَنْـطِقُـهُ ... (مُـوَجَّهٌ) وَنَـداهُ غَـيْرُ مُنْخَـرِمِ

---

(١) العقيق : من نواحي المدينة المنوّرة .

(٢) شرح السيوطي على بديعيته ، ص : ٢ .

(٣) المذهب الكلامي : هو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام قاطعة لا يتمكن ردها .

(٤) التوجيه : هو توجيه المتكلم بعض كلامه أو جملته إلى أشياء متلائمة اصطلاحاً من أسماء أعلام أو غير ذلك مما يشعب له من الفنون توجيهاً مطابقاً لمعنى اللفظ الثاني من غير اشتراك حقيقي .

وفي (ائتلاف اللفظ والمعنى)[1] يقول :

سَهْلٌ رَقِيْقٌ رَخِيْمٌ لَـيِّنٌ رَؤُفٌ (تآلَفَ اللَّفْظُ) في مَعْناهُ بِالحِكَمِ

وفي (التسميط)[2] يقول :

في رَأْسِهِ غَسَقٌ ، في وَجْهِهِ فَلَقٌ في ثَغْرِهِ نَسَقٌ ، (تَسْمِيْطُ) بِرَّهِمِ

وفي (الاشتقاق)[3] يقول :

وأَحْمد النَّاسِ والمحمُودُ (شُق) له مِن وَصْفِه الحمدُ وصْفا غيرَ مُنْهَضِمِ

وحسن ختامها مرتبط بالبيت الذي قبله وهو قوله :

يا رَبِّ (سَهِّل) سَرِيْعاً باللَّحاقِ بِهِم فَضْلاً و (أَدْمِجْ) مُحِبّاً في لِوائِهِم
واكْتُبْ مَدَى الدَّهْرِ في الدُّنْيا لَنا حسنا حَتَّى أرى عِنْدَ مَوتي (حُسْنَ مُخْتَتَمِي)

وقد شرح السيوطي بديعيته هذه شرحاً لطيفاً[4] .

٢٤ - « بديعية ابن محرز » :

وهو تلميذ السيوطي ، ولم أستطع معرفته ، وقد ورد ذكره في أثناء شرح عبدالحميد قدس لنوع (الحصر) إذ قال : « وهذا النوع لم يذكره أحد من علماء البديع إلا ابن محرز أحد تلامذة الجلال السيوطي ، رحمهما الله ، في بديعيته المسمّاة النوع ، ولم يحضرني بيته ، وإلا الشيخ عبدالله الأديب المشهور بالزفتاوي

---

(١) ائتلاف اللفظ والمعنى : أن يؤتى بألفاظ مناسبة له : إن فخماً ففخيمة ، وإن رقيقاً فرقيقة .
(٢) التسميط : تسجيع البيت أربع سجعات ثلاث على روي غير روي البيت .
(٣) الاشتقاق : هو أن يشتق المتكلم من الاسم العلم معنى في غرض يقصده من مدح أو هجاء أو غيره .
(٤) وهو مطبوع سنة (١٢٩٨ هـ) . باسم « شرح بديعية .. السيوطي » .

الخطيب ، رحمه الله تعالى ، فإنه ذكره في بديعيته المسماة النوع التي[1] عارض بها بديعية ابن محرز المار آنفاً »[2]. وبذلك علمنا خبر هذه البديعية المسمّاة النوع .

٢٥ . « بديع البديع في مدح الشفيع » :

البديعية الأولى لعائشة بنت يوسف بن أحمد الباعونيّ ، أم عبدالوهاب* . « الشيخة الصالحة ، الأديبة ، العالمة العاملة . . أحد أفراد الدهور ونوادر الزمان فضلاً وأدباً وعلماً وشعراً وديانة وصيانة »[3].

كانت لها حظوة ومكانة ، ورحلة في البلاد ، وأجيزت بالإفتاء والتدريس توفيت في دمشق سنة (٩٢٢ هـ) . وتركت عدة مؤلفات ، أكثرها منظوم[4]. ومطلع بديعيتها هذه :

فِي حُسْنِ مَطْلَعِ أَقْمارٍ بِذِي سَلَمِ   أَصْبَحْتُ فِي زُمْرَةِ العُشَّاقِ كَالْعَلَمِ

ولم تصرح الناظمة بهذا الاسم الذي وضعتهُ للبديعية ، بل قالت : « فهذه قصيدة صادرة عن ذات قناع ، شاهدة بسلامة الطباع . . سافرة عن وجوه البديع ، سامية بمدح الحبيب الشفيع ، مطلقة من قيود تسمية الأنواع ، مشرفة

---

(١) في الأصل « الذي » .

(٢) طالع السعد الرفيع ، ص : ١١٠ - ١١١ .

(*) ترجمتها في : الكواكب السائرة : ١ / ٢٨٧ - ٢٩٢ ، شذرات الذهب : ٨ / ١١١ - ١١٣ ، معجم سركيس : ٥١٩ ، تاريخ الأدب العربي (للزيات) : ٤٧٦ - ٤٧٨ ، تاريخ الأدب العربي (لفروخ) : ٣ / ٩٢٦ - ٩٣٠ ، الأعلام : ٣ / ٢٤١ ، وانظر : مجلة التراث العربي (دمشق) : العدد الرابع ، السنة الثانية (آذار ١٩٨١) ص : ١٠٩ - ١٢١ .

(٣) شذرات الذهب : ٨ / ١١١ .

(٤) منها : « الفتح الحقي من منح التلقي » يشتمل على كلمات نَحَتْ فيها منحى الصوفية ، « الملامح الشريفة في الآثار اللطيفة » ، « الإشارات الخفية في المنازل العلية » أرجوزة في التصوف .

الطوالع في أفق التأليف موسومة بين القصائد النبويات بمقتضى الإلهام الذي هو عمدة أهل الإشارات « بالفتح المبين في مدح الأمين »(١).

ولكن الذي حملني على جعل هذه البديعية تحت هذا الاسم هو أن الناظمة نفسها قد وضعت هذا الاسم لبديعيتها الثانية ، فقالت : « أما بعد ، فهذه قصيدة فتح الحق بها عليّ بعد قصيدَتي الموسومة : ببديع البديع في مدح الشفيع . . ووسمتها باسم وسيم يدل على شرفها بممدوحها الكريم ، وهو : الفتح المُبين في مدح الأمين »(٢).

فمن الواضح أنها أطلقت اسم « الفتح المبين . . » على بديعيتها ، ولكننا لم نجد في ديوانها قصيدة بلا تسمية يمكن أن نسميها « بديع البديع » الاسم الذي أشارت إليه ، إذ عمدت الشاعرة إلى تسمية جميع قصائدها ، ووقع الخلاف في بديعيتها ، ومن هنا رجّحتُ أن تكون هذه البديعية بهذا الاسم .

ومما يقوي ذلك ، الإشارة التي وردت في فهرس المخطوطات العربية في برلين « من أن الناظمة قد نظمت بعض البديعيات تحت عنوان : « تبديع البديع في مدح الشفيع »(٣).

وعودة إلى البديعية التي وصفَتْها لنا قبل قليل من أنها مطلقةٌ من قيود تسمية الأنواع ، وقد بلغ عدد أبياتها : (١٢٧) بيتاً فيها (١٢٩) نوعاً من أنواع البديع .

وجاء في أبياتها قولها في (التفويف)(٤):

---

(١) كتاب شرح البديعية المسماة بالفتح المبين في مدح الأمين : المقدمة .
(٢) مجموع قصائدها : ١٥ / ب
(٣) ٦ / ٤٥٨ .
(٤) التفويف : هو أن يأتي المتكلم بمعان شتّى من المدح أو الغزل أو غير ذلك من الفنون والأغراض ، كل فن في جملة من الكلام منفصلة عن الأخرى ، مع تساوي الجمل في الوزن . وأبلغ ذلك في الجمل القصار .

كَرِّرْ . أَعِد . اِطْرَبِ . ابْسطْ . ثَنِّ . غَنِّ . أَجِبْ   قُلْ . سُلَّ . جُدَّ . تَرَنَّم . بْنِ . مُنَّ . أَدِمِ

وفي (التوشيع)[1] تقول :

كَتَمْتُ حَالِي وَيَأْبَى كَتْمَهُ شَجَنِي   بِحُكْمِيَ الفَاضِحَيْنِ : الدَّمْعِ والسَّقَمِ

وفي (الاعتراض)[2] :

أَعْظِمْ بِهِ مِنْ نبيٍ مُرْسَلٍ نَزَلَتْ   فِي مَدْحِهِ مُحْكَمُ الآيَاتِ مِنْ حِكَمِ

وفي (العقد)[3] :

حَسْبِي بِحُبِّكَ أَنَّ المرءَ يُحْشَرُ مَعْ   أَحْبَابِهِ فَهَنَائِي غَيْرُ مُنْحَسِمِ

وحسن ختامها :

مَدَحْتُ مَجْدَكَ والإخْلاصُ مُلْتَزِمِي   فِيْهِ وَحُسْنُ رَجَائِي فِيْكَ مُخْتَتَمِي

وقد أشارت الباعونية في ختامها أنها نُظِمت سنة (٩٢١ هـ). وقد شرحتها شرحاً مختصراً اعتمدت فيه على النقل من سابقيها كثيراً ، قالت في مقدمته ، وهي تتحدث عن البديعية : « استخرت الله تعالى بعد تمام نظمه وثبوت اسمها في شيء تروق للطالب موارِدُه ، وتعظم عند المستفيد فوائدُه ، وهو أن أذكر بعد كل بيت حدَّ النوع الذي بنيت قواعده عليه ، وأقرّ شاهده »[4] .

وقد أشرت في بداية الحديث أن هذه البديعية وشرحها قد عرفا باسم

---

(١) التوشيع : هو عبارة أن يتكلم المتكلم أو الشاعر باسم مثنى في حشو العجز ، ثم يأتي بعده باسمين مفردين هما عين ذلك المثنى يكون الآخر منهما قافية بيته أو سجعة كلامه كأنهما تفسير له.

(٢) الاعتراض : هو عبارة عن جملة تعترض بين الكلامين تفيد زيادة في معنى غرض المتكلم .

(٣) العقد : أن يؤخذ المنثور من قرآن أو حديث أو حكمة أو غير ذلك بجملة لفظه أو بمعظمه فيزيد الناظم فيه أو ينقص ليدخل في وزن الشعر .

(٤) الفتح المبين (في حاشية خزانة الأدب)، ص : ٣١١ .

« الفتح المبين في مدح الأمين »[١] .

٢٦ - « الفتح المبين في مدح الأمين » :

وهي البديعية الثانية للباعونية ، ومطلعها :

عَنْ (مُبْتدا) خَبَرِ الجَرْعاءِ مِنْ إضَمٍ   حَدِّثْ ولا تَنْسَ ذِكْرَ البَانِ والعَلَمِ[٢]

وقالت في وصفها : « أما بعد ، فهذه قصيدة فتح الحق بها عليّ ، بعد قصيدتي الموسومة ببديع البديع في مدح الشفيع . . ووسمتها باسم وسيم يدل على شرفها بممدوحها الكريم ، وهو : الفتح المبين في مدح الأمين ، وأسّست كل بيت منها على قواعد الإخلاص وجعلته مشتملاً على باب من أنواع البديع ، والتزمت فيه بتسمية النوع التزام سامع لأوامر الإلهام الرباني ومطيع . وعلّقت عليها تعليقاً جامعاً لزبد الحدود وفرائد الشواهد ، كاملا بالمقصود لكل شارد ووارد ، وتوّجته بخطبةٍ مسفرةٍ عن محاسن التأليف، تفهرس بلطائف التورية ما اشتملت عليه من الأنواع »[٣].

وما أدري إن كانت قصدت « بالتعليق » شيئاً سوى هذه المقدمة ، فما خطّته بيدها في المخطوط لا يوجد فيه غير هذه الخطبة .

وقد بلغ عدد أبياتها (١٤٤) بيتاً ، ضمّت (١٤٤) نوعاً بديعياً . وبإضافة أنواع البديعيتين إلى بعضهما يتضح أن الباعونية قد أخلّت بثلاثة أنواع من البديع هي : (التسليم)، و(التوزيع) و(الاستعانة).

ولنأخذ بعضاً من أبياتها للدلالة عليها ، فمن ذلك قولها في (الترشيح)[٤].

(١) وقد طبعا في حاشية شرح ابن حجة الحموي (خزانة الأدب) ط. سنة ١٣٠٤ هـ.
(٢) إضَم : ماء بين مكة واليمامة .
(٣) مجموع قصائدها : ١٥ / ب.
(٤) الترشيح : هو أن يأتي المتكلم بكلمة لا تصلح لضرب من المحاسن حتى يؤتى بلفظة ترشحها وتؤهلها لذلك .

طَـهَ بِيسِن كَمْ في مَدْحِهِ نَبَأٌ قَدْ (رَشَّحَ) الشُّعَـرا في نَسْجِ شِعْرِهِمِ

وقولها في «حسن التخلص»(1):

وَكَيْفَ أَسْلُو وَحُسْنَى الحُبِّ قَدْ ضَمِنَتْ (حُسْنَ التَّخَلُّصِ) بِالْمُخْتَارِ فِي القِدَمِ

وفي (الكلام الجامع)(2) قالت:

(جَمْعُ الكلامِ) إذا لَمْ يُصْغِ سَامِعُهُ رَقْمٌ على المَاءِ أَوْ نَفْخٌ عَلَى الضَّرَمِ

ويتهافي (مراعاة النظير)(3):

(راعى النَّظِير) مُحَيَّا الشَّمْسِ حينَ بَدا والبَدْرُ حاكَى ولكنْ بَعْضَ حُسْنِهِمِ

وحسن ختامها:

مَدَحْتُ مَجْدَكَ والإخْلاصُ مُفْتَتَحي وَمَخْلَصِي لِصَلاتِي (حُسْنُ مُخْتَتَمِي)

٢٧ - «بديع البديع في مدح الشفيع»:

بديعية محمد بن داود بن محمد البازلي الحموي، شمس الدين، أبو عبد الله الكردي الشافعي* ..

ولد بجزيرة ابن عمر - بلدة فوق الموصل - سنة (٨٤٥ هـ)، وتوفي فيها سنة (٩٢٥ هـ).

وقد نظم بديعيته هذه معارضاً بها الصفي الحلي.

---

(1) حسن التخلص: هو أن يستطرد الشاعر من معنى إلى معنى آخر يتعلق بممدوحه بتخلص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني.

(2) الكلام الجامع: هو أن يأتي الشاعر ببيت مشتمل على حكمة أو وعظ أو غير ذلك من الحقائق التي تجري مجرى الأمثال ويتمثّل الناظم بحكمها أو وعظها، أو بحالة تقتضي إجراء المثل.

(3) مراعاة النظير: أن يجمع الناظم أو الناثر امراً وما يناسبه مع إلغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة.

(*) انظر: الكواكب السائرة: ١ / ٤٧، شذرات الذهب: ٨ / ١٣٨، هدية العارفين: ٢ / ٢٢٨.

٢٨ - « بديعية البلاطنسي »:

وهو علي بن محمد بن خالد البلاطنسي الدمشقي*.

كانت وفاته سنة (٩٣٦ هـ).

وبديعيته هذه أشار إليها الأستاذ أحمد عبيد على أنها موجودة في مكتبة آل المغربي ، وقال : « بديعية البلاطنسي ، صفحاتها (٤٥٠) . . وربما كانت هذه المخطوطة هي النسخة التي كتبها المؤلف نفسه »[١] .

ولعل اسم هذه البديعية : « نزهة الناظر وبهجة الخاطر »[٢] . ومن صفحاتها يتبين المرء أنها مشروحة شرحاً حافلاً .

٢٩ - « البديعية وشرحها »[٣] :

لنظامها وشارحها: علي بن محمد بن دقماق الحسيني**، المتوفى سنة (٩٤٠ هـ).

ويبدو أنه كان أديباً ناظماً ، عارفاً بعلوم العربية وأدبها ، ذلك أنه أشار في مقدمة شرحه إلى ما يوحي بهذا إذ قال : « وكنت عملت كتاباً في البديع ، سمّيته : « بالرياض الموسومة وشواهد البديع المنظومة »، اقتفيت أثر الإمام أبي يعقوب السكاكي ، ثم وقفت على شرح البديعيات للشيخ تقي الدين بن حجة الحموي . . فاستخرت الله تعالى ، ونظمت قصيدة أمدح بها النبي ﷺ ونسجت على منوالهم ، وجمعت فيها أنواع البديع حسب ما اتفق عليه علماء هذا الفن ،

(*) انظر: الضوء اللامع : ٦ / ٣١، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : مجلد ١٨ / ١٣٠ ، هدية العارفين : ١ / ٧٤٣ ، معجم المؤلفين : ٧ / ١٩٤ .

(١) مجلة مجمع اللغة العربية : ١٨ / ١٣٠ .

(٢) انظر : إيضاح المكنون : ٢ / ٦٤٢ ، وهدية العارفين : ١ / ٧٤٣ .

(٣) نسختها في برلين تحت رقم (٧٣٧٩).

(**) تاريخ الآداب العربية (زيدان): ٣ / ٢٩٨ .

ولكن لم أتعرض إلى تسمية النوع مخافة أن يقال فيّ كما قيل في الموصلي »[1].

وبذلك يكون ابن دقماق قد أعطانا دوافع نظم هذه البديعية ، ووصفاً لها . وجاء مطلعها :

سِرْ بِي لِسِرْبِي وَعَرِّجْ بِي إلى إضَمٍ   وَسَلْ عُرَيْبَ النَّقَا عَنْ جِيْرَةِ العَلَمِ

وعدد أبيات هذه البديعية (١٧٠) بيتاً ، فيها (١٧٣) نوعاً بديعياً ، ومع ذلك فقد أخلّ بذكر تسعة أنواع وردت في بديعية الصفي ، وهي : (الجناس المقلوب) و(ائتلاف المعنى مع المعنى)، و(المشاكلة)، و(المواردة)، و(الاختراع)، و(حسن الاتباع)، و(ما لا يستحيل بالانعكاس)، و(العقد)، و(الترصيع) وإن كان قد ذكر بعض هذه الأنواع مجزّأة مفصّلة .

وقد أشار إلى عدم ولوجه باب التورية بالاسم البديعي ، خشية أن يقال فيه كما قال ابن حجة عن العز الموصلي : « ما أعرب عن بناء بيوت أَذِنَ الله أن ترفع . . وربما رضي في الغالب بتسمية النوع ، ولم يعرب عن المسمى » [2].

ومما جاء فيها قوله في (التخيير) [3].

عَدِمْتُ إذْ وَثِقَتْ رُوحي بِهِم جَلَدي   وَبُدِّلَتْ صِحَّتِي بِالـذُّلِّ والسَّقَمِ

ومنها في (القول بالموجب) [4]:

قالُوا : تَسَلَّ عَنِ الأَحْبَابِ قُلْتُ لَهُم   بِنارِ وَجْدِي عَلَيْهم يَـوْمَ بَيْنِهِمِ

---

(١) البديعية وشرحها : المقدمة .

(٢) خزانة الأدب ، ص : ٢ .

(٣) التخيير : هو أن يأتي الشاعر ببيت يتقفى بقواف شتى ، فيتخير منها قافية مرجّحة على سائرها يستدل بتخييرها على حسن اختياره .

(٤) القول بالموجب : هو أن يخاطب المتكلم مخاطباً بكلام ، فيعمد المخاطب إلى كلمة مفردة من كلام المتكلم فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلم .

وقوله في (السهولة)[1] :

خَيْرُ الأَنامِ شَرِيفٌ نالَ مَـرْتَبَةً ‏ ‏ مَا نالَهَا أَحَدٌ فِي الفَخْرِ وَالعِظَمِ

وفي (الالتزام) يقول[2] :

كَرِيمُ نَفْسٍ لَهُ في الجُوْدِ والكَرَمِ ‏ ‏ فَاضَتْ أَيادٍ كَفَيْضِ الوابِلِ العَرِمِ

وختمها بقوله :

فَلَيسَ لي عَمَلٌ أَرْجو النَّجاةَ بِهِ ‏ ‏ سِوىٰ مَدِيحِكَ في نَثْرِي وَمُنْتَظَمِي

وقد شرحها شرحاً حافلاً ، إلا أن صاحب « الصبغ البديعي » تعجّل أيضا وقال في حق هذه البديعية : « ولا تزال مغمورة بين المخطوطات عارية عن الشرح »[3] .

٣٠ - « تمليح البديع بمديح الشفيع »[4] :

بديعية شيخ وراقة مصر في عهده ، عبد الرحمن بن أحمد بن علي الحميدي* . أديب شاعر ، قال عنه الخفاجي : « الأديب الذي تفتحت بصبا اللطف أنوار شمائله ، ورقّت على منابر الآداب خطباء بلابله . إذا صدحت بلابل معانيه وتبرّجت حدائق معاليه جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري »[5] .

---

(١) السهولة : هي خلو اللفظ من التكلف والتعقيد والتعسف في السبك .

(٢) الالتزام (لزوم ما لا يلزم) : هو أن يلتزم الشاعر في شعره ، أو الناثر في نثره ، قبل حرف الروي حرفاً آخر فصاعدا على قدر قوته ، مع عدم التكلف .

(٣) ص : ٤٥١ .

(٤) طبعت ضمن ديوانه « الدر المنظم في مدح الحبيب الأعظم ». في مصر - مطبعة بولاق سنة ١٣١٣ هـ.

(*) ترجمته في : ريحانة الألبا : ٢ / ١١٤ - ١١٦ ، خلاصة الأثر : ٢ / ٣٧٦ - ٣٧٧ هدية العارفين : ١ / ٥٤٧ ، معجم سركيس : ٧٩٩ الأعلام : ٣ / ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٥) ريحانة الألبا : ٢ / ١١٤ .

وكانت وفاته سنة (١٠٠٥ هـ).

ومطلع هذه البديعية :

رِدْ رَبْعَ أَسْما وأسمىٰ ما يُرامُ رُمِ   وَحَيِّ حيًّاً حَواها مَعْدِن الكَرَمِ

وهي تقع في (١٤٠) بيتاً ، وتحتوي على (١٦٨) نوعاً بديعياً ، ليس بينها : (الجناس المطلق)، و(الملفق)، (النزاهـة)، (الاستدراك)، (الاستثناء)، (التتميم)، (المواردة)، (التوليد)، (التوهيم).

وقد ذكر عدد الأنواع والأبيات وتاريخ النظم في بيت واحد وهو :

١٦٨ ١٤٠ ٩٩٢

جَا نَوعُهُ (مصلح) أَبْيَاتُهُ (مِئَن)   أَرّخْتُهُ (ناظِما) لِلحاسِبِ الفَهِمِ

ولم يلتزم فيها بذكر اسم النوع في البيت ، وهي بديعية في جملتها تتصف بالتكلف والتصنع ، وهذا ما بيّنه الخفاجي في أثناء ترجمته[١] .

ومن أبياتها قوله في (الإشارة)[٢] :

وَجِيْهُ وَجْهٍ يُفِيْـدُ النَّاظِـريْنَ بِهِ   عِزّاً وجَاهاً وَمَوْفُوراً مِن النِّعَمِ

وقوله في (التفسير)[٣] :

غَيْثٌ وَغَوْثٌ فَغَيْثٌ في العَطَاءِ وَفي الـ   خُطُوبِ غَوْثٌ مُزِيْلُ الكَرْبِ والوصَمِ

وقوله في (العنوان)[٤] :

قَدْ صَانَهُ الله عن سُوءٍ فَأَنْبَأَهُ   نُطْقُ الذّراعِ بِسُمٍّ دُسّ في الدّسَمِ

---

(١) انظر ريحانة الالبا :٢ / ١١٥ - ١١٦ .

(٢) الإشارة : هو أن يكون اللفظ القليل مشتملا على المعنى الكثير بإيماء ولمحة تدل عليه .

(٣) التفسير : هو أن يأتي المتكلم أو الشاعر في بيت بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون تفسيره إما في البيت الآخر أو في بقية البيت . .

(٤) العنوان : أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر . . أو غير ذلك ثم يأتي لقصد تكميله بألفاظ تكون عنواناً لأخبار متقدمة وقصص مبالغة .

وفي (تجاهل العارف)[1] وأسماه : سؤال العالم عما يعلم ، يقول :

أتلكَ أشْراكُ أجْفَانٍ وقَعْتُ بها   أمْ ذِي حَبائلُ سِحْرٍ أوْهَلَتْ قَدَمي

وفي (الختام) و(ختام الختام) يقول :

صَلّى السّلامُ وَحَيّا بالسّلامِ على   جِمَى مُحَيّاكَ في بَدءٍ وَمُخْتَتَمِ
والآلِ والصَّحْبِ والأتْباعِ ما دَنِفٌ   كَنّى بأسماء عَمّا رامَ في الكَلِمِ

وقد شرحها بشرح أطلق عليه : « منح السميع شرح تلميح البديع بمدح الشفيع ».

٣١ - « بديعية ثانية » للحميدي :

وهي من (البديعيات) المخالفة للقياس المتبع في حرف الروي ، إذ جاءت على روي الكاف المكسورة ، ومطلعها :

بَدِيْعُ حُسْنِكَ أبْدَى مِنْ مُحَيّاكِ   (بَرَاعَةً تَسْتَهِلُّ) البِشْرَ لِلباكِي

وواضح من البداية أنه التزم فيها التورية باسم النوع البديعي ضمن البيت .

ويتبادر إلى الذهن ، لدى مراجعة هذا المطلع ، أنها قد تكون منسوجة على منوال كافية الشريف الرضي :

يَا ظَبْيَةَ البَانِ تَرْعَى في خَمَائِلِهِ   لِيَهْنِكِ اليَوْمَ أنَّ القَلْبَ مَرْعَاكِ

والبديعية تقع في (١٢١) بيتا ، « تخلص فيها للمديح النبوي »[2].

---

(١) تجاهل العارف : هو سؤال المتكلم عما يعلم سؤال من لا يعلم ليوهم أن شدة التشبيه الواقع بين المتناسبين أحدثت عنده التباس المشبه بالمشبه به ، وفائدته المبالغة في المعنى .
(٢) الصبغ البديعي ، ص : ٤٥٢ .

٣٢ - « بديعية » :

لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد الحموي* ، المصري الإقامة والوفاة . قال المحبي : « كان إماما عالما بالفقه والتفسير والحديث والقراءات والأصول والنحو كثير الاستحضار للأحاديث النبوية خصوصاً المتعلقة بالأوراد والفضائل ، أديباً ذكيّاً فصيحاً ، صالحاً ورعاً متواضعاً . . . وبالجملة فهو من كملة الرجال »(١) .

توفي سنة (١٠١٧ هـ) بمصر .

وبديعيته هذه لم يأت بها على سنن الحلي وغيره ممن التزموا بشروطها الخاصة وإنما خالفهم بحرف الروي ، فجاءت على النون المكسورة ومطلعها :

هَجْرِي عَلَيَّ وَلِي وَصْلٌ بِأَحْيَانِي   أَماتَنِي الهَجْرُ جَاءَ الوَصْلُ أَحْيَانِي

ولم يقيض لي قراءتها ، أما صاحب « الصبغ البديعي » فقد أباح لنفسه الحكم عليها بقوله : « يبدو عليها الركاكة ، ويغمرها التكلف »(٢). ولا أدري إن كان قد اطّلع عليها بالفعل بينما نالت هذه البديعية إعجاب أديبٍ معروف هو عبد البر بن عبد القادر الفيومي ، لدرجة أنه أنشأ بديعية في معارضتها(٣).

٣٣ - « بديعية » :

عبدالقادر بن محمد بن يحيى الحسيني الطبري ، المكي الشافعي** .

ولد في مكة سنة (٩٧٢ هـ). ونشأ وترعرع فيها برعاية والديه ، وأكمل حفظ القرآن وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، وحفظ عدة متون ، وأجيز سنة

(*) خلاصة الأثر : ٣ / ٤٨٨ - ٤٩٠ ، هدية العارفين : ٢ / ٢٦٧ .

(١) خلاصة الأثر : ٣ / ٤٨٨ - ٤٨٩ .

(٢) ص : ٤٥٢ .

(٣) سيأتي الحديث عنها بعد قليل .

(**) انظر : خلاصة الأثر : ٢ / ٤٥٧ - ٤٦٤ ، البدر الطالع : ١ / ٣٧١ - ٣٧٢ ، مجلة المجمع العلمي العربي : ٥ / ١٣٥ ، معجم سركيس : ١٢٣١ ، الأعلام : ٤ / ٤٤ .

(٩٩١ هـ)، ومنذ هذا الوقت بدأ بالاشتغال في العلم والتصنيف ، حتى وفاته سنة (١٠٣٣ هـ) بمكة ، وقد خلّف آثاراً متعددة[١] .

وبديعيته هذه مطلعها :

(حُسْنُ ابتِدَاءِ) مَدِيْحِي حَيّ ذِي سَلَمِ   أَبْدىٰ (بَرَاعَةَ الاسْتِهْلالِ) في العَلَمِ

وقد أوردها ابن معصوم ضمن شرحه « أنوار الربيع في أنواع البديع »، وبلغ عدد أبياتها فيه (٩٤) بيتا ، تتضمن (١٠٤) أنواع بديعية ، والظن أن البديعية فوق هذا العدد[٢] . وقد التزم فيها التورية باسم النوع البديعي ضمن البيت ، وهذا واضح من بيت المطلع . ومن أبياتها قوله في (التورية):

خَيْرُ الخَلائِقِ ذُو جَدٍّ يُنَاصِرُهُ   وَعَمّهُ لِلعِدىٰ (ورّىٰ) بِعَزْوِهِمِ

وفي (التشبيه) قال :

فَاقَ الأنامَ فلا (تَشْبِيْهَ) بيْنَهُمَا   صُغرىٰ عَزَائِمِهِ تَزْكُو عَلَى الهِمَمِ

وفي (المشاركة)[٣] يقول :

لَهُ الوَسِيلَةُ أَعْني في الجِنَانِ بما   قَدْ خصّ نفياً لإِبْهام (اشْتِراكِهِم)

وفي (التتميم)[٤] يقول :

تَدرّعوا الحُسْنَ (تتميماً) وكم مَنَحوا   مآثراً أثْمَرَتْ حَمْداً لمجدهم

---

(١) من هذه الآثار : « عيون المسائل من أعيان الرسائل » جمع فيه زبدة أربعين علماً ، « الآيات المقصورة على الأبيات المقصورة » وهو شرح المقصورة الدريدية ، « نشأة السلافة بمنشآت الخلافة ».

(٢) ولذلك لن أعدد في وصفها ووصف أمثالها مما ورد عرضا في شروح أخرى الأنواع التي لم ترد فيها ووردت في بديعية الصفي الحلي .

(٣) المشاركة : (الاشتراك): وهو أن يأتي الناظم في بيته بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا أو فرعيا ، فيسبق ذهن سامعها إلى المعنى الذي لم يرده الناظم فيأتي في آخر البيت بما يؤكد أن المقصود غير ما توهمه السامع .

(٤) في البيت ضرورة وهي صرف (مآثر). والتتميم : هو الإتيان في النظم أو النثر بكلمة إذا طرحت من الكلام نقص حسنه ومعناه .

وفي (براعة الطلب)[1] و (حسن الختام) قال :

وَ(مَطْلَبِي) أَنتَ أَدْرىٰ مِنْ (بَرَاعَتِه)   بِـهِ فَحَـالِيَ مِنْهَـا غَـيْرُ مُنْكَتِمِ
فَإِن ظَفِرْتُ بِهِ فالفَضْل مُعْتَمَدِي   أَوْ لا فَإِنَّ رَجَائِي (حُسْنَ مُخْتَتَمِي)

وقد أطلق على شرحه عليها اسم : « علو الحجة بتأخير أبي بكر بن حجة » .

٣٤ - « بديعية » :

صلاح الدين بن محيي الدين الكوراني* .

« الحلبي مولداً وتربةً ، شيخ الأدب ومركز دائرته بقطر الشهباء ، وكان رئيس الكتّاب بمحكمة قاضي قضاتها . . من مشاهير الأدباء ، له شعر مطبوع ونظم مصنوع ، مع مشاركة في فنون عديدة ، وخبرة بمفاهيم عجيبة ، وهو من الكثيرين في الشعر فليس لأحد من أبناء عصره عشر ما له من الشعر ، وناهيك بمن لم يخلُ بياضُ يوم ولا سواد ليلة من تبييض وتسويد »[2] . وكانت وفاته سنة (١٠٤٩ هـ) .

أما بديعيته فقد أشار إليها صاحب (إعلام النبلاء) فقال : « نظم بديعية بديعة ، أحسن فيها المخلص من رقة نسيبها بمديح صاحب الشريعة ، وشرحها شرحا غريب الطراز والأسلوب ، كأنه القدح المسكوب أو القـدح المشبوب »[3] . ومن هذا القول عرفنا البديعية وشرحها ، كما أشار إليها

---

(١) براعة الطلب : وهو أن يلوح الطالب بالطلب بألفاظ عذبة مهذبة منقحة مقترنة بتعظيم الممدوح خالية من الإلحاف والتصريح . بل يشعر بما في النفس دون كشفه .

(*) ترجمته في : ريحانة الألبا : ١ / ٢٨١ - ٢٨٣ ، خلاصة الأثر : ٢ / ٢٥٢ - ٢٥٦ ، إعلام النبلاء : ٦ / ٢٥١ - ٢٦٨ .

(٢) خلاصة الأثر : ٢ / ٢٥٢ .

(٣) ٦ / ٢٥٨ .

البكرجي في مقدمة شرح بديعيته[1] .

٣٥ ـ « بديعية » :

عبد الله الزفتاوي* ، المتوفي سنة (١٠٥٩ هـ). ومطلعها :

لَدَيَّ في مَدْحِ أَهْلِ الحَيِّ من إضَمِ   (بَرَاعَةٌ) تُوْجِبُ (اسْتِهْلاَلَها) بِفَمِي

وقد التزم الخطيب الزفتاوي في بديعيته هذه ، التي عارض فيها بديعية ابن محرز[2] ، أن يذكر اسم النوع البديعي ضمن البيت .

ووردت هذه البديعية ضمن شرح الصلاحي « نخبة البديع في مدح الشفيع »، وبلغ عددها فيه (١٣١) بيتاً ، تحتوي على (١٣٥) نوعاً بديعيا ، كما أورد عبد الحميد قدس في شرحه بيتاً لنوع (حصر حروف الهجاء) لم يذكره الصلاحي معها ، فيصبح العدد (١٣٢) بيتاً . .

من هذه الأبيات قوله في (التجزئة)[3] :

(مُسْتَجْزِئٌ) بِدَمِي مُسْتَهْزِئٌ بِعَمِي   مُسْتَطْفِيءٌ بِفَمِي مُسْتَكْفِيءٌ بِكَمِ

وفي (الاتساع) يقول[4] :

حَازوا (اتِّسَاعَ) صُدُورٍ وارْتَقُوا رُتَباً   عَلِيَّةً مَع طُولِ الباعِ والشِّيَمِ

وفي (التشطير)[5] :

مِنْ كُلِّ مُقْتَدِرٍ لِلْحَـرْبِ مُبْتَدِرٍ   في الله مُعْتَصِمٍ (تَشْطِير) مَدْحِهِمِ

---

(١) انظر حلية العقد البديع ، ص : ٤ .

(*) تاريخ الآداب العربية (زيدان): ٣ / ٢٩٩ .

(٢) انظر طالع السعد الرفيع ، ص : ١١٠ ـ ١١١ .

(٣) التجزئة : هي أن يأتي المتكلم ببيت ويجزئه جميعه أجزاء عروضية ويسجعها كلها على وزنين مختلفين جزءاً بجزء أحدهما على روي يخالف روي البيت والثاني على روي البيت .

(٤) الاتساع : هذا النوع يتسع التأويل فيه على قدر قوى الناظم فيه وبحسب ما تحتمل ألفاظه من المعاني .

(٥) التشطير : هو أن يقسم الشاعر بيته شطرين ، ثم يصرّع كل شطر منهما ، لكنه يأتي بكل شطر من بيته مخالفا لقافية الآخر ليتميز كل شطر عن أخيه .

وحسن ختامها قوله :

صَلّى وسَلّمَ تَضْعِيفاً عَلَيْكَ رِضى   رَبُّ العَلايا (خِتَامَ) الرُّسْلِ كُلِّهِمِ

وقد شرحها عبد اللطيف العشماوي (ت بعد : ١٠٨٦ هـ) بشرح أطلق عليه اسم « حسن الصنيع بشرح نور الربيع ». كما أشار الصلاحي إلى أن ابن قرقماس قد شرحها فقال ، بعد أن ذكر بيت الزفتاوي المتضمن نوع (الاحتباك) :

« قال شارحها ابن قرقماس . . »(١) .

ولعله قصد بالشارح : شارح الأنواع لا البديعية ، لأن محمد بن عبد الله بن قرقماس توفي سنة (٨٨٣ هـ)٠ أو يكون غيره ما عرفته .

٣٦ - « تخميس قصيدة الحلي » :

لإبراهيم بن يحيى بن المهدي بن إبراهيم اليمني الزبيدي المعروف بالجحّاف* . توفي سنة (١٠٦٥ هـ).

٣٧ - « الطراز البديع في امتداح الشفيع » :

بديعية مفتي الشافعية بحلب في عصره ، أبي الوفاء بن عمر بن عبد الوهاب بن العُرْضي*.

---

(١) نخبة البديع في مدح الشفيع : ٢٠٧ / ب .

(*) هدية العارفين : ١ / ٣٣ .

(*) ريحانة الألبا : ١ / ٢٦٩ - ٢٧٣ ، خلاصة الأثر : ١ / ١٤٨ - ١٥٢ ، إعلام النبلاء : ٦ / ٣٠٨ - ٣١٨ ، فهرس الكتب الموجودة بدار الكتب المصرية : ٢ / ٢١٠ - ٢١٣ ، الأعلام : ٦ / ٣١٧ .

ولادته في حلب سنة (٩٩٣ هـ)، ونشأته فيها . تتلمذ على أبيه ، وغيره من علماء العصر ، ثم تصدر للإقراء ، وبقي في ذلك حتى آخر حياته سنة (١٠٧١ هـ)

كان عالماً متقناً ، حسن السمت ، متواضعاً ، له شعر حسن ونثر بارع قال الخفاجي : « له فضل لم تنظر عين الدهر لِمُنَافِيهِ ، بل كلما أجال طرفه رأى كل المنى فيه ، فإذا واد خصيب النوى والثمر ، وحديقة منمنمة الأطراف والطرر سقتها غمائم نداه ، وباكرها صيِّبُ جدواه ، بلا مِنّة لحوامل السحائب ، ولا انتظار لقوافل الصّبا والجنائب »[1] .

وقد خلّف لنا العُرْضي آثاراً متعددة ، منها[2] هذه البديعية التي مطلعها :

(بَرَاعَتِي) في ابْتِدَا مَدْحِي لِذِي سَلَمِ   قَدِ (اسْتُهِلّتْ) بِدَمْعٍ فَاضَ كَالعَلَمِ

وقد التزم فيها التورية باسم النوع البديعي ضمن البيت ، وجاءت في (١٥١) بيتاً ، تحتضن (١٥٥) نوعاً بديعياً ، ومع ذلك فقد أخلّت هذه البديعية بسبعة أنواع هي : (الجناس المحرف)، (النزاهة)، (التسليم)، (الموازنة)، (الكناية)، وقد ذكرها مجزّأة ، (التوزيع)، (الاستعانة).

ومما جاء فيها قوله في (الجمع)[3] :

عِلْمٌ وَحِلْمٌ وُجُودٌ مَع شَجَاعَتِهِ   (جَمْعٌ) تَكَمّلَ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَصِمِ

وقوله في (التقسيم)[4] :

(تَقْسِيمُ) أَوْقَاتِهِ في الخَيْرِ مُشْتَهِرٌ   في العزّ والنُّصْحِ والطّاعات والكَرَمِ

---

(١) ريحانة الألبا : ١ / ٢٦٩ .

(٢) ومنها : « معادن الذهب في الأعيان المشرّفة بهم حلب »، « طريق الهدى » في التصوف

(٣) الجمع : هو أن يجمع المتكلم بين شيئين فأكثر في حكم واحد .

(٤) التقسيم : هو ذكر متعدد ، ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين .

وفي (الجمع والتفريق)[1] :

كَالبدْرِ وَجْهاً وقَلْباً في الجَمَال وَفي شقٌّ يُشِيرُ إلى (تَفْريقِ جَمْعِهِم)

وفي (الجمع والتقسيم)[2] يقول :

(جَمْعُ) الكَلامِ (بِتَقْسيمٍ) يُفَرِّقُهُ يَعْفو عَنِ الذَّنْب ، يُولي وابِلَ النِّعَمِ

وفي (الترتيب)[3] يقول :

(تَرْتِيبُ) خِلْقَتِه حُسْناً قَدِ انْتَظَمتْ في الوجْهِ والثَّغْرِ والكَفَّيْنِ والقَدَمِ

وحسن ختامها قوله :

بَدَأْتُ فِيْهِ وَفي أَوْطَـانِهِ مِـدَحاً أَرْجُو بِمِسْكِ خِتامي (حُسْنَ مُخْتَتَمِي)

وقد شرح أبو الوفاء بديعيته بشرح جيد سمّاه : « فتح البديع في حلّ الطراز البديع في امتداح الشفيع »[4] .

٣٨ - « إرشاد المطيع في التوشيع » :

بديعية عبد البر بن عبد القادر بن محمد الفيومي* .

أديب ، له نظم ونثر ، نشأ في القاهرة ، وتتلمذ على علمائها ، وكانت له

---

(١) الجمع والتفريق : هو أن يجمع الشاعر بين شيئين في حكم واحد ، ثم يفرّق بينهما في ذلك الحكم .

(٢) الجمع والتقسيم : هو أن يجمع الناظم بين شيئين فأكثر ، ثم يقسّم .

(٣) الترتيب : أن يجنح الشاعر إلى أوصاف شتى في موضوع واحد أو في بيت وما بعده على الترتيب ، ويكون ترتيبها في الخلقة الطبيعية ولا يدخل الناظم فيها وصفاً زائداً عما يوجد علمه في الذهن أو في العيان .

(٤) وله نسخة في مكتبة برلين برقم (٧٣٨٣) ، وأخرى بدار الكتب المصرية برقم (٢٨٠).

(*) خلاصة الأثر : ٢ / ٢٩١ - ٢٩٨ ، إيضاح المكنون : ١ / ٦٣ ، ٤٠٥ ، هدية العارفين : ١ / ٤٩٨ ، الأعلام : ٣/ ٢٧٣ .

رحلة إلى مكة ، فدمشق ، فحلب ، فالقدس ، فالأستانة ، حيث انتهت هناك رحلاته وحياته سنة (١٠٧١ هـ).

كان أديباً متفوقاً ، وشاعراً مطبوعاً مقتدراً على الشعر ، قريب المأخذ ، سهل اللفظ حسن التأليف للمعاني ، مخالطاً لكبار العلماء والأدباء ، معدوداً من جملتهم »[1] . وله عدة تآليف[2] .

وبديعيته هذه مطلعها :

لَمّا تَذَكَّرْتُ سَفْحَ الخَيْفِ والبَانِ   أَهَلَّ دَمْعِي ورَوَّى رَوْضَةَ البَانِ

وهي من (البديعيات) المخالفة التي لم تجيء على روي الميم المكسورة ، وواضحٌ من المطلع أنه تخفّف من التورية باسم النوع ضمن البيت .

وقد سبقت الاشارة في الكلام على بديعية محمد بن عبد الرحمن الحموي ، أن بديعية الفيومي هذه كانت معارضة لبديعية شيخه الحموي ، ولذلك التزم برويّها المخالف أيضاً .

وللفيومي شرح على بديعيته ، إلا أن الشرح والبديعية مفقودان ، فيما أعلم .

٣٩ ـ « بديعية » :

الحسن بن أحمد بن محمد بن علي الحسني العلوي ، الجلال اليمني* .

ولادته ، ونشأته ، ووفاته في اليمن . وهو إمام فاضل ، وعالم عارف

(١) خلاصة الأثر : ٢ / ٢٩١ .

(٢) منها : « منتزه العيون والألباب في بعض المتأخرين من أهل الآداب »، « بلوغ الأرب والسُّوْل بالتشرف بذكر نسب الرسول »، « حسن الصنيع في علم البديع ».

(*) خلاصة الأثر : ٢ / ١٧ ـ ١٨ ، البدر الطالع : ٢ / ١٩١ ، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف : ٢ / ٥٦٨ ـ ٥٨٢ ، الأعلام : ٢ / ١٨٢ ـ ١٨٣ ـ

بالتفسير، والعربية والمنطق. قال المُحبّي: «وبالجملة فهو من أفراد اليمن وفُور فضل وأدب، وكثرة تآليف وتصنيف، وكانت وفاته في منزله بالخراف، من أعمال صنعاء، سنة (١٠٧٩ هـ)[١]». وله عدة تآليف[٢].

وهذه البديعية ذات المطلع:

ماذا على الرَّكبِ مما ذَاعَ لِلآسِي بَعْدَ الطَّبِيْبِ الذي في طِيْبَةَ الآسي[٣]

وهذا المطلع يشير إلى شيئين اثنين: الأول: أنه لم يورّ باسم النوع البديعي في أثناء البيت، والثاني: أن البديعية مخالفة للنهج العام من حيث حرف الروي الذي جاء فيها سينا مكسورة.

وقد أورد صاحب «نشر العرف» هذه البديعية - ولعلها غير كاملة - ضمن ترجمة صاحبها وقال: «وله السحر الحلال، بديعية السيد الإمام الحسن الجلال»[٤]. ولا أدري إن كان يقصد بـ«السحر الحلال» صفة للبديعية أو اسماً لها. وعلى كل بلغ عددها (٧٣) بيتا، فيها (٧٩) نوعاً بديعياً.

ومن هذه الأبيات قوله في (الاستعانة)[٥]:

---

(١) خلاصة الأثر: ٢ / ١٨. وفي «النشر» و«الأعلام» وفاته سنة (١٠٨٤ هـ).

(٢) من هذه التآليف: «تكملة الكشف على الكشّاف»، «شرح على الكافية في النحو» «شرح على الفصول في الأصول للسيد ابراهيم الوزير».

(٣) الآسي الأول: من أسي، تَحَزن، إذا لم ينل أمله، والثاني: الطبيب.

(٤) ٢ / ٥٦٨.

(٥) الاستعانة: هو تضمين بيت كامل أو أكثر لغيره يستعين به، مع التنبيه على أنه من شعر غيره إذا لم يكن مشهوراً عند البلغاء، وإن كان مشهوراً فلا احتياج إلى التنبيه بعد أن يوطّىء له ما يناسبه بروابط متلائمة. والبيت المستعان به من قصيدة الحطيئة في هجاء الزبرقان بن بدر، وروايته في الديوان (ط. أولى ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م - مصر. تحقيق: نعمان أمين طه)، ص: ٢٨٣:

لَقَدْ مَرَيْتُكُم لَوْ أَنَّ دِرَّتَكُم يَوْماً يَجِيءُ بِها مَسْحِي وإِبْسَاسِي

مريت الناقة: مسحت ضرعها لتدر، والأبساس: صوت تُسَكّن به الناقة عند الحلب، تقول: بس، بس.

وَقَـدْ مَـرَيْتُكُـمْ لٰكِنَّ دَرَّكُـم   يـوماً يَجِيءُ بِـلا مَرٍّ وإبْسَـاسِ

وقوله في (التمكين)[1] :

يَنَـالُ بُغْيَتَـهُ مَنْ رَاحَ يَـطْلُبُكُم   وَقَـدْ تَمَسَّكَ لِلَّرجْوىٰ بِأَمْـراسِ

وقوله في (التلميح)[2]:

حاشاكُم أنْ يُرىٰ سَهْمي بِفَضْلِكُم   سَهْمَ العُبَيْد أوِ المُعْطى لِعَبَّاسِ

وحسن ختامها ، وفيه (الاقتباس)[3]:

يَسْقُونَهُ مِنْ رَحِيقٍ والخِتَـام لَهُ   مِسْكٌ يُنَافِسُ فيه خَيْرَ أَنْفَاسِ

وقد شرحها شرحاً صغيراً ، أشار إليه صاحب « النشر » بقوله : « وقد شرحها بشرح لطيف في نحو ثلاثين صفحة»[4].

٤٠ ـ « بديعية » :

محمود بن خليل دامات بياضي زادة* .

ولد في بلدة موستار ، وتعلم فيها ، ثم رحل إلى استانبول فأخذ عن

---

(١) التمكين : هو أن يمهّد الناثر لسجعه فقرة ، أو الناظم لقافية بيته تمهيداً تأتي به القافية ممكنة في مكانها . .

(٢) التلميح : أن يشير الناظم في بيت ، أو قرينة سجع ، إلى قصة معلومة ، أو نكتة مشهورة . أو بيت شعر حفظ لتواتره ، أو إلى مثل سائر يجريه في كلامه على جهة التمثيل وأحسنه وأبلغه ما حصل به زيادة في المعنى المقصود . وقد أشار الناظم في بيته إلى قصة العباس بن مرداس مع النبي ﷺ حين قسم بين عُيَيْنة ابن حصن والأقرع بن حابس نصيبه ونضيب فرسه من المغنم فقال :

أَيـقْـسَـمُ نَهْبِي ونَهْبَ الـعُـبَـيْـد   بَـيْنَ عُـيَـيْـنَـة والأَقْـرَعِ
فَـما كـانَ حِـصْنٌ ولا حَـابِسٌ   يَـفُـوقَـانِ مِـرْداس في مَجْمَـعِ

(٣) الاقتباس : أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية أو آية من آيات كتاب الله خاصة.

(٤) ٢ / ٥٦٨ .

(*) هدية العارفين : ٢ / ٤١٦ ، الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة : ١٢٩ ، معجم المؤلفين : ٢ / ١٦٢ .

علمائها ، ثم تولى القضاء في حلب ، وتوفي فيها سنة (١٠٩٩ هـ)(١) .

« كان عالماً مشهوراً معروفاً بإتقانه علم المعاني والبيان والبديع والفقه ، ومن آثاره العلمية : البديعية ، في علم البديع »(٢).

٤١ - « بديعية » :

محمد ناظم الملتقي** .

وهي بديعية مخالفة ، جاء رويها على اللام المكسورة ، ومطلعها :

بِحَيِّهِم حَيِّهِم باب السَّلام فَلِي ... بِهِ بُدُورٌ وَراء الحُجْبِ في حُلَلِ

ويظهر من المطلع ابتعاده عن التورية باسم النوع البديعي . وله شرح عليها سماه : « تحفة الأدباء وتسلية الغرباء »، وكلا الشرح والبديعية موجودة في دار الكتب المصرية ، التي في فهرسها ما نصه : « تحفة الأدباء وتسلية الغرباء : وهو شرح للشيخ محمد ناظم الملتقي ، على بديعيته اللاميّة في أنواع البديع التي أنشأها في مدح النبي ﷺ ومدح أهل بيته ، . . أتمها تأليفا وكتابة قبل غروب الشمس من يوم الجمعة المبارك ، التاسع من شهر رجب سنة (١١٠٥ هـ) ويظهر أنها مسوّدة المؤلف »(٣).

٤٢ - « تقديم علي »(٤) :

وهي بديعية علي بن أحمد بن محمد بن معصوم المدني* .

---

(١) وفي « هدية العارفين » وفاته سنة (١٠٦٩ هـ).

(٢) الجوهر الأسنى ، ص : ١٢٩ ، ومن آثاره أيضا : « شرح بديعية ابن جابر »

(**) فهرس الكتب الموجودة بدار الكتب المصرية : ٢ / ١٨٢ .

(٣) ٢ / ١٨٢ .

(٤) يبدو أن تسمية هذه البديعية قد ورّي بها لغاية خلافية قديمة بين الشيعة وأهل السنة حول تقديم أبي بكر الصدّيق - رضي الله عنه - على عليّ - كرّم الله وجهه - في الخلافة . وفعل ابن معصوم هذا رداً على تسمية ابن حجة لبديعيته « تقديم أبي بكر ». وقد وجد كل من الناظِمَين عوناً من اسمه على ما ذهب إليه من تورية .

(*) ترجمه ترجمةً وافية شارك هادي شكر ، في مقدمة تحقيقه لشرح البديعية « أنوار الربيع في أنواع =

ولد في المدينة المنورة سنة (١٠٥٢ هـ)، وتتلمذ على أبيه وغيره من علماء عصره ، وتنقل في البلاد ، وأقام مدة في الهند ، واستقر أخيراً في شيراز حيث وافته المنية سنة (١١١٩ هـ).

اتصف بالعلم ، والشاعرية ، والدراية بتراجم الرجال . قال عنه المُحبّي : « إنه أبرع من أظلّته الخضراء ، وأقلّته الغبراء ، وإذا أردت علاوة في الوصف قلت : هو الغاية القصوى ، والآية الكبرى . طلع بدر سعده فنسخ الأهلّة ، وانهلّ سحاب فضله فأخجل السحب المنهلّة »[١] .

وقد تعددت مؤلفاته وتنوعت[٢] لتدل على سعة اطلاعه ومعرفته . كما التزم في بديعيته أن يورّي باسم النوع البديعي ضمن البيت ، على سنن العز الموصلي ، ومطلع هذه البديعية :

(حُسْنُ ابْتِدائي) بِذِكْري جِيْرَةَ العَلَمِ لَهُ (بَرَاعَةُ) شَوْقٍ (يَسْتَهِلُّ) دَمِي

وبلغ عدد أبيات هذه البديعية (١٤٩) بيتا[٣] ، فيها (١٥٥) نوعاً بديعياً ، وقد أخلّ بنوع (الاستعانة) فقط .

والملاحظ أنه تكلم في ـ المطبوع من ـ شرحه على نوع (الجمع مع التفريق والتقسيم) وشَرَحَه ، إلا أنه لم ينظم له شاهداً .

ونقتطف من هذه البديعية بعض أبياتها كقوله في (التهذيب والتأديب)[٤] :

= البديع »، ونقل من مصادر هذه الترجمة الكثير : فلْيُنْظَر هناك ، ١ / ٥ ـ ٢٣ .

(١) انظر : أنوار الربيع : ١ / ١٥ .

(٢) منها : « سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر »، « حديقة العلم »، « سلوة الغريب » وهو وصف لرحلته من مكة إلى حيدر أباد ، « الطراز في اللغة » على نسق القاموس المحيط . .

(٣) هذا مخالف لما صرح به في مقدمة شرحه (١ / ٣٣) من أن عدد بديعيته (١٤٧) بيتا . ومن يراجع البديعية يجد مصداق ما ذكرته في المتن .

(٤) التهذيب والتأديب : هو إعادة النظر مرة بعد أخرى في الكلام ، وتنقيحه وتهذيبه .

(تَهْذِيبُ) فِطْرَتِهِ أَغْناهُ عَنْ (أَدَبٍ) في القَوْلِ والفِعْلِ والأَخلاقِ والشِّيَمِ

وفي (الإستخدام)[1] :

وإنْ هُمُ (اسْتَخْدَمُوا) عَيْنِي لِرَعْيِهِمِ أَوْ حَاوَلُوا بَذْلَها فَالسَّعْدُ مِنْ خَدَمي

وفي (التسهيم)[2]:

بِهِ دَعا ، إذ دَعَا فِرْعَوْن شِيْعَتَه ، مُوسَىٰ فَأَفْلَتَ مِنْ (تَسْهِيْمِ) سِحْرِهِمِ

وفي (نفي الشيء بإيجابه)[3] :

(نَفْيٌ بإيجابه) عنّا بِسُنَّتِهِ جَهْلاً نَضلُّ بِهِ عَنْ واضِحِ اللَّقَمِ

وفي (الإستثناء)[4]:

سَلَوْتُ مِن بَعْدهم حَيْفَ القُذْودِ فَلَم (أَسْتَثْنِ) إلا غُصُوناً شُبِّهتْ بِهِم

وحسن ختامها قوله :

أَلْحِقْ بِحُسْنِ ابْتِدائي ما أَنَالُ بِهِ حُسْنَ التَخَلُّصِ يَتْلُو (حُسْنَ مُخْتَتَمِي)

ومعروف أنه شرحها شرحاً مطولاً أطلق عليه اسم : « أنوار الربيع في أنواع البديع »[5].

---

(١) الإستخدام : أن يؤتي بلفظ له معنيان فأكثر ، مراداً به أحد معانيه ، ثم يؤتي بضمير مراداً به المعنى الآخر ، أو بضميرين مراداً بأحدهما أحد المعاني ، وبالآخر المعنى الآخر .

(٢) التسهيم : هو أن يؤسِّس الكلام على وجه يدل على بناء ما بعده .

(٣) نفي الشيء بإيجابه : هو أن يكون الكلام ظاهره إيجاب الشيء ، وباطنه نفيه ، بأن ينفي ما هو من سببه كوصفه وهو المنفي في الباطن .

(٤) الإستثناء : نوعان : لغوي : وهو إخراج القليل من الكثير . وصناعي : وهو الذي يفيد بعد إخراج القليل من الكثير معنى يزيد على معنى الإستثناء ويكسوه بهجة وطلاوة .

(٥) وقد طبع في العراق ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م ، بتحقيق شاكر هادي شكر ، في سبعة أجزاء .

٤٣ - « بديعيّة » :

محمد بن محمد بن أحمد الرسام* .

كان موجوداً سنة (١١٣٨ هـ)(١) ، وله عدة مؤلفات(٢) ، و« بديعية التزم فيها أن تكون الشواهد على الأنواع .. »(٣) .

٤٤ - « نسمات الأسحار في مدح النبي المختار » :

البديعية الأولى لعبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي** .

الشيخ المتصوف ، والشاعر الناثر ، العارف بالدين والأدب ، مدرّس الجامع الأموي في حينه .

كانت ولادته في دمشق سنة (١٠٥٠ هـ) ، ووجّهه والده إلى قراءة القرآن وطلب العلم ، ثم مات أبوه وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، فنشأ يتيماً ، واستمر في طلب العلم حتى تصدّى للتدريس .

وقد طرأ له طارىء حَجَبَه عن الناس سبع سنين ، قيل عنه خلالها : إنه أصابه مَسّ من جنون ، ثم عاد إلى سيرته الأولى ، وعاد إليه طلاب العلم يأخذون عنه ويستجيزونه . كانت له رحلات كثيرة في البلاد ، دوّنها في كُتُب ، توقفت بعودته إلى دمشق ووفاته فيها سنة (١١٤٣ هـ) . وقبره ماثل في مسجدٍ باسمه ، موجود حتى يوم الناس هذا في صالحية دمشق ، بسفح جبل قاسيون .

(*) إيضاح المكنون : ١ / ٤٦١ ، هدية العارفين : ٢ / ٢١٧ ، معجم المؤلفين : ١١ / ١٨٩ .

(*) أفادني بهذا التاريخ أحد الأصدقاء يقوم بتحقيق كتاب للمؤلف ، ورفض أن يفصح عن مصدر ذلك لأنه مكتوب في المخطوط المُراد تحقيقه . علماً أن رضا كحالة قال : إنه من علماء القرن التاسع الهجري .

(١) منها : « الدرة المنيرة في مناظرة الجسر والجزيرة » ، « صحائف التصحيف ولطائف التحريف .

(٢) هدية العارفين : ٢ / ٢١٧ .

(**) سلك الدرر : ٣ / ٣٠ - ٣٨ ، فهرس الكتب الموجودة بدار الكتب المصرية : ٢ / ٢٢٢ ، معجم سركيس : ١٨٣٢ - ١٨٣٤ ، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية : ٢٣٣ ، الأعلام : ٤ / ٣٢ - ٣٣ .

وقد خلّف آثاراً كثيرة جداً ومتنوعة . منها[1] بديعيته هذه التي مطلعها :

يا مَنْزِلَ الرَّكْبِ بَيْنَ البَانِ والعَلَمِ   مِنْ سَفْحِ كاظِمَةَ حُيِّيْتَ بالدِّيَمِ

وقد آثر فيها عدم التزام تسمية النوع ضمن البيت ، واعتذر لذلك بقوله : « لأني رأيت ذلك إنما يكسب تنافر الكلمات ، وغرابة المباني ، وقلاقة المعاني . وليت شعري مع التصرف في اسم ذلك النوع ضرورة نظمه بين كلمات البيت كيف يظهر لمن لم يعرفه أن اسمه كذا ما لم يكن فهمه باسمه ورسمه ، وبعد ذلك لا يحتاج إلى تسميته بالكلية ، ولو أعجبني هذا الصنيع لكنت نسيم رياضه إلماماً . . »[2] .

وجاءت بديعيته هذه في (١٥٠) بيتاً ، تتضمن (١٥٥) نوعاً بديعياً ، وقد نظمها سنة (١٠٧٥ هـ) كما أشار في بيت تاريخها .

ومن أبياتها قوله في (الإبهام)[3] :

عِشْقي وَلَومُكَ فَلْنَتْرُكْ أَضَرَّهُما   لِلنَّفْسِ صُلْحاً بِلا قَاضٍ وَلا حَكَمِ

وقوله في (العكس والتبديل)[4] :

مَنْ قالَ حَلَّ دَمي يَوْمَ الفِراقِ لَكُمْ   يَومَ الفِراقِ لَكُم مَنْ قَالَ حَلَّ دَمِي

وقوله في (التهكم)[5] :

تَعْنِيْفُك الغيُّ والطُّغْيانُ لَوْمُكَ لِي   ياذَا النَّصُوح فَأَبْشِرْ فُزْتَ بالنِّقَمِ

---

(١) ومنها : « ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث » ، و« قلائد المرجان في عقائد أهل الإيمان » ، و« ذيل نفحة الريحانة » ، و« ديوان الحقائق » و« ديوان الدواوين » . .

(٢) نفحات الأزهار على نسمات الأسحار ، ص : ٥ .

(٣) الإبهام : هو الإتيان بكلام يحتمل معنيين متضادين بحيث لا يتميز أحدهما عن الآخر ، بل يقصد إبهام الأمر فيهما ، ولا يأتي في كلامه ما يحصل به التمييز فيما بعد .

(٤) العكس والتبديل : هو أن تقدّم في الكلام جزءاً ، ثم تعكس فتقدم ما أخّرت وتؤخر ما قدّمت .

(٥) التهك : هو الإستهزاء والسخرية بالمتكبرين لمخاطبتهم بلفظ الإجلال في موضع التحقير ، والبشاره في موضع التحذير .

وقوله في (ائتلاف المعنى مع المعنى)[1] :

مَواكِبُ الفَخْرِ يَومَ الحَرْبِ أَوْجُهُهُمْ   كَواكِبُ البِشْرِ يَوْمَ النائِلِ الرَّذِمِ

وحسن ختامها :

هٰذا مَدِيحِي فإنْ نِلْتُ القَبُولَ بِهِ   سَعِدْتُ ، أَوْلا فَحَسْبِي مَوْقِفُ التُّهَمِ

أما شرحه عليها فقد أطلق عليه اسم « نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار »[2].

٤٥ ـ « مليح البديع في مدح الشفيع » :

وهي بديعية عبد الغني النابلسي الثانية التي نظمها بعد الأولى سنة (١٠٧٧ هـ) ولم يزد فيها على الأولى شيئاً من الأنواع ، اللهم إلا التسمية التي التزم بها في هذه البديعية .

وقد أخلّ النابلسي ـ في البديعيتين ـ بذكر أربعة أنواع هي : (التمثيل) ، (الموازنة) ، (التوزيع) ، (الإستعانة) .

ومن أبيات هذه البديعية التي مطلعها :

يا حُسْنَ (مَطْلعِ) مَنْ أَهْوىٰ بِذِي سَلَمِ   (بَرَاعَةُ) الشَّوْقِ في (اسْتِهْلالِها) أَلَمِي

قوله في (التجريد)[3] :

(تَجَرَّدوا) مِنْ حَبِيْكِ الزُّغْفِ في لُجَجٍ   أُسْد الشَّرَىٰ مِنْ قَنَا الخَطِّيِّ في أَجَمِ

---

(١) ائتلاف المعنى مع المعنى : وهو قسمان : الأول : أن يشتمل الكلام على معنى من معاني الشعر كالمدح أو الحماسة أو الغزل . . وعلى أمرين ملائمين له فيقرن بهما من ذلك الكلام ما لاقترانه منه ، كالشاهد . والثاني : أن يشتمل الكلام على معنى معه أمران أحدهما ملائم له والآخر بخلافه فيقرن بالملائم .

(٢) وقد طبع ، وبحاشيته البديعية الثانية ، في مطبعة نهج الصواب في دمشق (١٢٩٩ هـ) .

(٣) التجريد : هو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر يماثله فيها مبالغة لكمالها فيه ، كأنه بلغ من =

وقوله في (حسن البيان)[١] :

أَرْجُو الزِّيَارَةَ مِنْ قَبْلِ المَمَاتِ وَفِي (حُسْنِ البَيَانِ) مَدِيْحِي غَيْرُ مُنْتَظِمِ

وقوله في (الطاعة والعصيان)[٢] :

مِنْ كُلِّ ذِي (طَاعَةٍ) لِلَّهِ يَتْبَعُهَا (عِصْيَان) نَفْسٍ بِمَا تَهْوَاهُ لَمْ تُلَمِ

وقوله في (المجاز)[٣] :

هُمُ (المجازُ) إلى دارِ الجِنانِ وهُم مَوْتُ الضَّلالِ وإحْياءُ الهدىٰ العَمِمِ

وبيت ختامها :

فَهَبْ لَهُ مِنْكَ عَفْواً يَسْتَفِيْدُ بِهِ (حُسْنَ الخِتَامِ) وَيَحْظَى مِنْكَ بالنِّعَمِ [٤]

ولم يشرح النابلسي هذه البديعية ، بينما شرحها وسابقتها تلميذه علي بن محمد القلعي الآتي ذكره بعد قليل[٥] ، فقد أشار إلى ذلك الجبرتي بقوله مشيراً إلى غياب القلعي عن مصر مدة وعودته وقد « كمل شرحه على بديعيته ، وعلى بديعيتين لشيخه الشيخ عبد الغني وغيره ممن تقدم »[٦] .

الإتصاف بتلك الصفة إلى حيث يصح أن ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة . . والزغف ، في البيت : الطعن .

(١) حسن البيان : هو عبارة عن الإبانة عما في النفس بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس ، وقد تكون العبارة عنه تارة من طريق الإيجاز ، وطوراً من طريق الإطناب بحسب ما يقتضيه الحال .

(٢) الطاعة والعصيان : وهو أن يريد الشاعر أن يأتي ببيت فيه نوع من البديع فيعجزه شيء من أركانه أو يمنعه مانع من الإتيان به ، فيعوض عنه بنوع آخر غيره .

(٣) المجاز : أن يأتي المتكلم بكلمة يستعملها في غير ما وضعت له في الحقيقة في أصل اللغة .

(٤) بيت الختام مرتبط بسابقه ، وفيه (المعمى) ، وهو :

حَظِّي (المُعَمَّى) رَأَى فَضْلاً فَأَطْعَمه حَتَّى تَلاحَا وَقَدْ طالَ الرَّجَا بِهِمِ

(٥) انظر : هدية العارفين : ١ / ٧٦٨ .

(٦) تاريخ الجبرتي : ١ / ٣٠٠ .

كما شرحها علي بن حسن بن بدر الدين الغزي شرحاً مطولاً أطلق عليه اسم : « حسن الصنيع شرح مليح البديع »(1) .

٤٦ - « بديعيّة » :

علي بن عبد الرحيم بن محمد الكندي ، من آل باكثير* .

« فقيه من فضلاء حضرموت . ولد سنة (١٠٨١ هـ) ، وتوفي بها سنة (١١٤٥ هـ) ، في بلدة (تريس) . وله عدة منظومات(2) .

أما بديعيته فهي تقع في (٢٥٠) بيتاً ، تتضمن (١٥٠) نوعاً بديعياً كما أشار د . بكري شيخ أمين ، وقال : « إذن فَعَلي أحمد باكثير في مطولته هذه حلقة من حلقات الشعراء البديعيين في بعض جوانب القصيدة المشار إليها - نقول : في بعض ، ولا نقول : في جميع صفات القصائد البديعية لأسباب عدة : أنه لم يركز على إظهار ألوان البديع بقدر ما كان يركز على مديح المصطفى ﷺ وشريعته الغَرّاء . ويبدو أن باكثيراً كان في سن مبكرة إبّان نظمها ولم يكن متمكناً كغيره من الشعراء في معرفة ألوان البديع ، وهي تكاد تصل إلى (١٥٠) نوعاً »(3) .

وقد شرحها حلمي محمد القاعود ، وهو من الأدباء المعاصرين لنا .

٤٧ - « بديعيّة » :

إبراهيم خيكي الحلبي** . نظمها سنة (١٧٣٣ م) .

---

(1) منه نسخة ناقصة في صوفيا برقم (١٤٩٦ - OP) . انظر : فهرس المخطوطات العربية بصوفية : ٢ / ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(*) الأعلام : ٤ / ٢٩٩ ، المجلة العربية ، عدد تشرين الأول ، لسنة (١٩٨١ م) .

(2) منها : منظومة في (العروض) ، و (أصول الدين) ، و (أصول المزارعة والمخابرة والمغارسة) .

(3) المجلة العربية : عدد تشرين الأول (١٩٨١) ، زاوية : كتب وصلتنا .

(**) مجلة المشرق : السنة الثانية عشرة (١٩٠٩ م) ، ص : ٣٣٧ - ٣٤٤ . وفيها قال لويس شيخو : « أما الناظم فلم نجد له ذكراً » .

وهي أول بديعية ينظمها نصراني في مدح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ ومطلعها :

(بَرَاعَتِي) في امْتِدَاحِي مَنْهَلَ النِّعَمِ قَدِ (اسْتَهَلَّتْ) بَدِيْعَ النَّظْمِ كالعَلَمِ

وعدد أبيات هذه البديعية (١٥٠) بيتاً ، فيها (١٥٠) نوعاً بديعياً التزم فيها الناظم التورية باسم النوع البديعي داخل البيت .

وقد أخلّ بذكر عشرة أنواع هي : (الجناس المطلق) ، و (المذيل) و (التام) ، و (المحرف) ، و (اللفظي) ، (التوزيع) ، (الاطراد) ، (الموازنة) ، (الإستعانة) (المواردة) .

ومما جاء فيها قوله في (إرسال المثل)[1] :

صَبرتُ في الحُبِّ حَتّى قُلْتُ (مُمْتَثِلاً) : مَنْ حَاوَلَ الكَيّ فَلْيَصْبِرْ عَلى الألَمِ

وقوله في (الإكتفاء)[2] :

وَمَا (اكْتَفَيْتُ) بِتَمْهِيْدِ الطريقْ لهم بَلْ رُمْتُ تَشْتِيْتَ مِنْها شَمْلَ كُلِّ كَمِ

وبيت الختام قوله :

مِن قَبل بِرِّ حِسَابِي يَومَ مُحْتَكَمِي أَرْجُو الخَلاصَ وأُعْطَى (حُسْنَ مُخْتَتَمِي)

٤٨ ـ « رشحات صدح من يسبي العِذار ونفحات . مدح في النبي المختار » :

بديعية مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري* .

---

(١) إرسال المثل : هو عبارة عن أن يأتي الشاعر في بعض بيت بما يجري مجرى المثل من حكمة أو نعت أو غير ذلك مما يحسُن التمثيل به .

(٢) الإكتفاء : هو أن يأتي الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف فلم يفتقر إلى ذلك المحذوف لدلالة باقي لفظ البيت عليه ، ويكتفي بما هو معلوم في الذهن فيما يقتضي تمام المعنى ، ويكون بحذف جميع الكلمة أو ببعضها .

(*) سلك الدرر : ٤ / ١٩٠ ـ ٢٠٠ ، تاريخ الجبرتي : ١ / ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ، معجم سركيس : ٥٨٢ ـ ٥٨٣ ، الأعلام : ٧ / ٢٣٩ .

عالم متصوف ، وشاعر أديب ، ومؤلف مكثار . ولد في دمشق سنة (١٠٩٩ هـ) وتوفي في مصر سنة (١١٦٢ هـ) ، وفيما بين الولادة والوفاة تنقّل في البلاد وطوّف كثراً ، وطلب العلم من مشايخ عصره ، وأكثر من التأليف حتى بلغت مؤلفاته نحواً من (٢٢٢) كتاباً[١] .

ومن آثاره بديعيته التي مطلعها :

لِلحَيِّ سِرْ تَلْقَ رَكْبَ البَانِ وَالعَلَمِ   جَازُوا السَّوىٰ ثُمَّ حَازُوا رُتْبَةَ العَلَمِ

ولم يلتزم في نظمها ـ كما ترى ـ التورية باسم النوع البديعي ضمن البيت وبلغت أبياتها (١٥٠) بيتاً ، فيها (١٥٥) نوعاً بديعياً ، على غرار بديعيتي الشيخ عبد الغني النابلسي ، لأن الناظم صرّح في توطئته للبديعية بمعارضته للنابلسي ، ولذلك أخلّ بالأنواع الأربعة التي أخلّ بها النابلسي وهي : (التمثيل) (الموازنة) ، (التوزيع) ، (الإستعانة) .

ومن أبيات هذه البديعية قوله في (الإطّراد)[٢] :

مُحَمَّدُ المُصْطَفَى المَبْعُوثُ مِنْ مُضَرٍ   نَجْلُ الذَّبِيْحَيْنِ خَيْرُ الخَلْقِ كُلِّهِمِ

وقوله في (المواردة)[٣] :

سَفِيْنَةُ العِشْقِ فِي بَحْرِ الغَرَامِ بِهَا   سِرْنا عَلَى سُرُرٍ كَالْقَيْدِ فِي الحَشَمِ

---

(١) منها : « السيوف الحداد في أعناق أهل الإلحاد » ، « الذخيرة الماحية للآثام في الصلاة على خير الأنام » ، « الصلاة الهامعة » ، « بلغة المريد » ، « مجموع رسائل رحلاته » . .

(٢) الإطراد : هو أن يأتي المتكلم باسم الممدوح ولقبه وكنيته وصفته واسم أبيه وجدّه ، أو ما أمكن من ذلك على التوالي في بيت واحدٍ من غير تكلّف .

(٣) المواردة : هو أن يتوارد الشاعران على بيت أو بعض بيت بلفظة ومعناه ، فإن كان أحدهما أقدم من الآخر أو أعلى رتبة منه في النظم حكم له بالسبق ، وإلا فلكل منهما ما نظم . . . .
قال الشارح : « بقي الأمر موقوفاً في هذا البيت على أن يخبر الناظم أنه مع من توارد ولم أقف على ذلك » . (المطلع البدري : ١٧ / ب) .

وقوله في المناقضة[1] :

لَمْ أَسْلُ إلاّ بِموتٍ عَنْ مَحَبَّتِهِمْ أَوْ تُشْرِقَ الشَّمْسُ لَيْلاً في رُبُوعِهِمِ

وقوله في (التكميل)[2] :

هَادٍ هَدَانا وَأَهْدانا نَفَائِسَهُ وَهْوَ الحَرِيْصُ غداً مِنْ زَلَّةِ القَدَمِ

وحسن ختامها قوله :

هٰذا مَدِيْحِي وَمَمْدُوحي سَما شَرَفاً سَعِدْتُ فِيه بِبَدْءٍ بَلْ ومُخْتَتَمِ

وقد اعتنى بشرحها قاسم البكرجي (ت : ١١٦٩ هـ) ، وأطلق على شرحه : « المطلع البدري على بديعية البكري »[3] .

٤٩ ـ « العقد البديع في مدح الشفيع » :

نظمها قاسم بن محمد البكرجي الحلبي* .

ولد في حلب سنة (١٠٩٤ هـ) ، وتوفي سنة (١١٦٩ هـ) .

قال المرادي : « تتلمذ على معاصريه من أجلّاء حلب ، وتفوق واشتهر ، وكان عالماً بالحديث والفقه والفرائض ، وله قدم راسخ في العربية والفصاحة

---

(١) المناقضة : تعليق فعل شيء بأمرين ممكن ومستحيل ، ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن ، ليؤثر التعليق في عدم وقوع ذلك الشيء فكأن المتكلم ناقض نفسه في الظاهر إذ تعليقه بالممكن يقتضي الوجود ، وتعليقه بالمستحيل يقتضي عدمه .

(٢) التكميل : هو أن يأتي المتكلم بمعنى تام من مدح أو ذم أو وصف ، أو غيره من الأغراض الشعرية وفنونها ، ثم يرى الإقتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل فيأتي بمعنى آخر يزيده تكميلاً .

(٣) منه نسخة في الظاهرية برقم : (٥٩١٩) .

(*) سلك الدرر : ٤ / ١٠ ـ ١٣ ، إعلام النبلاء : ٦ / ٥٣٥ ، هدية العارفين : ١ / ٨٣٤ معجم سركيس : ٥٧٧ ، الأعلام : ٥ / ١٨٣ .

والبلاغة والبديع والشعر »[1] . وقد خلّف عدة آثار[2] .

ومطلع بديعيته :

مِنْ (حُسْنِ مَطْلَعِ) أَهْلِ البانِ والعَلَمِ (بَـرَاعَتِي مستهل) دَمْعُهـا بِـدَمِ

وقد أراد لها أن تكون على غرار بديعية ابن حجة الحموي ، فالتزم فيها ذكر اسم النوع البديعي في أثناء البيت ، وأشار إلى ذلك بقوله : « ثم إني قد كنت نظمت من سقط المتاع الكاسد ، والفكر الخامد ، بديعية على أسلوب ابن حجة »[3] ، فجاءت في (١٥٤) بيتاً ، احتضنت (١٥٩) نوعاً بديعياً . أخلّ فيها بأربعة أنواع بديعية ثلاثة اتفق فيها مع ابن حجة ، وهي : (الموازنة) ، (التوزيع) ، (الإستعانة) ، والرابع : (تشبيه شيئين بشيئين) .

وهذه بعض أبياتها . فقد قال في (الهجاء في معرض المدح)[4] :

(في مَعْرضِ المَدْحِ هَجْوِي) لاَ يَلِيْقُ بِهِ لِسَعْيِهِ في أُمُورِي سَعْيَ مُحْتَشِمِ

وفي (التوهيم)[5] قال :

وَأَنْتَ يـا عاذِلِي سَمَّيْتَنِي حَكَـماً فَصِرْتُ أَحْكُمُ (بِالتَّوْهِيْمِ) في الحكمِ

---

(١) سلك الدرر : ٤ / ١٠ .

(٢) منها : « شرح همزية البوصيري » ، « شرح الخزرجية » ، « شفاء العللِ في نظم الزحافات والعلل » ، في العروض ، « الدر المنتخب من أمثال العرب » ، « المطلع البدري على بديعية البكري » .

(٣) حلية العقد البديع ، ص : ٤ .

(٤) الهجاء في معرض المدح : هو أن يقصد المتكلم هجو إنسان فيأتي بألفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القدح ، فيوهم أنه يمدحه وهو يهجوه .

(٥) التوهيم : هو إتيان المتكلم بكلمة توهم باقي الكلام قبلها أو بعدها أن المتكلم أراد اشتراك لغتها بأخرى أو أراد تصحيفها أو تحريفها ، أو اختلاف إعرابها أو اختلاف معناها ، أو وجها من وجوه الإختلاف . وهو في البيت في كلمة « سمّيتني » إذ قد يفهم أنها من التسمية والمراد : السمّ .

وفي (الإلغاز)[1] قال :

(أَلْغازُ) أَوْصَافِهِمْ إنْ كُرِّرَتْ بِفَمِي   حَلَتْ وَحَلَّتْ وإلاّ فِعْلُ مُجْتَرِمِ

وفي (النوادر)[2] :

في مَدْحِهِ جاءَ نَظْمي (نادِراً) وغَدا   يَخْتَالُ في الحِلْيَتَيْنِ : التِّيهِ والشَّمَمِ

وفي (الإيضاح)[3] :

يَمِّمْ حِماهُ وسَلْ ما شِئْتَ تَحْظَ بِهِ   مِنَ المكارِمِ (إيْضاحاً) بِلا سَأَمِ

وحسن ختامها :

حُسْنُ ابْتِدا مَدْحِهِ أَرْجُو الخَلاصَ بِهِ   يَوْمَ الحِسَابِ وأَرْجُو (حُسْنَ مُخْتَتَمِي)

وقد شرح البكرجي بديعيته شرحاً جيداً أسماه « حلية العقد البديع في مدح الشفيع »[4] .

---

(١) الإلغاز : أن يتكلم المتكلم بعدّة أوصاف في ألفاظ مشتركة من غير ذكر الموصوف ويشير بها إلى مقصود مجهول ، أو يأتي بكلمات تتضمن اسم المطلوب بقلب بعضها أو تصحيفه أو . . ولا بد من التنبيه على ذلك في أثناء الكلام ، بأن يشير إلى تلك الوجوه بنكتة حتى يحسن استخراجه به .
واللغز في البيت هنا لفظة (سكر) . فقال : ألغاز أوصافهم : أي الصحابة إن كررت بفمي : يعني إذا شددت الكاف ، وصارت سكّر ، حلت من الحلاوة ، وحلّت ، أي : صارت حلالا ، وإلا ، أي : وإن لم تتكرر بل بقيت على أصلها أي بقيت سُكْرا ، مخففاً ، ففعل مجترم ، لأنه حرام .

(٢) النوادر : هو أن يأتي الشاعر بمعنى يستغرب لقلّة استعماله ، أو أن يعمد إلى معنى مشهور ليس غريباً في بابه ، فيُغرب فيه بزيادة لم تقع لغيره فيصير ذلك المعنى غريباً وينفرد به دون غيره .
والنادرة في البيت نسبة (التيه والشمم) إلى نظمه في كونه مدح النبي محمد ﷺ .

(٣) الإيضاح : أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهره لبس فلا يفهم من أول وهلة حتى يوضحه في بقية كلامه .

(٤) وقد طبع هذا الشرح في المطبعة العزيزية بحلب سنة (١٢٩٣ هـ) .

٥٠ - « بديعية »[١] :

الخوري نيقولاوس بن نعمة الله الصائغ* .

ولد في حلب سنة (١١٠٣ هـ) ، وطلب العلم صغيراً ، ثم امتهن حرفة الصياغة مهنة أبيه ، ومع ذلك فقد استمر في طلب العلم كلما سنحت له الفرصة ، حتى وصل إلى أحد القساوسة الذي نقله إلى لبنان - بعد أن أنس فيه نباهة - وجعله في أحد الأديرة ، ولم يلبث في الدير مدة حتى شرع يرتقي في مراتبه ، واستمر فيه إلى آخر أيامه سنة (١١٦٩ هـ) .

وكان إضافة إلى مركزه الديني ، « شاعراً بديع التصوير لطيف الطبع وله ديوان أودعه الشعر الرقيق الرائق »[٢] .

ومن هذه الترجمة يتضح أن موضوع بديعيته هو مدح عيسى بن مريم - عليه السلام - ومطلعها :

بَدِيْعُ حُسْنِ امْتِدَاحِي رُسْلَ رَبِّهِمِ (بَرَاعَةٌ في افْتِتاحِي) حَمْدُ بِرِّهِمِ

وقد التزم في هذه البديعية التي بلغت أبياتها (١٥٦) بيتاً ، متضمنة (١٦٠) نوعاً بديعياً ، التسمية للنوع البديعي في أثناء البيت .

وقد فرط منه ثلاثة من أنواع البديع التي ذكرها الصفي الحلي ، وهي : (الجناس اللفظي) ، و(المواردة) ، و(التفصيل) .

ومما أثبته فيها قوله في (المساواة)[٣] :

مَنْ ذا (يُسَاوِيْه) في عِزٍّ وفي شَرَفٍ مَنْ ذَا يُدانِيهِ في عِلمٍ وفي حِكَمِ

---

(١) طبعت في « ديوانه » ١٨٧٤ م .

(*) تاريخ الآداب العربية من نشأتها إلى أيامنا : ٥٥٥-٥٥٨ ، معجم سركيس : ١١٩١ .

(٢) تاريخ الآداب العربية من نشأتها إلى أيامنا ، ص : ٥٥٧ .

(٣) المساواة : هو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى لا يزيد عليه ولا ينقص .

وقوله في (الاتفاق)[1] :

يَسُوغُ حَسْبَ اسْمِهِ (بِالاتِّفاقِ) أَتى بِهِ فَخَلَّصَنا مِنْ رِيْبَةِ الأَضَمِ

وحسن ختامها :

حُسْنُ التَّخَلُّصِ أَرْجُو من شَفاعَتِهم فَهُمْ مَلاذِي في بَدْءٍ و (مُخْتَتَمِي)

٥١ ـ « مفتاح الفرج في مدح عالي الدرج »[2] :

وهي البديعية الأولى لعلي بن محمد تاج الدين بن عبدالمحسن القلعي الحنفي المكي* .

ولد بمكة ، ونشأ فيها ، وطلب العلم ، وعلت مكانته ، ثم طوّف في البلاد ، واتصل ببعض الوزراء ، مما كان سبباً في طرده ونفيه وسلب ممتلكاته فيما بعد . ومات طريداً في الاسكندرية سنة (١١٧٢ هـ) . مخلفاً عدة مؤلفات[3] .

وبديعيته هذه مطلعها :

(بَرَاعَةُ المَطْلَعِ) ازْدانَتْ مِنَ الحِكَمِ وَأَقْبَلَتْ (تَسْتَهِلُّ) الجُودَ مِنْ كَرَمِي

وهي ـ كما تلاحظ ـ من (البديعيات) التي تتوشح بالتورية بأسماء الأنواع البديعية في أثناء أبياتها ، وقد أوردها الصلاحي ضمن شرحه « نخبة البديع »

---

(١) الاتفاق : أن يتفق للمتكلم واقعة وأسماء مطابقة لتلك الواقعة تبين له العمل بها إمّا بالمشاهدة ، أو بالسماع .

(٢) منها نسخة في دار الكتب المصرية . انظر قسم الفهارس : ٧ / ٦٣ ، وقد سمّاها البغدادي في « الإيضاح » : « الفرج في مدح عالي الدرج » ، وكذلك في « هدية العارفين » .

(*) عجائب الآثار (الجبرتي) : ١ / ٣٠٠ ـ ٣٠١ ، إيضاح المكنون : ١ / ١٤٧ ، ٣١٧ ، و : ٢ / ١٨٤ ، ٧٠٥ ، هدية العارفين : ١ / ٧٦٨ ، فهارس دار الكتب المصرية : ٧ / ٦٣ ، الأعلام : ٥ / ١٦ .

وجاء اسمه في « الإيضاح » : علي بن محمد سالم ، و : علي بن محمد بن محمد بن سالم .

(٣) منها : « شرح بديعية النابلسي » ، و « تكميل الفضل بعلم الرمل » ، و « ديوان شعر » .

فبلغت عدّتها فيه (١٣٤) بيتاً، تحتوي على (١٣٥) نوعاً بديعياً.

قال الجبرتي يصف هذه البديعية: إنه قد «اقترح فيها بأنواع، منها: وسع الاطلاع، والتطريز، والرشا، والاعتراف[١]، والعود، والتعجيب، والترهيب، والتعريض، وأمثلة ذلك كله موضحة في شرحه على البديعية»[٢].

وجدير بالذكر أن الصلاحي لم يذكر أبيات هذه الأنواع في مجمل البديعية ضمن شرحه «نخبة البديع»، ولعل مرد ذلك أنه لم ينظم على شاكلته، ومثل هذا جرى في غير شرح.

ومن أبياتها قوله في (الاحتراس)[٣]:

أنْعِمْ بِما شِئْتَ لا أَمْراً عليكَ ولكنِ م (احْتِراساً) أَقُلْ مِنْ فَضْلِكَ العَمِمِ

وقوله في (البسط)[٤]:

فَنَاجِ و (ابْسطْ) كُفُوفَ الذّلِّ وادْعُ وَسَلْ يُعْطِيْكَ جَارُكَ عِزّاً غَيْرَ مُنْهَدِمِ

وقوله في (الإيجاز)[٥]:

سَلِ الحَطِيْمَ كَذا الرُّكْنَ الكَرِيْم عَنِ الـ.. جَارِ الحَمِيْمِ و (أَوْجِزْ) في سُؤالِهِمِ

وقوله في (حسن التعليل)[٦]:

وَ (عِلّةُ) الفَضْلِ في الصّدّيقِ ظاهِرَةٌ سَخَا بِرُوحٍ لِئلاّ يُوقِظَ الحَرَمي

---

(١) هذا النوع ذكره الآثاري.

(٢) تاريخ الجبرتي: ١ / ٣٠١.

(٣) الاحتراس: هو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل، فيفطن له، فيأتي بما يخلصه من ذلك.

(٤) البسط: عبارة عن بسط الكلام، لكن شروطه زيادة الفائدة.

(٥) الإيجاز: هو عبارة عن الإتيان بألفاظ يُستغنى بواحدها عن ألفاظ كثيرة.

(٦) حسن التعليل: هو أن يتجاهل الأديب العلة الحقيقية للأشياء، فيأتي بعلة أخرى تعكس ما في نفسه، وتكشف عن موقفه أو شعوره.

وحسن ختامها قوله :

يا رَبِّ وَ (احْسِنْ خِتامي) يا غَنِيّ وَيَا حَمِيْدُ وامْنُنْ بِعَفْوٍ مِنْكَ لِي بِهِمِ

وقد شرح بديعيته هذه وسمّى هذا الشرح : « تاج البديع والبلج على مفتاح الفرج في مدح عالي الدرج »(1)، قال الجبرتي : « وشرحه على بديعيته ثلاث مجلدات »(2).

٥٢ - « وسع الاطلاع في بديع الأوضاع » :

وهي البديعية الثانية لعلي بن محمد تاج الدين القلعي . ولا أملك من أمرها سوى الخبر .

٥٣ - « الأنواع العجيبة الاختراع » :

وهي بديعية ثالثة للقلعي . قال البغدادي : « وهي بديعية تأليف علي بن محمد سالم القلعي المكي المتوفي سنة (١١٧٢ هـ).

وهي عندي كسابقتها ، خبر بلا أثر .

٥٤ - « بديعية » :

عبدالمنعم بن تاج الدين محمد بن عبدالمحسن بن سالم القلعي المكي الحنفي* .

المتوفي سنة (١١٧٤ هـ) .

---

(١) منه نسخة في دار الكتب المصرية برقم : (٧٢٨) .
(٢) تاريخ الجبرتي : ١ / ٣٠٠ .
(٣) إيضاح المكنون : ١ / ١٤٧ .
(*) هدية العارفين : ١ / ٦٣٠ ، معجم المؤلفين : ٦ / ١٩٦ .

وله شرح عليها أيضاً . كما جاء في ترجمته .

٥٥ ـ « بديعية » :

عبدالله بن يوسف بن عبدالله اليوسفي الحلبي البني*.

ولادته في حلب ، ونشأته فيها . قرأ على والده ، ثم أخذ عن علماء عصره ، وعمل ببيع البن ، وإلى مهنته هذه لقبه (البني) ، وله شعر ونثر ومؤلفات عديدة . كانت وفاته سنة (١١٩٤ هـ) في حلب . وقد أصيب بصمم في أخريات حياته .

قال المرادي : « الأديب الشاعر ، البارع الماهر ، الناظم الناثر المكثار . كان أوحد الشهباء في النظم والتاريخ الإكتشافات العجيبة والأشعار الغريبة ولزوم ما يلزم والابتكارات في فنون الأدب »[1] .

وقد وردت بديعيته هذه والتي مطلعها :

لَمّا (اسْتَهَلَّتْ) دُمُوعَ العَيْنِ كَالدِّيَمِ   (بَرَاعَةٌ) قُلْتُ : وا شَوْقِي لِذِي سَلَمِ

في شرح الصلاحي « نخبة البديع » ، وعدد أبياتها فيه (١٤٣) بيتاً ، متضمنةً (١٤٥) نوعاً بديعياً ، موشّحةً بتسمية الأنواع في الأبيات ، ومنها :

قوله في (سلامة الاختراع)[2] :

دَوْحُ المَدِيْحِ (اخْتِراعاً) لا اخْضِلالَ بِهِ   إلا بِرَوْضٍ ثَنَاهُ اليَانِعُ الوَسمِ

وقوله في (التصريع)[3] :

(*) سلك الدرر : ٣ / ١٠٨ ـ ١١٦ ، معجم سركيس : ١٩٥٨ ، الأعلام : ٤ / ١٤٨ .

(١) سلك الدرر : ٣ / ١٠٨ .

(٢) سلامة الاختراع : هو أن يخترع الشاعر معنى لم يسبق إليه .

(٣) التصريع : عبارة عن استواء آخر جزء في صدر البيت وآخر جزء في عجزه في الوزن والروي والإعراب ، وهو أليق ما يكون في مطالع القصائد .

(تَصْرِيْعُ) مَدْحِي وإعْلانِي بِحُبِّهِمِ   قَدِ اسْتَقاما بِحُسْنِ النَّظْمِ في الكَلِمِ

وقوله في (الرجوع)(١):

فَما لِقَلْبِي (رُجُوعٌ) عَنْ مَحَبَّتِهِ   نَعَمْ رُجُوعٌ لَهُ لِلْهَمِّ والسَّقَمِ

وقوله في (الكناية) (٢):

كَمْ مِنْ طَوِيْلِ نِجَادٍ في (كِنَايَتِهِ)   يَرَى صَرِيْعَ الوَغَى مَعْ كُلِّ مُنْهَزِمِ

وحسن ختامها قوله:

بَدَأْتُها راجِياً حُسْنَ الخِتَامِ بِما   تَضَمَّنَتْهُ وَفِيهِ (حُسْنُ مُخْتَتَمِي)

ولم يترك اليوسفي بديعيته بلا شرح، إنما شرحها شرحاً جيداً أشار إليه المرادي (٣).

٥٦ - «القصيدة البديعية»:

بديعية غلام على آزاد بن نوح الحسيني، حسان الهند*.

مؤرخ عالم بالأدب، من أعيان الهند، مولده في «بلكرام» سنة (١١١٦ هـ)، ووفاته في «أورنك آباد» سنة (١١٩٤ هـ). وله عدة مؤلفات (٤).

وبديعيته هذه جمعت أنواع البديع الهندي، متأثراً فيها بشعراء العرب من

---

(١) الرجوع: هو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة.

(٢) الكناية: هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو ردفه في الوجود فيومىء إليه ويجعله دليلاً عليه.

(٣) سلك الدرر: ٣ / ١٠٨.

(*) معجم سركيس: ١، الأعلام: ٥ / ١٢١.

(٤) منها: «سبحة المرجان في آثار هندستان»، «شفاء العليل» فيما أخذه على المتنبي، «غزلان الهند»، «ديوان شعره».

أصحاب (البديعيات) ، ومحتذياً حذوهم ، ولكنه نظمها بالعربية لا الهندية ومن هنا جاءت فريدة بين (البديعيات) بمضمونها البلاغي ، وإن كان موضوعها وأسلوبها لا يختلفان عن (البديعيات) العربية .

ومطلع هذه البديعية وقد سمّاه (التفاؤل بالفعل) :

الحَمْدُ لِلّهِ لاحَ البَرْقُ في الظُّلَمِ   سَأَرْتَئي مَبْسِمَ الحَسْناءِ مِنْ إضَمِ

وقال موطّئاً لها : « قد عرضت إلى جناب الأدباء وساحة الكملاء ما أردت إيراده من المحسنات الكلامية ، والبدائع الأقلامية ، ثم مشيت على آثار أصحاب البديعيات ونظمت قصيدة فائقة على الأزهار الربيعيات وأخرجت من عمق البحر غرر الدر ، وجددت البديع في المئة الثانية عشرة ، وأبيات قصيدتي مئة وواحد سالمة من تكرار القافية ، حاملة للمطالب الوافية ، وما التزمت فيها تسمية النوع »[1] .

وقد أودع هذه القصيدة في كتابه « سبحة المرجان في آثار هندستان » . ومن أبياتها وأنواعها ، قوله في (الإفحام المستحيل)[2] :

لَقَدْ تَجَاوَزَ سَبْعاً وهْيَ ما انْخَرَمَتْ   كَنَاظِرِ العَيْنِ فاسْتَيْقِظْ وَلاَ تَنَمِ

وقوله في (تنزيل الكبير منزلة الصغير :)

أَعْظِمْ بِمَنْ جَعَلَ الأَفْلاَكَ مَوْطِئَهُ   وَعَدَّها قَدْرَ جُزْءٍ غَيْرِ مُنْقَسِمِ

وفي (البيّنات) :

مُحَمَّـدٌ لَقَّبُـوهُ بِـالأَمِـينِ لمـا   أراهُمُ بَيِّنـاتِ رَبِّـهِ العُـظَمِ

---

(١) سبحة المرجان ، ص : ٢٢٠ .

(٢) قال في شرحه : هذا الرد على المنكرين للمعراج ، والقائلين باستحالة الخرق والالتئام على تقدير التسليم ، يعني إن سلمنا أن الخرق والالتئام مستحيلان فاستحالتهما لا تضر بالمعراج كنور البصر ، فإنه يتجاوز طبقات العين ويرجع إلى محله بلا خرق ولا التئام .

وفي (النذر) :

أَقُمَّ ساحَتَها بالمُذْبِ كُلَّ ضُحى   إنْ شَبَّ بَخْتِي بِها في حَالَةِ الهَرَم[1]

وقد كان غلام علي يعكف على معظم الأبيات ، ويشرحها ، بينما كان يترك بعضها دون شرح أو توضيح ، ولم تكن حدود الأنواع واضحة تماماً .

وقد ختمها بقوله ، وفيه (الدعاء المقيّد في النفع) :

صَلّى الإلهُ عَلَى ختمِ الرّسَالَةِ مَا   تَزَيّنَتْ صَفْحَةُ القِرْطاسِ بالختمِ

٥٧ - « منح الإله في مدح رسول الله » :

بديعية محمد بن مصطفى بن كمال الدين البكري* .

أديب صوفي ، وشاعر متفنن ، ولد في بيت المقدس سنة (١١٤٣ هـ) ، وأخذ من أبيه العلم ، وقرأ القرآن ، وختمه وهو ابن تسع سنين ، كما أخذ العلم عن كبار علماء عصره . وكانت وفاته بغزّة هاشم سنة (١١٩٦ هـ) وقد ترك عدة مؤلفات[2] . ومطلع بديعيته :

سِرْ بي لِسرْبِي وَحَيِّ سَاكِنَ العَلَمِ   وانْزِلْ بِحَيِّ حَمى سُكّانَ ذِي سَلَمِ

وهي من (البديعيات) التي احتضنها شرح الصلاحي « نخبة البديع » ، وبلغت أبياتها فيه (١٣٧) بيتاً ، فيها (١٣٩) نوعاً بديعياً . وقد آثر الناظم أن يُبقي بديعيته خالية من التورية باسم النوع البديعي .

ومن أبيات هذه البديعية ، قوله في (المماثلة)[3] :

---

(١) أقمّ : أجمع القمامة .

(*) سلك الدرر : ٤ / ١٤ ـ ١٥ ، معجم سركيس : ٥٨٠ .

(٢) منها : « كشف الظنون في أسماء الشروح والمتون » ، و « الروض الرائض في علم الفرائض » .

(٣) المماثلة: أن تتماثل ألفاظ الكلام ، أو بعضها ، في الزنة دون التقفية .

غَيْثٌ مَـواهِبُهُ ، بَحْـرٌ فَضَـائِلُهُ صَعْبٌ مَدارِكُهُ ، عَزَّتْ فَلَمْ تُرَمِ

وقوله في (التنكيت)[1] :

كذا عَلى آلِهِ الأَخْيارِ مَنْ فَرضَت (شُورى) عَلَى الخَلْقِ نَصّاً صَفْوَ حُبِّهِمِ

وقد عقّب الصلاحي[2] على هذا البيت بقوله : « وقال هو : إنما خصصت سورة شورى بالذكر دون غيرها وذلك لما فيها من قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبىٰ ﴾[3].

وقوله في (الموارية)[4]:

وعاذِلي صاحِبي إذْ لاحَ يَعْذُلُني بِلَومِهِ مِثْلُ نُورٍ ضاءَ في الظُّلَمِ

وقوله في (الإرداف)[5]:

مـا مثله بشَرٌ كـلاّ يَجُـودُ ولا لَيْثٌ يُرَوي الظُّبَا مِنْ مَوْضِعِ اللَّمَمِ

وحسن ختامها قوله :

---

(١) التنكيت : أن يخص المتكلم شيئاً بالذكر دون أشياء كلها تسد مسده لولا نكتة في ذلك الشيء ، على أنه لولا تلك النكتة التي انفرد بها لكان القصد إليه دون غيره خطأ ظاهراً .

(٢) نخبة البديع في مديح الشفيع : ١٩٩ / ب .

(٣) سورة شورى : ٤٢ / ٢٣ .

(٤) الموارية : هو أن يقول المتكلم قولا يتضمن ما ينكر عليه فيه بسببه ويتوجه عليه المؤاخذة ، فإذا حصل الإنكار عليه استحضر بحذقه وجهاً من الوجوه التي يمكن التخلص بها من تلك المؤاخذة ، إما بتحريف كلمة أو بتصحيفها .
ومراد الشاعر هنا لفظ « لومه » إذ يزداد همزة فوق الواو ليكون من اللؤم ، وتصحيف لفظة « بنور » لتصبح « بثور » ، وقوله « ضاء » بقلب الهمزة عيناً لتصبح « ضاع » .

(٥) الإرداف : هو أن يريد المتكلم معنى ، فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له ، بل بلفظ هو رديفه وتابعه ، كقوله تعالى : ﴿ واسْتَوَتْ عَلَى الجُوْدِي ﴾ [سورة هود : ١١ / ٤٤] فإن حقيقة ذلك : جلست على المكان فعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى إلى لفظ هو رديفه ، وإنما عدل عن لفظ الحقيقة لما في الاستواء الذي هو لفظ الإرداف من الإشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل .

وَلِي انْتِسابٌ إلىٰ الصِّدِّيْقِ يُوجِبُ لِي   حُسْنَ الخِتامِ لَدى بَدْئي ومُخْتَتَمِي

وقد شرح محمد البكري بديعيته « شرحاً حافلاً »[1] سمّاه : « المنح الإلهية في مدح خير البرية » .

٥٨ - « البديعية العمرية » :

لمحمد أمين بن خير الله بن محمود بن موسى الخطيب العمري* .

ولد سنة (١١٥١ هـ). وأخذ العلم عن والده ، ثم عن علماء عصره ، وتنقل بين مدن العراق ، ودرّس في الموصل ، وكانت وفاته سنة (١٢٠٣ هـ). وقد خلّف عدة كتب وآثار ، منها[2] بديعيته هذه ، ومطلعها :

(حُسْنُ ابْتِدا) كَلِمي يوماً بِذِي سَلَمِ   (بَرَاعَةُ) المَدْحِ في (اسْتِهلالِهِ) بِفَمِي

وواضح أنه التزم فيها التورية باسم النوع البديعي في أثناء البيت . وقد شرحها وأطلق على الشرح « التحف الأدبية في النكت البديعية »[3] .

٥٩ - « بديعية »[4] :

لمجهول نظمها سنة (١٢١٩ هـ) كما جاء في بيت تاريخها . ومطلعها :

(حُسْنُ افْتِتاحِي) بِمَدْحِي جِيْرَةِ العَلَمِ   شَرَّفْتُ نَظْمِي بِعقْدٍ مِنْهُ مُنْتَظِمِ

ويبدو من مطلعها أن الناظم قد التزم التورية باسم النوع البديعي ضمن

---

(١) سلك الدرر : ٤ / ١٥ .

(*) فهرس الكتب الموجودة بدار الكتب المصرية : ٢ / ١٨٠ وفيه سهوٌ حول وفاة الناظم وحياته ، تاريخ الأدب العربي في العراق : ٢ / ٤٠ ، ١٥٥ ، الأعلام : ٦ / ٤١ - ٤٢ .

(٢) ومنها « منهل الأولياء »، و« مطالع العلوم »، « كتاب في علم العروض »، « مراتع الأحداق في تراجم من رقّ شعره وراق ».

(٣) منه نسخة في دار الكتب المصرية برقم : (٥٥٥) .

(٤) منها نسخة في برلين برقم : (٧٣٨٩) .

البيت . وجاء في « فهرس مخطوطات برلين » خمسةُ أبيات منها ، هي :

ما صغْتُ (تَرْكِيبَ) مَعْنىً مُطْلَقاً أَبَداً — إلاّ وفي الرَّكْبِ هُمْ مَعْنا بِذِي سَلَمِ
إنْ بانَ شَخصُهُم عَنِّي أَحِنُّ إلى — بَانِ النَّقا إذ حَكَى (تمّ) اعتِدَالِهِمِ
وَهٰذِهِ بِنْتُ أَفْكارِي (مؤرخة) — مَدِيْحُ أَحْمَدَ يَبْدو مُوجِبَ العِظَمِ
حَسْبِي المَديحُ إذ الأَوْزَارُ قَدْ (شَهِدَتْ) — بِها الجَوَارِحُ مِنْ فَرْقِي إلى قَدَمِي
(أَحْسِنْ خِتَامي) بِالمُخْتارِ مِنْ مُضَر — خَيْرِ الخَلائِقِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

٦٠ - « مراقي الفرج في مدح عالي الدرج » :

بديعية علي بن أحمد تقي الدين النجاري القباني* .

ولد في مكة سنة (١١٣٤ هـ) وقدم إلى مصر مع أبيه وأخيه سنة (١١٧١ هـ). واشتغل بتحصيل العلم والمعرفة ، والاستكثار من الكتب النافعة ، إضافة إلى التجارة ، حتى آخر أيامه سنة (١٢٢١ هـ).

« وكان عالماً ماهراً وأديباً ناثراً شاعراً ، تخرّج على والده وعلى غيره بمكّة »[١] وله مؤلفات[٢] .

وله شرح على بديعيته أيضا ، ولكنها ـ مع الشرح ـ ليست معروفة المعالم عندي .

٦١ - « بديعية » :

أحمد بن عبد اللطيف بن أحمد البربير الحسني البيروتي** .

(*) عجائب الآثار « الجبرتي »: ٣ / ١٤٥ - ١٤٦ ، حلية البشر : ٢ / ١٠٨٦ - ١٠٨٧ ، الأعلام : ٤ / ٢٦٠ ، معجم المؤلفين : ٧ / ١٢ .

(١) حلية البشر : ٢ / ١٠٨٧ .

(٢) منها : « نفخ الأكمام »، و« ديوان شعر ».

(**) الآداب العربية في القرن التاسع عشر : ١ / ٢٠ - ٢٢ ، تاريخ الآداب العربية (زيدان): ٤ / ٢٠٩ - ٢١٠ ، معجم سركيس : ٥٤٥ - ٥٤٦ ، هدية العارفين : ١ / ١٨٣ ، الأعلام : ١ / ١٥٥ ، معجم المؤلفين : ١ / ٢٨١ - ٢٨٢ .

ولد بدمياط سنة (١١٦٠ هـ)، ونشأ في بيروت . حفظ القرآن وهو صغير ، مع ألفية ابن مالك ، ودرس في بيروت كثيراً من العلوم ، وأُكْرِهَ على قضائها ، ثم انتقل إلى دمشق ، وبقي حتى وفاته سنة (١٢٢٦ هـ).

كان أديباً شاعراً ، له مُريدون كثر ، ومؤلفات عديدة(١) .

وبديعيته هذه مطلعها :

مِنَ العُذَيْبِ وذِكْرِ البَانِ والعَلَمِ   تَحْلُو (بَرَاعَةُ) شِعْرِي دائِماً بِفَمِي

ولنستمع إلى وصف البديعية من شارحها الصلاحي الذي قال : « إني اطّلعت على قصيدة بديعية من نظم فريد الأدب في عصره ، وملك البلاغة في شامه ومصره . . السيد أحمد البربير . . فوجدتها قصيدة بديعة ، أنواعها لأبياتها مطيعة ، أخذَتْ من اللطافة رونقاً ، وجعلت فلك الشام لمطلع نجوم أبياتها مشرقاً ، بيروتية شامية مصرية تهامية ، تخضع لها أدباء العصر في كل إقليم ومصر . . وعدة أبياتها (١٣١) بيتاً على التمام ، بلغ بها غاية المرام ، وقد سبك في كل بيت منها تورية باسم النوع »(٢) . وقد حملت من الأنواع البديعية (١٣٧) نوعاً .

وأخلّ فيها بذكر (٢٩) نوعاً بديعياً ، وهي : (الجناس المطلق)، و(اللفظي) و(المقلوب)، و(المعنوي)، (التوشيح)، (التخيير)، (التمثيل)، (إرسال المثل)، (التتميم)، (مراعاة النظير)، (الإيغال)، (الإشارة)، (النوادر)، (ائتلاف المعنى مع المعنى)، (المواردة)، (المجاز)، (الترتيب)، (الإيضاح)، (ائتلاف اللفظ مع اللفظ)، (العنوان)، (ائتلاف المعنى مع الوزن)، (التوزيع)، (الانسجام)، (التمكين)،

---

(١) منها : « مقامات البربير »، « الشرح الجلي على بيتي الموصلي »، « زهر الغيضة في ذكر الفيضة ».
(٢) نخبة البديع في مدح الشفيع : المقدمة .

(التفصيل)، (الحذف)، (التفسير)، (الإبداع)، (السهولة).

وهذه بعض أبياتها . فقد قال في (الترصيع)(١) :

(وَرَصّعُوا) حُلَلَ الأَخْلاقِ بِالكَلِمِ   وَضَوّعوا خُلَلَ الآفـاقِ بالحِكَم

وقال في (السجع)(٢) :

(سَجْعي) بِهِم شممي بَلْ جُوْدُهُم دِيَمِي   وجاهُهُم حَرَمي إن خَفْتُ مِنْ عَدَمِ

وقال في (التطريز)(٣) :

فَزَادَ شِعْرِي (تَطْريزاً) بِـراحَتِهِ   يا حُسْنَ مُنْسَجِمٍ في حُسْنِ مُنْسَجِمِ

وقال في (التدبيج)(٤) :

بِيْضُ الأَيادِي التي زُرْقُ الأسِنَّةِ في   أَكُفِّها (دبّجَتْ) كَرَّارَةَ الـدّهَمِ

وحسن ختامها قوله :

يا رَبِّ أَحْسَنْتَ بَدْئي في الوَرى كَرَما   فبالرَّسُولِ أَنِلْني (حُسْنَ مُخْتَتَمِي)

وقد لقيت هذه البديعية عناية فائقة من مصطفى بن عبد الوهاب الصلاحي الذي شرحها شرحاً مطولاً حافلاً بكل مفيد وجيّد ، وأطلق على هذا الشرح اسم « نخبة البديع في مدح الشفيع »(٥) .

---

(١) الترصيع : هو أن يقابل المتكلم كل كلمة من صدر كلامه ـ إن كان نظماً أو نثراً ـ بكلمات موافقة لنظيرتها في الوزن والروي والإعراب في عجزه .
وضاعت الرائحة : طابت وفاحت .

(٢) السجع : هو إجراء الفواصل على قافية واحدة من روي بيته ، ولا يلزم فيه مراعاة الأجزاء العروضية كمراعاتها في نوع (الموازنة).

(٣) التطريز : هو أن يبتدىء المتكلم بذكر جمل من الذوات غير مفصلة ، ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بعدد ما قبلها من تلك الجمل .

(٤) التدبيج : هو أن يذكر الناظم أو الناثر ضمن كلامه لونين فأكثر يقصد بها الكناية أو التورية عما يريد من غزل أو وصف أو مدح أو ذم أو غير ذلك من أغراض الشعر بحسب المناسب .

(٥) منه نسخة في برلين برقم : (٧٣٨٨).

٦٢ - « شدو العندليب في مدح الحبيب »[١] :

بديعية وشرحها لخليل الوكيل البهنوي* .

من رجال القرن الثالث عشر الهجري ، انتهى من بديعيته نظماً وشرحاً سنة (١٢٣٩ هـ) . وقال في مقدمة شرح هذه البديعية ، التي مطلعها :

قِفْ بِالعَقِيقِ وَبَلِّغْ جِيْرَةَ الحَرَمِ ... سَلامَ صَبٍّ لِرُؤْياهُمْ مَشُوق ظَمِي

« فعزمت على نظم قصيدة تجمع أشتات البديع ، وتتطرز بمدح مجده الرفيع ، فنظمت مئة بيت وبيت واحد ، في بحر البسيط ، تشتمل على مئة نوع ونوع واحد[٢] من محاسن البديع ، وسمّيتها : شدو العندليب في مدح الحبيب ، وجعلت كل بيت منها مثالاً شاهداً لذلك النوع ، وربما اتفق في البيت منها النوعان والثلاثة بحسب انسجام القريحة في النظم ، والمعتمد منها ما أسس عليه البيت »[٣] .

وهاك بعض أبياتها ، فمنها قوله في (التشريع)[٤] :

مَا كانَ مِنْهُم قَصْدِي بالتِجَائِي لَهُمْ ... إلا رِعـايَةَ وُدِّي في جِـوارِهِمِ

وقوله في (حسن الاتباع) [٥]:

---

(١) هذه البديعيةموجودة في مكتبة المركز الثقافي العربي في (حماه) وقد قسّمت إلى قسمين: الأول باسم: « شدو العندليب في مدح الحبيب » برقم (٢١٤) ينتهي بالاستدراك . والثاني : برقم (٢١٠) بعنوان : جزء من بديعية لمؤلف مجهول ، ويبدأ (بالتشريع)، مع تتمة بحث (الاستدراك).

(*) لم أستطع الوقوف على ترجمة له .

(٢) هذا ما قاله ، بينما لا يوجد في الشرح سوى (٩٨) بيتاً ، تتضمن (٩٩) نوعاً .

(٣) شدو العندليب : المقدمة .

(٤) التشريع : هو عبارة عن أن يبني الشاعر بيته على وزنين وقافيتين ، فإذا أسقط من آخر البيت جزء صار البيت من وزن آخر غير وزنه الأول .

(٥) حسن الاتباع : هو أن يأتي الشاعر إلى معنى اخترعه غيره فيحسن اتباعه بحيث يستحقه بوجه من وجوه الزيادات .

تَفْنىٰ عِـظَامِي وَفِيها مِنْ مَحَبَّتِـهِ   شَيْءٌ يَقِيهَا ويَرْعَاها مِنَ الضَّرَمِ

وقال في بيت (الاستشهاد)[1] :

يا أشْرَفَ الخَلْقِ فَاعْذُرْ فَالوَكِيْلُ غَدا   مُحِبُّكُمْ ولِهــذا بِـالخَلِيـلِ سُمِي

وبراعة ختامها قوله :

حاشىٰ يَخِيْبُ ظُنوناً مِنْ شَمَائِلِكُم   بِكُمْ مِنْ الله يَـرْجُو حُسْنَ مُخْتَتَمِ

٦٣ - « بديعية » :

محمد بن عبد الوهاب بن إسحاق بن عبد الرحمن الجندي ، المعري* .

ولد في معرة النعمان سنة (١٢١١ هـ)، وتولى منصب الإفتاء فيها ، وكذلك في حمص ، وكانت وفاته في مسقط رأسه سنة (١٢٦٤ هـ) .

« كان عالماً جليلاً ، مدققاً نبيلا ، أديباً وقوراً خبيراً باللغة التركية ، أخذ العلم عن أبيه وأعلام عصره »[2] . وترك مجموعة من المؤلفات[3] .

وله من المنظوم بديعيته هذه ، ولا أملك منها شيئاً سوى الخبر .

٦٤ - « بديعية » :

مصطفى بن عبد الوهاب بن سعيد الصلاحي** .

« العالم الأديب ، والشاعر اللبيب . ولد في صالحية دمشق ، وتعلم حتى

---

(١) الاستشهاد : هو أن يتلطف الشاعر ويذكر اسمه أو كنيته في آخر بيت من القصيدة ، أو الذي قبله .

(*) أعلام الأدب والفن : ١ / ٣٠ .

(٢) أعلام الأدب والفن : ١ / ٣٠ .

(٣) منها : « المولد النبوي »، « الموعظة الحسنة ».

(**) حلية البشر : ٣ / ١٥٣٩ ، معجم المؤلفين : ١٢ / ٢٦٤ ، وفيه وفاته (١٢٢٨ هـ).

برع في العلوم منطوقها والمفهوم . ومات ـ رحمه الله ـ في ثالث ربيع الثاني سنة (١٢٦٥ هـ) ودفن في مقبرة قاسيون »[١].

ومطلع بديعيته :

عَلَّلْتُ قَلْبي بِذِكْرِ البَانِ والعَلَمِ ... وَلَمْ كَلْمُ فُؤادي مِنْكَ بِالكَلِمِ

ويحدثنا الصلاحي عن سبب نظمه لها فيقول ، بعد أن أشار إلى شرحه لبديعية البربير : « ثم بدا لي أن أنظم في ضمن هذا الشرح قصيدةً بديعية أرتّب أبياتها على ترتيب أبيات السيد المشار إليه ، وأذكر كلّ بيت منها بعد ذكر بيته ، وأطابقه عليه ، مع عدم تسمية النوع في ضمن البيت هرباً من الوقوع في العقادة الكثيفة . . ثم أعرفه ، ثم أعرف الأول . وإنما يكون على الأول المُعَوّل »[٢].

وعلى هذا النهج سار في نظم بديعيته ، إلا أنه أحياناً كان ينظم أبياتاً تضم أنواعاً بديعية لم ينظمها البربير ، ويشير إلى ذلك ، ومن هنا جاءت بديعيته في (١٦٢) بيتاً[٣]، تضم (١٦٥) نوعاً بديعياً .

وأخلّ الصلاحي ـ مع ذلك ـ بذكر اثني عشر نوعاً بديعياً ، وهي : (الجناس المطلق)، (الإشارة)، (النوادر)، (ائتلاف المعنى مع المعنى)، (الموارِدة)، (المجاز)، (ائتلاف اللفظ مع اللفظ)، (ائتلاف المعنى والوزن)، (التفصيل)، (الحذف)، (التفسير)، (السهولة) .

ومن أبيات هذه البديعية قوله في (المزاوجة)[٤]:

---

(١) حلية البشر : ٣ / ١٥٣٩ .

(٢) نخبة البديع في مدح الشفيع : ٦ / آ ، والمقصود بالأول بيت أحمد البربير .

(٣) لقد ذكر فيها بيتا كان استبدله بآخر في أثناء النظم ، فبحذفه تصبح (١٦١) بيتا .

(٤) المزاوجة : أن يزاوج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء ، وذلك بأن يجعل المعنيين الواقعين في الشرط والجزاء مزدوجين في أن يرتب على كل منهما معنى رتب على الآخر .

إذا سَطَا الدَّهْرُ يوماً واسْتَغَثْتُ بِهِم　　نَجَوْتُ مِنْهُ وَكَمْ مِنْهُ اسْتَغاثَ كَمِي

وقوله في (المناسبة)[1] وهو يعدد أوصافه ﷺ :

بَحْرُ الحَقَائِقِ بَلْ كَنْزُ الدّقائِقِ بَلْ　　نِهَايَةُ الشَّرْحِ عَنْهُ مُلْتَقى الحِكَمِ

وقوله في (التعريض)[2]:

مَنْ مِثْلُهُم وَرَسُولُ الله شَرَّفَهُم　　في شَرْعِهِ حَيْثُ لَمْ يُنْسخْ وَلَمْ يُضَمِ

وقوله في (التَعَطُّف)[3] :

يا رَبِّ كُنْ لِي بهم عَوْناً عَلى زَمَني　　يا رَبِّ وانْفِ بِهِمْ عَنِّي أَذَىٰ السَّدَمِ

وقوله في (التعديد)[4]:

فأَنْت ذُو الفَضْلِ والجُودِ العَظِيْمِ وَذوم　　الإحسانِ والعَفْو والغُفْرانِ والكَرَمِ

أما حسن ختامها فقوله :

فُزْنا بِمَبْعَثِهِ بَدْءاً وسَوفَ نَرىٰ　　حُسْنَ الخِتَامِ بِمَدْحٍ فيه مُنْسَجِمِ

وقد سبقت الاشارة إلى أنه ذكرها في أثناء شرحه «نخبة البديع» على بديعية أحمد البربير.

---

(١) المناسبة : قسمان : معنوية ولفظية . المعنوية : أن يبتدىء المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسب معنى دون لفظ ، ومنه الشاهد .

(٢) التعريض : عبارة عن أن يكنى المتكلم بشيء عن آخر لا يصرح به ليأخذه السامع لنفسه ، ويعلم المقصود منه .

(٣) التعطف : هو أن يكون أحد اللفظين المتشابهين في أول المصراع ، والثاني في حشو الثاني . واللفظان المتشابهان إما أن يكونا من المكرر أو من الجناس ، أو من الاشتقاق أو من شبهه . والسدم ، في البيت : الندم والحزن والهم .

(٤) التعديد : هو عبارة عن إيقاع أسماء منفردة على سياق واحد ، فإن روعي في ذلك ازدواج أو مطابقة أو تجنيس أو مقابلة ، فذلك الغاية في حسن النسق .

٦٥ - « تحفة الأسماع بمولد حَسَنِ الأخلاق والطباع »[١] :

بديعية محمد نسيب بن حسين بن يحيى ، الشهير بابن حمزة الحسيني* .

« أحد صدور دمشق ورؤسائها وفضلائها وأدبائها ، كان جليلاً مهاباً . . عالماً فاضلاً ، أديباً متقناً ، له اليد الطولى في فنون الأدب »[٢] .

كانت ولادته سنة (١٢٠١ هـ) ، ووفاته سنة (١٢٦٥ هـ) .

أما بديعيته هذه فهي فريدة بين (البديعيات) ، ولم أعثر على بديعية مثيلة لها ، ذلك أن ناظمها لم يقتصر فيها على مدح النبي محمد ﷺ إنما حوّر هذا الموضوع لينظم قصة المولد النبوي في قالب (البديعيات) ، وبذلك تميز عن غيره ، وطوّر فن (البديعيات) ونقله نقلة جديدة ، ولكن لم يتابعه أحد عليها .

أما هذه البديعيةُ المَوْلِدُ فكانت أبياتها (١٥٥) بيتاً ، لم يلتزم فيها تسمية الأنواع البديعية في أثناء الأبيات ، ولم أقف على شرحها لأتبين أنواعها .

ومطلعها :

حَمْداً جَزِيْلاً لِمَنْ قَدْ شَرَّفَ الأُمَمَا ... بِحُسْنِ طَلْعَةِ مَوْلُودٍ عَلا العُظَمَا

ومن أبياتها :

وَكَمَّـلَ اللّهُ سَعْدَ المُـرْسَلِيْنَ بِهِ ... وَكَمْ مَلا القَلْبَ مِنْهُ الحِلْمَ والحِكَمَا[٣]

وذاتُهُ جَمَعَتْ كُلَّ الكَمَـالِ أَمَا ... أَضْحَى أمامَ الجَمِيْعِ المُفْرَد العَلَمَا[٤]

---

(١) طبعت بمطبعة الليطوغرافية - سورية - ١٣٠١ هـ.

(*) منتخبات التواريخ للمشق (الحصني): ٢ / ٦٩٨ - ٦٩٩ ، روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر : ٢٥١ - ٢٥٤ .

(٢) روض البشر ، ص : ٢٥١ .

(٣) في البيت الجناس المركب .

(٤) فيه : الجناس المذيل .

كانَ المُفَضَّلَ والقُرْآنُ فَضْل بَعْـ .. ضَ الرُّسْلِ إذ مَدَّهُم دُنْيا ومُخْتَتِما[1]

وبيت الخِتام :

فَعِنْدَها وَلَدَتْ خَيْرَ الأَنَامِ وذَا حُسْنُ الخِتَامِ بِهِ يَرْجُوهُ مَنْ نَظَمَا

ثم ذكر بعده خمسة أبيات عنونها بقوله : « هنا محل القيام » ، وقد تضمنت (الإستشهاد) و (التاريخ) و (ختام الختام) وهي :

وها أَنَا المُلْتَجِي مَدَّاحُ حَضْرَتِهِ (نَسِيبُه) وَبَدِيْعِي بالشَّذَا خُتِما[2]
عَنْ نَظْمِ مَوْلِدِهِ التَارِيْخُ : دَلَّ فَقُلْ حَمْداً جَزِيْلاً لِمَنْ قَدْ شَرَّفَ الأَمَما[3]
عَلَيه أزكىٰ صَلاةٍ طِيْبُها عَبِقٌ مَعَ السَّلامِ مِنَ المَولىٰ بِقَدْرِهِما
والآلِ والصَّحْبِ والأَزْواجِ سادَتِنا وتابِعِيْهِم بِإحْسَانٍ ومَنْ خَدَما
ما حنّ قَلْبُ مَشُوقٍ نَحْوَ حُجْرَتِهِ أَوْ هَزَّ شَمْأَلَ ذاكَ البانِ والعَنَما

ولم يكتف نسيب حمزة بهذا الجديد الذي جاء به ، أنما خالف الروي المعهود (للبديعيات) وجاء بروي الميم المفتوحة المطلقة .

وقد أشار الشطّي [4] إلى أن ولده محمود بن نسيب حمزة قد شرح بديعية أبيه ، وقدّم له في ذلك الشرح ترجمة مفصلة .

٦٦ - « بديعية » [5] :

ناصيف بن عبدالله بن ناصيف اليازجي* .

---

(١) فيه : الجناس المطرف .
(٢) فيه الإستشهاد ، وقد ذكر اسمه (نسيب) .
(٣) التاريخ ويشير إلى سنة (١٢٣١ هـ) .
(٤) روض البشر ، ص : ٢٥١ .
(٥) طبعت في ديوانه « نفحة الريحان » - بيروت : ١٨٦٤ م .
(*) الآداب العربية في القرن التاسع عشر : ٢ / ٢٧ ، معجم سركيس : ١٩٣٣ - ١٩٣٩ ، أعلام الأدب والفن : ٢ / ٢٧٩ - ٢٨١ ، الأعلام : ٧ / ٣٥٠ - ٣٥١ .

ولد في (كفرشيما) بلبنان سنة (١٢١٤ هـ)، ونشأ فيها ، وعمل بالكتابة للأمير بشير الشهابي ، وازدادت معرفته ، فتفرغ للتأليف والتدريس حتى قضى سنة (١٢٨٧ هـ) . تاركاً مجموعة من المؤلفات(١) .

وبديعيته هذه من (البديعيات) التي نظمها النصاري في مدح السيد المسيح - عليه السلام - ومطلعها :

عـاجَ المُتَيَّمُ بالأَطْـلالِ فَـالعَلَمِ ... (فَأَبْرَعَ) الدَّمْعِ في (اسْتِهْلالِه) العَرِمِ

والتزم اليازجي التورية باسم النوع البديعي في أثناء البيت ، وجاءت بديعيته في (١١٤) بيتاً ، تتضمن (١٢٣) نوعاً بديعياً . وقد أخلّ بثلاثة وثلاثين نوعا ، هي : (الجناس المقلوب) ، و (التام) ، و (الملفق) ، (عتاب المرء نفسه) ، (القول بالموجب) ، (تشابه الأطراف) ، (القسم) ، (الإستعارة) ، (المناسبة) ، (التكميل) ، (المبالغة) ، (التفريق) ، (الجمع والتقسيم) ، (الإشتراك) ، (التشبيه) (الموازنة) ، (التجزئة) ، (السجع) ، (المواربة) ، (حسن الإتباع) ، (ائتلاف اللفظ واللفظ) ، (السلب والإيجاب) ، (التعريض) ، (الإيداع) ، (الإستعانة) ، (التفصيل) (الحذف) ، (الإتساع) ، (جمع المؤتلف والمختلف) ، (حسن البيان) ، (براعة الطلب) ، (الإعتراض) ، (الرجوع) .

منها قوله في (الإدماج)(٢) :

(أَدْمَجْتُ) شَكْواي مِنْهُ في العِتَابِ وما ... يُجْدِي العِتَابُ ولا الشَّكْوىٰ مَعَ الصَّمَمِ

(١) منها : « مجمع البحرين » ، « فصل الخطاب » ، في قواعد اللغة العربية ، « نار القرى في شرح جوف الفرا » في النحو ، « العرف الطيب شرح ديوان أبي الطيب » . .

(٢) الإدماج : هو أن يدمج المتكلم غرضاً له ضمن معنى قد نحاه من جملة المعاني ليوهم السامع أنه لم يقصده ، وإنما عرض في كلامه لتتمة معناه الذي قصده..

وقوله في (التفريع)[1] :

ما الزَّهْرُ والزُّهْرُ في أُفْقٍ وفي أُفُقٍ أَشْهى وأَشْهَر من (تَفْرِيع) ذِكْرِهِم

وحسن ختامها : ·

بِئسَ الحَيَاةُ التي طابَتْ أوائِلُها إن لَم يكنْ طابَ منها (حُسن مُختَتَم)

وقد شرح هذه البديعية شرحاً مطولاً سمّاه : « القطوف الدانية » .

وتجدر الإشارة إلى أنه قد جاء في ديوان اليازجي[2] قصيدة من ثمانية وعشرين بيتاً مطلعها :

خَوْدٌ منَ العُرْبِ عافَتْ شِيمةَ الكَرمِ تَضنُّ حَتّى بحَرْفِ النَّفْي بالكَلِم

وقد قُدّم لهذه القصيدة بـ : « وقال يجيب جبرائيل أفندي صدقة عن بديعية امتدحه بها » .

والغريب في هذا أمران :

ـ الأول : هو التساؤل الذي يمكن أن ينجم عن التقديم للقصيدة ، إن كان جبرائيل هذا قد نظم بديعية كاملة بحق ، أو أنه نظم قصيدة فيها بعض ملامح البديعية ، كالتي أجابه بها اليازجي ؟ وإن كان هذا التساؤل بعيداً لما تعطيه من دلالة قصيدة اليازجي التي أجابه بها ، فهي ليست بديعية !!

والثاني هو استخدام مصطلح (بديعية) لغير ما وضع له بالأصل ، وإلقاؤه على قصيدة حوت بعض أنواع البديع لا البديع كله ـ أو معظمه ـ لأنه

(١) التفريع : هو أن يصدر الشاعر أو المتكلم كلامه باسم منفي (بما) خاصة ، ثم يصف ذلك الإسم المنفي بأحسن أوصافه المناسبة للمقام ، إما في الحسن وإما في القبح ، ثم يجعله أصلا يفرّع منه جملة من جار ومجرور متعلقة به ، ثم يخبر عن ذلك الإسم بأفعل التفضيل ثم يُدخل (من) على المقصود ويعلق المجرور بأفعل التفضبا .

(٢) نفحة الريحان ، ص : ١٠٨ .

يجب أن لا ننسى أبداً أن كل بديعية كان صاحبها يحاول أن يجمع فيها كل أنواع البديع المعروفة لديه ، أو معظمها . أما أن تكون القصيدة ذات أبيات قليلة ، وفيها بعض أنواع البديع ، فليست من البديعيات لأنه من الطبيعي ، بل ربما من المفروض ، في عصر البديعيات ، أن تتضمن كل قصيدة جملة من أنواع البديع ، ومع ذلك لا يطلق عليها مصطلح (بديعية) .

٦٧ ـ « عنوان الرضوان في مدح سيد ولد عدنان »[١] :

بديعية محمد رضوان بن محمد بن إسماعيل* . المتوفي سنة (١٢٩١ هـ)[٢] .

ومطلع هذه البديعية :

(بَرَاعَةُ) الشَّوْقِ مِنْ تَذْكَارِ ذِي سَلَمِ   قَدِ (اسْتَهَلَّتْ) دُمُوعَ العَيْنِ كَالْعَنَمِ

ومن يطالع مقدمة البديعية التي كتبها لها يعلم أنه كان يبحث عن قصيدة ينظمها في مدح النبي ﷺ وبقي في حَيْرتِهِ حتى عثر على بديعية ابن حجة الحموي ، فأثارت في ذهنه بوادر قصيدة نبوية ، لها صفة (البديعيات) ، فنظم هذه البديعية .

وقد حاول أن يتابع ابن حجة في كل شيء ، فالتزم التورية باسم النوع البديعي ضمن البيت ، وبلغ عدد أبياتها (١٤٥) بيتاً متضمنة (١٥١) نوعاً بديعياً .

أما التقصير فيها فكان عن أربعة أنواع هي : (التسليم) ، (الموازنة) ، (الإلغاز) (التفصيل) .

---

(١) طبعت بمطبعة المدارس في مصر سنة (١٢٨٨ هـ) .
(*) معجم سركيس : ٩٤٠ .
(٢) أشار العلاّمة أحمد تيمور في استدراكه المذكور في نهاية « بديعية العميان » إلى أن وفاته كانت سنة (١٣٠٥ هـ) .

وهذه بعض أبياتها .

قال في (ائتلاف اللفظ مع اللفظ)[1] :

(لَفْظٌ كَلَفْظِ) الْلآلِي إذْ (أُؤَلِّفُهُ) مِنْ بَحْرِ مَدْحٍ بِمَوْجِ الفَخْرِ مُلْتَطِمِ

وقال في (ائتلاف اللفظ مع الوزن)[2] :

و (الوَزْنُ أَلَّفَ ألفاظي) ونَظَّمَها في صَمْتِ جَوْهَرِ نُطْقٍ غَيْرِ مُنْخَرِمِ

وقال في (ائتلاف المعنى مع الوزن)[3] :

(وَزْنٌ تَأَلَّفَ بِالمَعْنى) وَصِحَّتُهُ كَما تَأَلَّفَ فِكْرِي بِامْتِدَاحِهِمِ

وحسن ختامها قوله :

هٰذا ابْتَداءُ مَدِيْحِي أَسْتَمِدُّ بِهِ حُسْنَ التَّخَلُّصِ مِنْ ذَنْبِي (بِمُخْتَتَمِي)

ولم تظفر هذه البديعية بشرح .

٦٨ - « بديعية »[4] :

محمود صفوت بن مصطفى آغا الزيلة لي الساعاتي* .

أديب مصري ماهر ، ولد في القاهرة سنة (١٢٤١ هـ)، ونشأ فيها . كان

---

(١) ائتلاف اللفظ مع اللفظ : هو أن يكون في الكلام معنى يصح معه هذا النوع ويأخذ عدة معان ، فيختار منها لفظة بينها وبين الكلام ائتلاف .

(٢) ائتلاف اللفظ مع الوزن : هو أن تكون الأسماء والأفعال تامة لم يضطر الشاعر في الوزن إلى نقصها في البنية ، ولا إلى الزيادة ، ولا إلى التقديم والتأخير .

(٣) ائتلاف المعنى مع الوزن : هو أن تأتي المعاني في الشعر صحيحة لا يضطر الشاعر في الوزن إلى قلبها عن وجهها ، ولا إلى خروجها عن صحتها .

(٤) طبعت في « مختصر ديوانه » . جمعه : عبد الحميد نافع . مصر ـ ١٣٧٨ هـ .

(*) أعلام الأدب والفن : ٢ / ٤٣١ ، الآداب العربية في القرن التاسع عشر : ٢ / ١٦ معجم سركيس : ٩٦٦ ، الأعلام : ٧ / ١٧٤ .

يهوى العمل بالساعات ، ثم توجه إلى الحجاز حيث اتصل بأحد أمرائها ، ورافقه في غزواته ، واستمر على اتصاله به وبغيره من الأمراء حتى بعد عودته إلى القاهرة ، وكانت وفاته سنة (١٢٩٨ هـ) . وخلّف مجموعة من المؤلفات[١] ، وبديعيته هذه التي مطلعها :

سَفْحُ الدُّمُوعِ لِذِكْرِ السَّفْحِ والعَلَمِ أَبْدىٰ (البَرَاعَةَ في اسْتِهْلالِهِ) بِدَمِي

ويلاحظ أنه ورَّىٰ باسم النوع البديعي ضمن أبياته التي بلغت (١٤٢) بيتاً ، متضمنة (١٥٠) نوعاً بديعياً ، لم يذكر بينها : (التسليم) ، (الموازنة) ، (الإلغاز) (الإستعانة) ، (الحذف) ، (الطاعة والعصيان) .

ومما ذكره في بديعيته قوله في (المشاكلة)[٢] ، وفيه (الإحتراس) :

يَجْزُوْنَ بِالبَغْي مَنْ يَبْغِي (مُشَاكَلةً) مِنْ غَيْرِ جَوْرٍ عَلَيْهِ (لاحْتِراسِهِمِ)

وقوله في (السلب والإيجاب)[٣] :

لمْ (يَسْلبِ) الحُبّ (إيْجاب) الصُّدُودِ بلى قَدْ يَسْلبُ النَّوْمَ مِنْ عَيْني فَلَمْ أَنَمِ

وقوله في (ما لا يستحيل بالإنعكاس)[٤] :

هَـلُمَّ إنَّ إمَـامـاً مَـا نُـؤَمِّلُهُ و (عَكْسُنا مُسْتَحِيْلٌ) بَعْدَ أَمِّهِمِ

وحسن ختامها قوله :

فـما اسْتَهَلَّ بِـإخْلاصٍ بَـرَاعتَـهُ إلا وأَمَّلَ فِيْها (حُسْنَ مُخْتَتَمِي)

وقد شرح هذه البديعية عبدالله فكري باشا[٥] (ت : ١٣٠٦ هـ) .

---

(١) منها : « ديوان شعر » ، « مزدوجات » .
(٢) المشاكلة : ذكر الشيء بغير لفظه لوقوعه في صحبته .
(٣) السلب والإيجاب : هو أن يبني المتكلم كلامه على نفي شيء من جهة ، وإثباته من جهة أخرى .
(٤) ما لا يستحيل بالإنعكاس (القلب) : هو أن يكون عكس البيت أو عكس شطره كطرده .
(٥) قال الزركلي إنها مطبوعة . الأعلام : ٤ / ١١٣ .

٦٩ - « بديعية » :

أسعد بن أحمد بن مصطفى العظم* ، الحموي .

ولد في معرة النعمان سنة (١٢٣٦ هـ) . مات أبوه وهو صغير ، فاستقدمه عمه إلى حماه وكفله ورعاه ، وتتلمذ فيها ، وأخذ عن علمائها حتى برع في العلم وتفوق وولي مناصب رفيعة .

وكانت وفاته سنة (١٢٩٩ هـ) .

« له ديوان شعر في غاية الرصانة وحسن الديباجة « الفرائد النظمية والقلائد العظمية » تضمن فنوناً من المدح والهجاء والرثاء والحماسة والغزل والمعاتبات ، وله المقاطع والدوبيت والقدود والموشحات وما ماثلها . . ومدح الرسول الأعظم ببديعية حوت أنواع البديع ، وقد شرحها »(١) .

كما ذكر هذه البديعية محمد نوري الكيلاني ضمن شرحه على بديعيته(٢) التي نظمها .

٧٠ - « بديعية » :

أرسا نيوس (فارس) بن يوسف بن إبراهيم الفاخوري** .

أديب شاعر ، ومؤلف لبناني ولد في (بعبدا) سنة (١٢١٥ هـ)، وتعلم في مدرسة عين ورقة ، وبلغ مرحلة من العلم أصبح فيها مدرساً وذا مكانة في

(*) أعلام الأدب والفن : ١ / ١٨٥ - ١٨٧ .
(١) أعلام الأدب والفن : ١ / ١٨٦ .
(٢) انظر المرجع السابق : ٢ / ٤٠ .
(**) تاريخ الآداب العربية من نشأتها إلى يومنا : ٦٣٥ - ٦٣٧ ، الآداب العربية في القرن التاسع عشر : ٢ / ١٠٠ ، علم الأدب مقالات لمشاهير العرب (شيخو) : ٢٩٥ - ٣١١ ، معجم سركيس : ١٤٢٣ ، أعلام الأدب والفن : ٢ / ٣٢٢ - ٣٢٣ ، الأعلام : ١ / ٢٨٧ .

الكنيسة . توفي سنة (١٣٠١ هـ) . تاركاً عدداً من المؤلفات[١] .

وقد نظم أرسانيوس ثلاث بديعيات في مدح السيد المسيح ، أولاها[٢] مطلعها :

(بَرَاعَةُ) المَدْحِ في نَجْمٍ ضِيَاهُ سُمِي   تُهْدي (بِمَطْلَعِها) مَن عَن سناه عمي

وأبيات هذه البديعية (١٨١) بيتاً ، اشتملت على (١٨٥) نوعاً بديعياً ، التزم فيها التورية باسم النوع البديعي ضمن البيت .. أخلّ فيها بنوع (الإشتقاق) فقط . ومن أبيات هذه البديعية قوله في (تشبيه شيئين بشيئين) :

(شَيْئانِ قَدْ أَشْبَهَا شَيْئَيْنِ) فِيهِ لَنا   تَعَطُّفٌ ونَدِى كَالْبَحْرِ والدِّيَمِ

وقوله في (الجناس اللاحق)[٣] :

دَرْبُ الهَوَىٰ مَنْ بِهِ قَدْ سَارَ (أَلْحَقَهُ)   كَمْ حَائِرٍ بائِرٍ بالرُّشْدِ مِنْهُ رُمِي

وختام ختامها قوله :

و (أخْتُمْ خِتامي) بِأَنْ أَحْظَى بِمَطْلَعِكَ الـ .. ـباهِي بِخِدْرِ السَّنَى يا مُرْشِدَ الأُمَمِ

٧١ - « بديعية » :

ثانية لأرسانيوس الفاخوري مطلعها ، وقد تضمّن (الالتزام) :

إنّي لِأَحْكَامِ القَضَاءِ مُسَلِّمُ   وَلِسَانُ حَالِي بِالهَوَىٰ مُتَكَلِّمُ

---

(١) منها : « روض الجنان في المعاني والبيان » ، « الميزان الذهبي في الشعر العربي » « شرح ديوان المتنبي » .

(٢) طبعت في كتاب : « علم الأدب ، مقالات لمشاهير العرب » على الجزء الأول من ، « علم الأدب » للويس شيخو . (ط . بيروت - ١٨٨٧ م) .

(٣) الجناس اللاحق : هو أن يتشابه اللفظان بجميع الأحرف مع إبدال أحد ركني اللفظين بحرف من غير مخرج الآخر .

وهذه البديعية خالفت غيرها في الوزن حيث جاءت على البحر الكامل ، وحركة حرف الروي ، حيث جاء ميماً مضمومة لا مكسورة .

والذي طبع من هذه البديعية بلغ (٩٠) بيتاً ، فيها (٩٠) نوعاً بديعياً ، لم يلتزم ذكر اسم النوع البديعي في أثناء الأبيات . وكان ختامها قوله :

حُسْنُ الخِتَامِ أَنَا الرَّقِيْقُ فَأَرْتَجِي أَنْعِمْ بِـهِ يا خَـيْرَ مَولًى يُنْعِمُ

٧٢ - « زهر الربيع في فن البديع »[١] :

وهي البديعية الثالثة مع شرحها لأرسانيوس الفاخوري ، ومطلعها :

فَحَيِّ حَيَّ الجَلِيْلِ الجَامِعِ العِظَمِ وَبَيْتَ لَحْمٍ وآلاً قَدْ سَمَتْ بِهِمِ

« بديعية منظومة ومشروحة في مدح السيد المسيح ووالدته البتول ، ورسله الأطهار ، أبياتها (١٤٧) بيتاً »[٢].

٧٣ - « اللمعة المحمدية في مدح خير البرية »[٣] :

بديعية وشرحها لمحمد بن عبدالحميد بن عبدالقادر الشهير بالحكيم زادة البغدادي* . (ت : ١٣٠١ هـ) .

* * *

وتجدر الإشارة هنا ، وضمن هذا الترتيب الزمني للبديعيات ، إلى منظومة عبدالهادي نجا بن رضوان الأبياري[٤] المعروفة باسم « طرفة الربيع في نظم

---

(١) في مجلة المشرق : المجلد الرابع ، ص : ٢٦ - ٣٠ .
(٢) طبعت في المطبعة العمومية في بيروت . سنة (١٨٦٨ م) ولم أستطع الوصول إليها .
(٣) مجلة المشرق : مجلد ٣ .
(٤) منه نسخة في خزانة الشيخ محمد علي اليعقوبي في النجف .
(*) مجلة معهد المخطوطات العربية المصورة : م ٤ ، ع ٢ ، ص : ٢١٣ .
(٥) كاتب أديب ، له نظم ، ولد في قرية (الأبيار) بمصر سنة (١٢٣٦ هـ) ، وتعلم في الأزهر الشريف ، ثم عهد إليه بتأديب أولاد الخديوي إسماعيل - (ت : ١٣٠٥ هـ) .

أنواع البديع » التي عدّها بعضهم ، كصاحب « الصبغ البديعي » من (البديعيات) وهي من ذلك محلولة العقال ، فالأبياري نظم أنواع البديع في أرجوزة على شاكلة الألفية ، فلا بحر ، ولا روي ، ولا موضوع ، يتفق مع (البديعيات) ولا غاية ، بل كل ما هنالك أنه يعرّف بأنواع البديع من خلال ذكرها في الأرجوزة ، كقوله في مطلعها الذي يتضمن (براعة المطلع) :

بَـرَاعَةُ المَـطْلَعِ في الكَلامِ أنْ يَكُـونَ بَدْؤُهُ عَـلى وَجْـهٍ حَسَنْ
مَـع تَنـاسِبٍ بـلا حَشْـوٍ ولا تَعَلُّقٍ لَـهُ بِقَـولٍ قَـدْ تَـلا

وعلى هذا النحو تسير المنظومة ، وما أدري أبعد هذا البيان منها بيان على أنها ليست من (البديعيات) ؟!

٧٤ ـ « بديعية » :

عبدالله بن مصباح بن إبراهيم النديم* .

« صحفي خطيب ، من أدباء مصر وشعرائها وزجّاليها . . ولد في الاسكندرية (١٢٦١ هـ) وشغل بعض الوظائف الصغيرة ، وأنشأ فيها الجمعية الخيرية الإسلامية ، وكتب مقالات كثيرة في جريدتَي (المحروسة) و (العصر الجديد) ، ثم أصدر جريدة (التنكيت والتبكيت) مدّة ، واستعاض عنها بجريدة سمّاها (الطائف) أعلن بها جهاده الوطني »[(١)] ، ومن ثم حبس ، وأطلق فذهب إلى فلسطين ، ثم عاد إلى القاهرة ، ثم نفي إلى الأستانة وبقي فيها حتى وافته منيته سنة (١٣١٤ هـ) . مخلفاً وراءه مجموعة من التآليف[(٢)] .

(*) تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر : ٣ ـ ٣٠ ، بناة النهضة العربية : ١٣٦ ـ ١٤٤ ، أعلام الأدب والفن : ٢ / ٤٣٦ ـ ٤٣٨ ، هدية العارفين : ١ / ٤٩٢ ، الأعلام : ٤ / ١٣٧ ـ ١٣٨ ، وانظر مراجع ترجمته فيه .

(١) الأعلام : ٤ / ١٣٨ .

(٢) منها « أمثال العرب » ، « ثلاثة دواوين » ، « كان ويكون » .

ومن هذه التآليف : بديعية ، نظمها في مدة اختفائه ، ثم شرحها ، وأظن أن اسمها مع الشرح : « البديع في مدح الشفيع » لأن هذا الاسم يرد ضمن مؤلفاته .

٧٥ - « بديعية » :

شاكر بن مغامس بن محفوظ بن صالح شقير*.

ولد سنة (١٢٦٦ هـ) بالشويفات في لبنان ، وتوفي فيها سنة (١٣١٤ هـ) .

« من نوابغ حملة الأقلام في أواخر القرن التاسع عشر ، فإنه كان حجة في معرفة لغة العرب وأحوالهم وتواريخهم وعلومهم ، وترك مؤلفات كثيرة[١] تشهد بطول باعه في المعارف وتفننه في الكتابة »[٢] .

وقد « نظم بديعية وشرحها شرحاً موجزاً »[٣] .

٧٦ - « ترجمان الضمير في مدح الهادي البشير » :

بديعية عبدالقادر بن عبدالقادر الحسيني الأدهمي**.

أديب مشارك في الفنون والعلوم من طرابلس الشام . كانت وفاته سنة (١٣٢٥ هـ) . وله عدّة مؤلفات[٤] .

(*) تاريخ الصحافة العربية : ٢ / ١٨٨ - ١٩٢ ، تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان) : ٤ / ٢٢٠ - ٢٢١ ، معجم سركيس : ١١٣٥ ، أعلام الأدب والفن : ٢ / ٣٧١ - ٣٧٢ ، الأعلام : ٣ / ١٥٢ - ١٥٣ ، وانظر مراجع ترجمته فيه .

(١) منها : « أساليب العرب في صناعة الإنشاء » ، « مصباح الأفكار في نظم الأشعار » « منتخبات الأشعار » .

(٢) أعلام الأدب والفن : ٢ / ٣٧٢ .

(٣) تاريخ الصحافة العربية : ٢ / ١٩٠ .

(**) معجم سركيس : ٧٧٣ ، ٩٢٥ ، الأعلام : ٤ / ٣٩ .

(٤) منها « إرشاد المريد » في الطريقة الشاذلية ، « تذكرة أولي البصائر في الكبائر والصغائر » ، « هدية الناسك » .

وبديعيته هذه التي مطلعها :

بَدِيْعُ مَطْلَعِ عُرْبِ البَانِ والعَلَمِ أَبْدىٰ (بَرَاعَةَ) حُسْنٍ (تَسْتَهِلُّ) دَمِي

يتبين من هذا المطلع أن الأدهمي قد وشّح أبيات بديعيته البالغة (٢٠٧) بالتورية باسم النوع البديعي إذ بلغ عدد الأنواع فيها (٢١٤) نوعاً ، وفيها كثير من مخترعات الناظم وغيره ، ومع هذا فقد أخلّ بذكر ثمانية أنواع هي : (المراجعة) ، (الترشيح) ، (النوادر) ، (الموازنـة) ، (التوزيـع) ، (التمكين) ، (الاستتباع) ، (الاحتراس) .

ومما يذكر أن الناظم قد نظم بيتين لنوعي (الهزل في معرض الجد) و (الجد في معرض الهزل) إلا أن الشارح لم يبين الفرق بين هذين النوعين بدقة في شرحه .

ومما جاء فيها قوله في (الإيداع)[1] :

سِرُّ الخِلافَةِ فِيهِ اللّهُ (أَوْدَعَـهُ) وإنَّمـا اتّصَلَتْ مِن نُـورِهِ بِهِمِ

وقوله في (المدح في معرض الذم)[2] :

لا عَيْبَ فِيْهِم إذا ما رُمْتُ (أَمْدَحُهُم في مَعْرِضِ الذَّمِّ) إلاّ الحِفْظ لِلذِّمَمِ

وقوله في (حصر الجزئي وإلحاقه بالكلي)[3] :

(جُزْءٌ بِهِ التَحَقَ الكُلِّيُّ وانْحَصَرَتْ) كُلُّ العَوالِمِ بالإيْجَادِ مِنْ عَـدَمِ

---

(١) الإيداع : هو أن يودع الشاعر مصراعاً أو ما دونه من شعر آخر ، سواء كان من شعره أو شعر غيره ، مع التنبيه أنه من شعر غيره إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء بعد أن يوطىء له توطئة تناسبه بروابط ملائمة ، بحيث يظن السامع أنه الكلام بتمامه ، وأحسنه ما زاد على الأصل بنكتة ، ولا يضره التغيير اليسير .

والإيداع في البيت لشطر من البردة ، وهو قوله :

وكُلُّ آيٍ أَتَى الرُسْلُ الكِرامُ بِها فـإنَّمَـا اتّصَلَتْ مِـنْ نُـورِهِ بِهِمِ

(٢) المدح في معرض الذم : عبارة عن نفي صفة ذم ثم استثناء صفة مدح . وهو ثلاثة أقسام .

(٣) حصر الجزئي وإلحاقه بالكلي : هو أن يأتي المتكلم إلى نوع من الأنواع فيجعله جنساً تعظيماً له =

وجعل ختامها في بيتين فقال :

عَلَيْكَ مِنِّي صَلاةٍ طَابَ مَبْدَؤُها ... بِها مِنَ اللّهِ أَرْجُو (حُسْنَ مُخْتَتَمِي)
وآلِكَ الغُرِّ والأَصْحَابِ قَاطِبَةً ... مَقْرُونَةً بِدَوامِ اللّهِ ذِي العِظَمِ

وقد شرحها محمد بدرالدين الرافعي ، وسمّى شرحه عليها « بديع التحبير شرح ترجمان الضمير »[1] .

٧٧ ـ « البديعية النوريّة في مدح خير البرية » :

لمحمد نوري باشا بن أحمد بن عبدالوهاب الكيلاني* .

ولد بمدينة حماه سنة (١٢٥٢ هـ) . « تعلّم القرآن الكريم والكتابة ، مع دراسة النحو وفروع الفقه الحنفي ، وتلقى علوماً شتى على أعلام عصره في حماه وحلب وأجازه شيوخه إجازة عامة في الرواية عنهم . تولى عدة أعمال في أزمنة مختلفة »[2] . وكانت وفاته سنة (١٣٢٦ هـ) .

« كانَ شاعراً فذّاً ، وأديباً مفضالاً من هواة مجالس الأدب والطرب ، وكم كان له فيها من مطارحات حسنة »[3] . وقد جادت قريحته بعدة مؤلفات[4] .

وتفخيماً لأمره بعد أن يحصر جميع أقسامه .

وهو في البيت جعل الممدوح ﷺ جنساً للمخلوقات كلها . منحصراً فيه إيجادها من العدم .

(١) طبع بالمطبعة العلمية سنة (١٣١٢ هـ) .

(*) فهرس دار الكتب المصرية : ٧ / ٩٩ ، ١٦٦ ، أعلام الأدب والفن : ٢ / ٣٩ ـ ٤١ .

(٢) أعلام الأدب والفن : ٢ / ٣٩ .

(٣) أعلام الأدب والفن : ٢ / ٤٠ .

(٤) منها : « المعتبر على تكملة المختصر من أخبار أهل البشر » وهو ذيل على تاريخ أبي الفداء ، « أحسن ما قنيت » تاريخ أهل البيت ، « الكواكب الدرية في السلسلة المحمدية وأهلها الجيلانية » .

وبديعيته هذه(١) التي مطلعها :

نُورُ المَطَالِعِ مِنْ أَقْمَارِ ذِي سَلَمِ (بَرَاعَةُ) الصَّبِّ (لاسْتِهْلالِ) حُبِّهِمِ

والتزم فيها -كما يبدو- التورية باسم النوع البديعي في البيت .

وقد شرحها شرحاً حافلاً حمل الاسم ذاته « البديعية النورية في مدح خير البرية » .

٧٨ - « بديعية » :

ثانية لمحمد نوري باشا الكيلاني ، ذكرها في شرحه على بديعيته الأولى إلا أنه لم يلتزم فيها التورية باسم النوع البديعي ، كما أشار إلى ذلك أدهم الجندي عند حديثه عن البديعية الأولى إذ قال : « وله بديعيته مع شرحها سمّاها : البديعية النورية في مدح خير البرية ، في مجلد ضخم ذكر فيها بديعيتين له ، التزم في إحداهما تسمية النوع البديعي مورّياً به ضمن البيت اقتداءً بابن حجة الحموي وعبدالغني النابلسي . . والثانية (٢) جعلها على طريقة عائشة الباعونية وغيرها من أصحاب البديعيات »(٣) .

وقد سبقت الإشارة إلى أنه ذكر في هذا الشرح أيضاً بديعية أسعد باشا العظم .

٧٩ - « بديعية » :

حسين بن محمد بن مصطفى الجسر* .

---

(١) منها نسخة في دار الكتب المصرية برقم: (٧٤٣٩) . وكذلك لشرحها برقم (٧٤٣٨) .

(٢) في الأصل : « والثالثة » وسياق الكلام يقتضي ما أثبتّه ، إلا أن يكون المقصود أنه نظم بديعيتين سوى بديعيته « النورية » . وهذا لا يوضحه إلا الوقوف على الأصل .

(٣) أعلام الأدب والفن : ٢ / ٤٠ .

(*) تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان) : ٤ / ٢٥١ ، الأعلام : ٢ / ٢٥٨ .

« عالم بالفقه والأدب ، من بيت علم في طرابلس الشام . له نظم كثير . ولد (١٢٦١ هـ) وتعلم في طرابلس ، ورحل إلى مصر فدخل الأزهر سنة (١٢٧٩ هـ) ، فاستمر إلى (١٢٨٤ هـ) وعاد إلى طرابلس ، فكان رجلها في عصره علماً ووجاهة »(١) وتوفي فيها سنة (١٣٢٧ هـ) . تاركاً مجموعة من مؤلفاته (٢) .

أما بديعيته هذه فلم أستطع الوصول إليها ، كما أنني كنت متردداً فيها لأني وقفت على إحالات في بعض الشروح تشير إلى اختراع الجسر هذا لأنواع بديعية دون الإشارة إلى نظمه بديعية ، ومن ثم وجدت في « بديع التحبير » نصاً صريحاً بذلك ، إذ قال الرافعي ، معقّباً على بيت الأدهمي المتضمن (إمكان التحويل) : « هذا النوع استطرد مولانا العلامة الشيخ حسين الجسر إلى ذكره في نوع (التخيير) وعبارته فيه ببديعيته . . »(٣) . من هنا صار عندي يقين بوجود بديعية لحسين الجسر .

ولما كانت الإحالات ـ صريحة أحياناً ـ(٤) على كتابه « الكواكب الدرية في الفنون الأدبية » فإنني أكاد أزعم أن هذا الكتاب هو شرح لبديعيته المذكورة .

٨٠ ـ « بديعية » :

عبدالله فريج .

من معاصري عثمان بن محمد الراضي ـ الآتي ذكره ـ المتوفي سنة

---

(١) الأعلام : ٢ / ٢٥٨ .

(٢) منها : « الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية » ، « الحصون الحميدية في العقائد الإسلامية » ، « نزهة الفكر » ترجمة أدبية ، « رياض طرابلس الشام » ، « الكواكب الدرية في الفنون الأدبية » .

(٣) ص : ٩٧ .

(٤) انظر : بديع التحبير شرح ترجمان الضمير ، ص : ٢٠ ، ٢٥ ، ٨٦ .

(١٣٣١ هـ) ، والذي شرح بديعية عبدالله فريج بشرح أطلق عليه اسم « الأنوار المحمدية » .

قال الزركلي عن هذا الشرح : « من أكمل شروح البديعيات وأغزرها مادة وأكثرها أخباراً عن الأدب والأدباء ، في مجلد ضخم صفحاته تقارب ست مئة ، خطه جميل ، لا عيب فيه إلا ركّة البديعية المشروحة »(١) .

٨١ - « بديعية » :

عثمان بن محمد بن أبي بكر بن محمد الراضي* .

أديب من الديار الحجازية ، وشاعرها المقدّم في أيامه ، أكثر من الإقامة في الطائف مع أنه ولد في مكة سنة (١٢٦٠ هـ) وتوفي فيها سنة (١٣٣١ هـ) (٢) .

وقد ذكر الزركلي(٣) بعضاً من أبيات بديعيته هذه وهي :

قَالُوا : نَرى لكَ صَبْراً بَعْدَ فُرْقَتِهِم	فَقُلْتُ (مُسْتَدْرِكاً): لٰكِنَّهُ بِفَمِي
زادُوا هُيامِي (بِتَوْشِيعِ) المَلَامِ لَهُم	مِنْ صَوْلَةِ الجَائِرِينَ : البَيْنِ والعَدَمِ
(غَالَطْتُهُم) حِينَ قَالُوا : أَيْنَ مَنْزِلُهُم	ومَنْ هُمُ ؟ قُلْتُ : أَهْلُ البَانِ والعَلَمِ
إِنّي (أَغَارُ) عَلَيْهِم أَنْ أُسَمِّيَهُم	وَهُمْ بِقَلْبِي وأَشْكُو حَرّ بَيْنِهِم (٤)
لَهُمْ لَدَيّ عُهُودٌ لَسْتُ (أَنْقُضُها)	إِلّا إِذا شِئْتُ أَوْ شاءَ الهَوىٰ عَدَمي
لا بَلَغَتْنِي المَعَالِي مِنْ تَنَاوُلِهَا	إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي وَلائِي صادِقَ (القَسَمِ)

---

(١) ما رأيت وما سمعت ، ص : ١٠٢ .

(*) ما رأيت وما سمعت : ١٠٢ - ١٠٦ ، الأعلام : ٤ / ٢١٤ .

(٢) من مؤلفاته التي تركها : شرحه لبديعية عصريّة عبدالله فريج « الأنوار المحمدية » ، « ديوان شعر » ، « نقد الرحلة الحجازية للبتنوني » ولم يكمله .

(٣) ما رأيت وما سمعت ، ص : ١٠٢ .

(٤) في البيت نوع (الغيرة)، ولم يذكره أحد من أصحاب البديعيات غيره - فيا أعلم . .

٨٢ ـ « بديعية »:

محمد سليم بن أنيس بن محمود بن سعد آغا بن حسين آغا الشهير بالقصاب حسن*.

ولد الشاعر في مدينة دمشق سنة (١٢٦٩ هـ)، وأخذ العلم عن شيوخ الشام، حتى برع. وكان في نشأته فقيراً، ثم يسّر الله له الغنى. وكانت وفاته سنة (١٣٣٤ هـ).

« كان شاعراً مجيداً ماهراً، ينظم التواريخ، جمع شعره في ديوان سمّاه: نشأة الصِّبا ونسمة الصَّبا »[١]. كما ترك مجموعة من المؤلفات[٢].

ومطلع بديعيته[٣]:

حيِّ الطُّلُولَ وَحَيِّ الرَّبْعَ مِنْ إِضَمِ   وَاذْكُرْ لَدَيْهِم قَتِيلَ الوَجْدِ والسَّقَمِ

ولم يلتزم فيها ـ كما هو بَيِّنٌ ـ تسمية الأنواع البديعية التي بلغت فيها (١٦٠) نوعاً، ضمن أبياتها التي بلغت (١٣٠) بيتاً، وقد عدّ (براعة الاستهلال وحسن المطلع) نوعين. ومع ذلك فقد أخلّ بذكر تسعة أنواع ذكرها الصفي الحلي، وهي: (التتميم)، (التورية)، (الترشيح)، (الموازنة)، (الاتفاق)، (التوزيع)، (الإيداع)، (المهمل)، (الطاعة والعصيان).

ومما جاء فيها قوله في (التوشيح)[٤] و(التفصيل)[٥]، وقد جمعها في بيت واحد:

(*) أعلام الأدب والفن: ٢ / ١١٤ ـ ١١٥، الأعلام: ٦ / ١٤٨.

(١) أعلام الأدب والفن: ٢ / ١١٥.

(٢) منها: « سحر البيان » ديوانه الثاني، « جهد المستطيع في أنواع البديع » شرح بديعيته الثانية.

(٣) طبعت في ديوانه، « نشأة الصبا » بمطبعة الجمعية الخيرية ـ بدمشق ـ ١٢٩٨ هـ.

(٤) التوشيح: هو أن يكون معنى أول الكلام دالا على لفظ آخره، ولهذا سمّوه التوشيح، لأنه ينزل فيه المعنى منزلة الوشاح، وينزل أول الكلام وآخره منزلة محل الوشاح من العاتق والكشح.

(٥) التفصيل: هو أن يأتي الشاعر بشطر بيت له متقدم صدراً كان أو عجزاً ليفصل به كلامه بعد حسن التصريف في التوطئة الملائمة.

فَكَيْفَ أُخْفِي هَوىً آياتُهُ ظَهَرَتْ ظُهُورَ بَدْرٍ بَدا في حِنْدِسِ الظُّلَمِ

وقوله في (جمع المؤتلف والمختلف)[1] :

فَضْلُ النَّبيّين لا يُحْصَى وأَفْضَلُهُم مَنْ سَارَ لله في دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

وقوله في (التمثيل)[2]:

كَلّفْتَ نَفْسَكَ فِي لَوْمِ المُحِبّ عَنا كُفَّ المَلامَ لَقَدْ نَادَيْتَ ذَا صَمَمِ

وحسن ختامها :

عَلَيْكَ أَزْكَى صَلاةِ الله خَالِصَةً والآلِ والصَّحْبِ في بَدْءٍ ومُخْتَتَمِ

٨٣ - « بديعية » :

ثانية لمحمد سليم بن أنيس قصاب حسن .

قال الزركلي : « له . . (جهد المستطيع في أنواع البديع)، شرح بديعية له مطلعها :

لَولاَ نَسِيمُ الصّبا مِنْ حَيٍّ ذِي سَلَمِ ما كانَ قَلْبِي صَبَا لِلْبَانِ والعَلَمِ »[3]

ومنه علمنا أن بديعيته هذه غير السابقة ، وهي كتلك ، لم يلتزم فيها التورية باسم النوع البديعي في أثناء البيت .

---

(١) جمع المؤتلف والمختلف : هو عبارة عن أن يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين ، فيأتي بمعان مؤتلفة في مدحهما ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الآخر ، فيأتي لأجل الترجيح بمعان تخالف معنى التسوية .

(٢) التمثيل : هو أن يريد المتكلم معنى فلا يدل عليه بلفظه الموضوع له ، ولا بلفظ قريب من لفظه ، وإنما يأتي بلفظ هو أبعد من لفظ (الإرداف) يصلح أن يكون مثالا للفظ المعنى المذكور .

(٣) الأعلام : ٦ / ١٤٨ .

٨٤ - « نور الربيع على نظم البديع »:

بديعية عبد الحميد بن محمد علي قدس*.

أديب فاضل، درّس في الحرم المكي. ولد سنة (١٢٨٠ هـ). وتوفي سنة (١٣٣٥ هـ). وله عدة كتب[١].

ومطلع بديعيته:

مِنْ ذِكْرِ رَامَةَ والرَّيَّان والعَلَمِ عَقِيْقُ دَمْعِي جَرَى والشَّوْقُ كالعَلَمِ

وقد نظمها بعد محاورة طويلة بينه وبين نفسه اللجوج التي كانت تحرضه على خوض غمار هذا الفن، كما أشار، واقتنع منها أخيراً بنظم « قصيدة مطلقة من تسمية الأنواع على مثال قصيدة الإمام.. النابلسي.. ترجيحاً لجانب طلاقة الألفاظ ورقّتها، وانسجام الكلمات.. بلغت أبياتها، بحمد الله تعالى الذي هيأ الأوضاع، (١٩٧) بيتاً، تشتمل من أنواع البديع على (٢٠١) من الأنواع، بعد زيادة فنون ظريفة، وأنواع لطيفة »[٢].

ومع هذه الزيادة فإنه لم يذكر فيها نوع (الموازنة) الذي ذكره الصفي الحلي وإليك بعض أبيات هذه البديعية. فقد قال في (الإبداع)[٣]:

(*) معجم سركيس: ١٢٧٥ - ١٢٧٦، الأعلام: ٣ / ٢٨٨ - ٢٨٩.

(١) منها: « إرشاد المهتدي »، وهو شرح لرسالة والده « كفاية المبتدي » في التوحيد، « دفع الشدة في تشطير البردة »، « الذخائر القدسية في زيارة خير البرية ».

(٢) طالع السعد الرفيع في شرح نور الربيع، ص: ١٠

(٣) الإبداع: هو أن يأتي الشاعر في البيت الواحد بعدة أنواع من البديع أو القرينة الواحدة من النثر، وربما كان في الكلمة الواحدة ضربان من البديع. وقد جمع الناظم في بيته هنا خمسة عشر نوعاً بديعياً هي: (الجناس المطلق) بين « جلا » بمعنى كشف، و« جلّى » بمعنى أزال، والطباق بين « السنا » بمعنى الضوء، و« الظلام »، والمقابلة بينهما أيضاً، و« المبالغة » في جلاء الصدى بسناه، و« الاستعارة » التصريحية في « الصدار » الذي هو الوسخ، والمراد به في البيت: ما يعلو القلب من الظلمات.. و« الجناس التام » بين « كفّ وكفٌ »، و« التسميط » في: « الصدا

جَلا سَناهُ الصَّدى جَلَّى الظَّلامُ ردى   وكفَّ كَفُّ العِدا بِالبِيْضِ والكَرَمِ

وقال في (التوزيع)(١) :

حَمَى حِمى حَوْزَةِ الرَّحْمنِ حَازَ حلا   حَلِيْفَ حِلْمٍ تَحَلَّى حِلْيَةَ الحِكَمِ

وقال في (الحذف)(٢) :

مُحَمَّدٌ أَكْرَمُ الرُّسْلِ الكِرامِ لَهُ   أُولىٰ الكَمال وأَعْلىٰ السَّعْدِ والهِمَمِ

وقال في (الفرائد)(٣).

مُلوكُ حُسْنٍ قُصَاراهُم بُلوغُ عُلا   أُسْدِ العَرِينِ إذا الهَيْجَاءُ في ضَرَمِ

وقال في (حسن الختام)، مصلّيا على النبي محمد ، وآله وأصحابه :

والتّـابِعينَ لَهُمْ مـا نَـالَ مُمْتَـدِحٌ   حُسْنَ القَبُولِ لَدىٰ بَدْءٍ وَمُخْتَتَمِ

أما شرحه عليها فقد أطلق عليه اسم : « طالع السعد الرفيع في شرح نور الربيع على نظم البديع المتضمن لمدح الحبيب الشفيع »(٤).

والردى »، « والعدى »، و« البسط »، و« المجاز العقلي » في « جلا سناه الصدا وجلّى ظلام الردى ». و« ائتلاف اللفظ مع المعنى » لمناسبة ألفاظ البيت لمعانيه و« ائتلاف اللفظ مع الوزن » بإيراد البيت من غير تأخير في ألفاظه ولا تقديم ، « والانسجام » لخلوّه من العقادة ، و« التهذيب والتأديب »، و« السهولة »، و« التتميم » بذكر الكرم .

(١) التوزيع : هو أن يوزّع الشاعر أو المتكلم حرفاً من حروف الهجاء في كل كلمة من بيته أو سجعته ، بشرط عدم التكلف .

(٢) الحذف : هو عبارة عن أن يحذف الناظم أو الناثر من كلامه حرفا أو حرفين أو أكثر من حروف الهجاء ، أو جميع الحروف المعجمة ، أو جميع الحروف المهملة . . وقد فُرّع هذا النوع إلى عدة أنواع فيا بعد ، كالأرقط والأخيف . . وسيأتي ذكرها في بحث الأنواع البديعية المجزّأة ـ إن شاء الله تعالى .

(٣) الفرائد : هو أن يأتي الناظم أو الناثر بلفظة فصيحة من كلام العرب تتنزل من الكلام منزلة الفريدة من العقد ، وتدل على فصاحة المتكلم بها وجزالة منطقه بحيث إن تلك اللفظة لو سقطت من الكلام لم يسدّ غيرها مسدّها . والفريدة في هذا البيت كلمة (قُصاراهم).

(٤) وقد طبع في مصر سنة (١٣٢١ هـ).

٨٥ ـ « بديع التلخيص وتلخيص البديع »:

بديعية طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري* .

ولد في دمشق سنة (١٢٦٨ هـ). وكان عالماً فاضلاً ، وأديباً بارعاً ، كِلفاً بالتراث واقتناء مخطوطاته ، وأحد العاملين على تأسيس المكتبة الظاهرية بدمشق ، ثم صار مديراً لها كما عمل على تأسيس المكتبة الخالدية بالقدس . وصار عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق . وأتقن كثيراً من اللغات الشرقية ، وترك مجموعة من المؤلفات(١) ، وكانت وفاته سنة (١٣٣٨ هـ).

وقد اقتصرت بديعيته هذه ، ذات المطلع :

بَديْعُ حُسْنِ بُدورٍ نَحْوَ ذِي سَلَمِ   قَدْ رَاقَنِي ذِكْرُهُ في مَطْلَعِ الكَلِمِ

على نظم أنواع البديع الموجودة في كتاب « التلخيص » للقزويني ، ومن هنا فإن أبياتها بالطبع ، وأنواعها سوف تكون أقل من غيرها ، إذ بلغت أبياتها (٦٥) بيتاً ، متضمنة (٧١) نوعاً من أنواع البديع ، وقد أضاف بعض الأنواع مما ليس في كتاب «التلخيص» مثل: (التهكم)، (التدبيج) (التلميح). وأشار إلى ذلك عند هذه الأنواع.

ولم يلتزم طاهر الجزائري في بديعيته هذه التورية باسم النوع البديعي في أثناء البيت ، ومما جاء فيها قوله في (الجناس المركب)(٢) :

وحَيْثُ لم يلْفَ أنصاراً فلا عَجَبٌ   أَنْ صَارَ مَدْمَعُهُ يَنْهَلُّ كـالدِّيَمِ

(*) معجم سركيس : ٦٨٨ ـ ٦٩١ ، الأعلام : ٣ / ٢٢١ ـ ٢٢٢ . وقد ألف سعيد الباني كتاباً في ترجمته باسم « تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر ».

(١) منها : « الجواهر الكلامية في العقائد الإسلامية »، الفوائد الجسام في معرفة خواص الأجسام »، « تسهيل المجاز إلى فن المعمّى والألغاز ».

(٢) الجناس المركب : هو ما كان أحد لفظيه مركباً من كلمة وبعض كلمة ، أو كلمتين والآخر بسيطاً من كلمة واحدة .

وقوله في (الجناس اللفظي)[1] :

بِنَظْرَةٍ قَدْ حَلَتْ مِنْهُمْ أُسِرْتُ فَيَا   لِنَضْرَةٍ تَقْنُصُ الآسادَ في الأَجَمِ

وقال في الختام :

عَلَيْهِ منْ صَلَواتِ البرِّ أَكْمَلُها   إِذْ كانَ أَكْمَلَ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ

وقد شرح هذه البديعية ، وحمل الشرح الاسم ذاته « بديع التلخيص وتلخيص البديع »[2] .

٨٦ - « بديعية » :

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم المغربي الجزائري الضرير* .

« متكلم فقيه أصولي صوفي ناظم ولد في قرية الديس بالجزائر ، حفظ القرآن ، وقرأه بالقراءات السبع ، وأخذ عن فضلاء قريته ، ثم انتقل إلى زاوية سيد السعيد بجبل زواوه ، ثم عاد إلى مسقط رأسه ، ثم إلى زاوية محمد الهاملي ، وأخذ عنه جماعة ، وتوفي بها في (٢٢) ذي الحجة (١٣٤٠ هـ) . ودفن داخل القبة في المسجد »[3] .

وله « بديعية مدح بها شيخه . . محمد بن أبي القاسم »[4] الهاملي ، وشرح البديعية المذكورة » .

---

(١) الجناس اللفظي : هو ما تماثل فيه ركنا الكلمتين لفظا ، واختلف أحدهما خطًا إما بإبدال حرف مناسب لفظا ، وإما بالكتابة بالنون والتنوين .

(٢) طبع في مطبعة سورية بدمشق سنة (١٢٩٦ هـ) .

(*) هدية العارفين : ٢ / ٣٩٩ ، معجم المؤلفين : ١١ / ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٣) معجم المؤلفين : ١١ / ٢٨٠ . وله مجموعة من الكتب منها : « درة عقد الجيد في عقائد علم التوحيد » ، « مقامة في المفاخرة بين العلم والجهل » .

(٤) هدية العارفين : ٢ / ٣٩٩ .

وهذه البديعية ، كما يبدو من خبرها ، قد خالفت موضوع (البديعيات) العام ، المتمثل في المديح النبوي ، وقد تفردت بهذا الشذوذ الصَّريح - فيما أعلم - .

* * *

تلك كانت (بديعيات) عرفنا قائلها ، أو قدّرنا زمن وفاته أو نظمها ، بيد أن هناك (بديعيات) لم يتيسر لي معرفة صاحبها ، أو زمنه ، ولذلك أرجأتها إلى نهاية الحديث عن تلك لتكون مميزة عنها . وهذه (البديعيات) هي :

٨٧ - « بديعية »(1) :

الشيخ الإمام القاضي عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن الحسين الخزرجي الشافعي* .

ومطلعها :

(بَرَاعَةٌ) رَاقَ مِنها (مَطْلَعُ) الكَلِمِ (حُسْنُ افتِتَاحِي) بها في عُرْبِ ذي سَلَمِ

وهي من (البديعيات) التي التُزم فيها التورية باسم النوع البديعي ضمن الأبيات . وبلغ عدد أبياتها (١٣٧) بيتاً ، فيها نحو (١٣٨) نوعاً بديعياً .

ومما جاء فيها قوله في (معاتبة المرء نفسه)(2) :

(أُعَاتِبُ النَّفْسَ) لَمْ أَبْرَحْ أَقُولُ لَهَا : أنِّ رَضِيْتِ بَقَائِي عِنْدَ فَقْدِهِمِ

وقوله في (التكرار)(3) :

---

(1) طبعت ضمن « البديعيات الخمس في مدح النبي المختار والصحابة الكرام ».

(*) قال العلّامة أحمد تيمور في استدراكه المذكور في نهاية المطبوع من « بديعية العميان » : « لم نتحقق من تاريخ وفاته ».

(2) معاتبة المرء نفسه : هو أن يوجه الإنسان الخطاب إلى نفسه ويعاتبها على أمر من الأمور

(3) التكرار : هو أن يكرر المتكلم الكلمة أو الكلمتين باللفظ والمعنى لتأكيد الوصف أو المدح أو غيره .

مَذْحِجي (أُكَرِّرُهُ) في السيد العلم ابـ ـن السَّيِّدِ العَلَمِ ابْنِ السَّيِّدِ العَلَمِ

وبيت ختامها قوله :

وارْحَمْ حُسَيْناً وَجُدْ بَيْنَ البَرِيَّةِ لِي (بِحُسْنِ خَاتِمَةٍ) يا بارِىءَ النَّسَمِ

٨٨ - « بديعية » :

لمجهول . مطلعها :

عُجْ بِالطُّلُولِ وجُزْ رَبْعاً بِقُرْبِهِمِ يا حاديَ النُّوقِ لِي حِبٌّ بِحَيِّهِمِ

قال العلّامة أحمد تيمور : « وقفت في أحد المجاميع التي عندي ، (رقم ٧٩٨ شعر) على بديعية أخرى من رديء ا لشعر وساقطه . . وهي كما ترى توافق البديعيات في بحرها ورويّها ، ولكنها تخالفها في كونها في غير المديح النبوي فإنها في مدح شخص إسمه عبد الله مذكور في بيت تخلصها ، ولم نعلم شيئاً عن ناظمها ولا عن ممدوحه »[1] .

وإن صح ما قاله من أمر غرضها فتكون البديعية الثانية التي خالفت من خيث الغرض المتمثل في (المديح النبوي) .

٨٩ - « بديعية »[2] :

لمجهول . مطلعها :

حَيّا الحَيَا مَرْبَعاً عَنْ يُمْنَةِ العَلَمِ وجَادَ صَوْبُ الحَيَا حَيًّا بِذِي سَلَمِ

وأبيات هذه البديعية (١١٢) بيتاً ، لم يلتزم فيها الناظم التورية باسم النوع البديعي ومما جاء فيها قوله في (المشاكلة) :

---

(١) بديعية العميان : المستدرك .

(٢) نسختها في برلين برقم (٧٣٩٠) .

لاقىٰ بِجَيْشِ الهوىٰ جَيْشَ الضَّلالِ عَلَى العدْوانِ جَازَىٰ بِعدْوانٍ فَلَمْ يُلَمِ

وقوله في (المدح في معرض الذم) :

وصَحْبُه الغُرُّ لا عَيْب يُدَنِّسُهُم مَعَ الكَمَالِ سِوى إفْراطِ جُودِهِمِ

وختامها قوله :

هـذا هُوَ الـدُّرُّ إلاَّ أنَّـهُ كَلِمٌ وفي مَدِيْحِكَ يَعْنُو الدُّرُّ لِلْكَلِمِ
لأنْتَ أفْصَحُ مَنْ قَدْ فَاهَ مَنْطِقُهُ بالضَّادِ فَضْلاً لَكُم مِن بارِىءِ النَّسَمِ

ويظهر في هذه البديعية ، وفي الأبيات الأخيرة منها خاصة ، تطرّف شيعي .

٩٠ ـ « قصيدة بديعية في مدح خير البرية »[١] .

٩١ ـ « شرح بديعية » لمجهول[٢] .

٩٢ ـ « بديعيات ضياء الدين فخري »[٣] .

وهذه (البديعيات) الثلاث الأخيرة لا علم لي بها سوى ما أثبتّه .

بديعيات تحتاج إلى توثيق :

من خلال بحثي عن (البديعيات) ، وجمع أخبارها ونصوصها ، وقفت عند ثلاثة مواضع ما استطعت الجزم معها على وجود البديعية أو عدمه ، ورأيت أن أذكر هذا الظن الذي وصلت إليه عسى أن أجد له حلاّ في قابل الأيام ، أو أن يصل إلى حلّه أحد ممن يعتنون بالحقيقة والكشف عنها .

١ ـ أشار العزاوي في أثناء ترجمته للأديب محمد معروف بن مصطفى

---

(١) نسختها في أيا صوفيا برقم (٤١٦٧) .
(٢) نسختها ضمن مجموع فيه ست رسائل في مكتبة كوبرلي برقم (١٣٠٤) .
(٣) نسختها في مكتبة كلنوش والدة السلطان برقم (٨٥٤) .

النودهي (ت : ١٢٥٤ هـ)[1] ، إلى اسم كتاب لهذا الأديب ، وهو : « غيث الربيع في علم البديع » ولم يوضّح مضمونه .

ولّما كان هذا الإسم يتقارب مع أسماء (البديعيات) وشروحها ، توهّمت أن يكون في مضمونه بديعية أو شرح بديعية .

٢ ـ جاء في حديث محمد رضوان بن إسماعيل في أثناء تقديمه لبديعيته « عنوان الرضوان » ، وضمن إشارته إلى « (روضة المدارس) التي كان من محبيها ، أنه كان يبحث في حديقتها الأدبية ، فلمح « بها في خلال أوراقها حديقة بديعة في علم البديع نضرة ، من غراس حضرة الأستاذ العلّامة حسين والي تشهد له بإحراز قصبات السبق في مضمار المعالي » ثم قال : « ولما أن كنت فيما غَبَر من الأزمان قد طالعت بعض كتب أهل هذا العلم ، وحصّلت ما وصل إليه قصاري الفهم بقدر الإمكان ، ونظمت قصيدة بديعية في مدح الحضرة الشريفة النبوية ، لكنني أحجمت عن إشهارها . . فلما أن وجدت حضرة الأستاذ المشار إليه قد ذكر في تلك الحديقة من أنواعها ما يعقد بالخناصر عليه قلت : الشيء بالشيء يذكر »[2] .

يلاحظ من هذا الكلام الإشارة إلى ما ألّفه حسين والي (ت : ١٣٥٤ هـ) في البديع من مثل الذي فعله محمد رضوان ، وَلِاحْتِجَابِ هذا المؤلّف عني ما استطعت الجزم أنه بديعية أو غيرها ، ولعل استمرار البحث ، ومرور الأيام سيكشفان ذلك إن شاء الله تعالى .

٣ ـ هناك إشارات في كتاب « الحجة على من زاد على ابن حجة » للجليلي توحي بوجود بديعية لمحمد بن مصطفى الغلامي* المتوفي سنة (١١٨٦ هـ) . منها قوله :

---

(١) تاريخ الأدب العربي في العراق : ٢ / ١٥٩ .
(٢) عنوان الرضوان في مدح سيد ولد عدنان ، ص : ٣ .
(*) انظر ترجمته في الأعلام : ٧ / ١٠٠ ، ومصادرها ثمة .

« ثم جاء الحميدي فخرج عن الجادة المقبولة .... إلى زمان شيخنا .... العمري .... والشيخ محمد الغلامي رحمهما الله .. »[1] .

وقال أيضاً : « هذا النوع ، أعني : المضاهاة ، من اختراعات زماننا ، ومخترعه الأديب .. الشيخ محمد الغلامي »[2] .

وفي موضع ثالث قال : « ومن أهل الإقتضاب الشيخ محمد الغلامي الموصلي .... والشيخ محمد الغلامي أمة بالبديع »[3] .

ولم أستطع الجزم بأن هذه الإختراعات هي في بديعية له ، أو أنها ظهرت في شعره ومقطعاته ووقف عليها الجليلي فأشار إليها .

* * *

---

(١) صفحة ١٤ .
(٢) صفحة ٣٣ .
(٣) صفحة ٣٩ .

الباب الثاني

أثر البديعيات في

الأدب - النقد - البلاغة

الفصل الأوّل

أثر البديعيات في الأدب

الإستهلال :

لعل عنواناً مثل هذا يثير في النفس تساؤلات يشوبها شيء من الغرابة يدفعنا إليها (خلفية) سوداء تجاه العصر الذي نشأت فيه (البديعيات) أولاً ، وتجاه فن البديع الذي كثر إلى درجة الإفراط ـ في ذلك العصر ـ ثانياً .

فأنت تتساءل : ألمثل هذا الفن الشعري الذي تمثل في تلك القصائد (البديعيات) أثر في الأدب ؟ وهذا الأثر تضخم وتوسّع إلى درجة أصبح فيها مستحقاً للبحث والدراسة ؟ على أننا في عرفنا الحاضر لا يكاد أحدنا يستخدم فناً من فنون (البديع) بله أن يذكر لصادر عنه أثراً في الأدب !! .

وقد يكون الباحث أكثر إنصافاً ، فلا يعترض على أثر (البديعيات) في الأدب من حيث كونها ملتحمة بالبديع ، بقدر اعتراضه على وجود أثر في الأدب لواحد من فنون الشعر المستحدثة مثل (البديعيات) .

وربما ألتمس لكل معترض عذراً ، ذلك أن هذا الفن الشعري المُحدَث لم يكن كغيره من فنون الشعر ، ولم يحظَ بعناية الباحثين وكريم بحثِهم ، فما زالت قضاياه غُفلاً ، وغُمَّ أمرُه على كثير ممن أراد أن يسير في بحثه وهو ينوء بأعباء ما

يحمله من نظرة ازدراء وجفاء تجاه فترة من فترات أدبنا العربي التي وسمها بعضهم خطأ « بعصر الإنحطاط » .

فلا يجوز لنا مقابل هذا التعصب ، ضد ذلك العصر ، أن نقبل حُكماً من أحد ، أو رأيا من إنسان ، ما لم يكن متحللاً من هذا التعصب ، متمسكاً برياط العلم والموضوعية ، معتمداً على ما خلّفه لنا ذلك العصر من آثار للوصول إلى نتائج صالحة ومقبولة .

ومن هنا فإن الباحث عندما يقف أمام هذا الفن الشعري الذي أقل ما يقال فيه : إنه عاش ما يزيد على سبعة قرون من عمر التراث العربي الإسلامي الذي لا نتخلى عنه ولا نتنصّل منه .

عندما يقف أمام هذا الفن جامعاً له ، باحثاً في الحركة الأدبية التي قامت حوله بأيدي علماء يشهد لهم أولو العلم والمعرفة بمقدرتهم وفنهم وبراعتهم في مجالات متنوعة ، كما يشهد لهم ما خلّفوه لنا من آثار تنطق بفضلهم وخبرتهم في غير ما فن من فنون الأدب ، والبلاغة ، والذوق الشعري ، عند تأمّل هذا كله لا شك أن الباحث سيلمح غير ما سبب مما حملني على إفراد فصلٍ لأثر (البديعيات) في الأدب ، فضلاً عمّا سأقدمه من إشارات وومضات مضيئة ، تنبه ولا تكفي ، وسيجد المتعصب نفسه متراجعاً أمام التصور المتعجل الذي فَرَطَ منه .

وقد سبق القول : إن ناظمي (البديعيات) لم يكونوا شعراء فحسب ، إنما كانوا شعراء أدباء ، قد امتلكوا زمام الأدب من شقّيه : الموهبة الشعرية والمقدرة على التأليف ، فهذّبت الشاعرية أقلامهم ، وقعَّد القلم أشعارهم .

وهؤلاء النفر من الناس ما كانوا ليكتفوا بنظم البديعية ـ في الغالب ـ بل كانوا يجعلون همهم في شروحها والتنبيه على مستغلقاتها ، والإشارة إلى مواطن الإستشهاد فيها ، بشرح يطول ويتسع تارة ، أو يُختصر ويضيق تارة أخرى . فإن

حدث وأغفل أحدهم شرح بديعيته ، وتركها عارية منه ، فإنها ستجد من يكسوها ذلك عند صديق للناظم ، أو معجب به ، أو متطلع إلى الخوض في غمار هذا التيار الذي ركبه كبار الشعراء والأدباء ، ولذلك فقد وجدنا بين أيدينا مجموعة كبيرة من المؤلفات التي دارت حول فن (البديعيات) ، وهذه المجموعة كوّنت خطاً متميزاً في المكتبة العربية ، وجانباً لا يُستهان به في التراث الأدبي ، لِما لهذا الجانب من مدلولات وإيضاحات حول عصر من أقل عصور أدبنا دراسة ، ونزعة من نزعات أدبائنا في تلك الفترة ، وموقف من أذواق الناس فيها .

كما أن مضمون هذه المؤلفات وما حوته في ثنايا صفحاتها من فنون الأدب الشعري والنثري ، والقصص والأمثال ، ولمحات النحو والصرف والعروض والتاريخ . . إضافة إلى الشواهد من الشعر ، وآيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ وغيرها ، كل ذلك يحثّ الباحث ويغريه ، ويكاد يَؤُزّه أزّاً نحو دراسة أثر (البديعيات) في الأدب ، التي ربما لم يكن فن (البديع) سوى مطية لناظمها أو شارحها ليكشف عن مكنون صدره ، وليعرض مدخّر علمه مما جمعه وحواه وهذا واضح بَيِّن لمن يعود إلى تلك (البديعيات) ويقرأ هاتيك الشروح .

ومن هنا ستكون الدراسة لأثر (البديعيات) في الأدب منطلقة باتجاهين اثنين : أولهما : من حيث كثرة التآليف التي قامت وانبثقت من (البديعيات) ، وثانيهما : من حيث مضمون هذه التآليف .

(١) ـ المؤلفات المنبثقة عن البديعيات

أُذَكّر مرة أخرى أن فن (البديعيات) قد اقترن بفكرة التأليف منذ نشأته الأولى وأن ناظمي (البديعيات) كانوا يعكفون على بديعياتهم بالشرح والتوضيح، وربما كان الشرح يُطلَب من الناظم طلباً بعد أن ينظم بديعيته فيستجيب إلى ذلك ، كما حصل مع غير واحد منهم ، فقاسم البكرجي مثلاً (ت : ١١٦٩ هـ) يقول بعد أن أشار إلى نظم بديعيته واطلاع أصدقائه عليها : « وكنت أورد منها في

أثناء المذاكرة بعض أبيات ، فاستحسنها بعضُ الإخوان ، وندبوني إلى شرحها من غير توان . . »[1] ، وأمثاله كثيرون ، وهذا ما ساعد على وجود شروح لجميع (البديعيات) تقريباً ، وقد مرّ في الباب الأول مصداق هذا ، في تفصيلنا للحديث عن عدد (البديعيات) وأوصافها وأعلامها[2] .

ولم تقتصر الحركة التأليفية على الشروح وحدها ، وإنما كانت هناك كتب أخرى انطلقت من (البديعيات) ولم تكن شرحاً لها ، بل كانت في النقد والبحث في السرقات ، والإحتجاج لهذا أو لذاك ، مضافاً إليها مختصرات الشروح ، وشروح الشروح أحياناً ، وبذلك تجد أن التأليف حول (البديعيات) قد تشعّب وتنوّع وهذا ما يحْمل الدارس على التفصيل في هذا الموضوع ، وعلى النحو التالي :

آ ـ الشرّاح . ب ـ طبيعة الكتب .

أ ـ شرّاح البديعيات : وهم قسمان : الناظمون أنفسهم ، وأدباء آخرون .

١ ـ الناظمون :

لقد درج معظم شعراء (البديعيات) على شرح بديعياتهم بعد الإنتهاء من نظمها ، وربما كان صنيعهم هذا إشارة إلى سيرهم على طريق رائدهم الأول الصفي الحلي الذي نظم بديعيته ثم شرحها وعقّب على أبياتها دالاً على النوع ومواطن الإستشهاد .

وإن لم تكن هذه غايتهم في جميع الشروح ، فإن غاية أخرى لعلها هي التي حملت عدداً منهم على شرح بديعياتهم ، لا ليُظهروا نوع البديع ومكان الشاهد ، ولكن ليظهروا أموراً أخرى تنمّ عن أصحابها وتوضح غايتهم ،

---

(١) حلية العقد البديع في مدح النبي الشفيع : ٤ .
(٢) انظر ص : ٦٠ ، وما بعدها ، من هذا البحث .

ليعرضوا على الناس بضاعتهم وعلمهم ، وليتفاخروا فيما يحملون من إحاطة بفنون الشعر والأدب ، وإدلالاً بمقدرتهم على الخوض في عباب هذا التيار الزاخر الذي يتطلب الكثير .

ويشهد لهذا معظم شروح (البديعيات) ، وحسبك (خزانة) ابن حجة ، أو (أنوار) ابن معصوم ، أو (نفحات) النابلسي لتجد مصداق ذلك ، وستعلم ـ غير شك ـ أن البديع وأنواعه في القصيدة ، بل البديعية ذاتها ، لم تكن سوى مطية يتوسل بها الشاعر لغرض آخر غير الظاهر ، ولو كانت الغاية في أوجه البديع ليس غير ، لما تجاوزت الشروح في كثير من الأحيان المجلد الواحد ذا الصفحات القليلة المحدودة كما نجد هذا عند أولئك الذين شرحوا بديعياتهم فعلاً لا لشيء إلا ليكشفوا عن نوع البديع في أبياتهم ، وأحواله ، كفعل الصفي في « نتائجه » ، والباعونية في (فتحها) وابن المقرىء في شرحه الموسوم بـ « الفريدة الجامعة للمعاني الرائعة » الذي نستل منه شاهداً ثم نقارنه ببعض من شرح غيره ليتميز لدينا ذلك ويظهر الفرق جليًا .

فبعد أن ذكر بيت (المساواة) قال شارحاً : « قال قدامة : هو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى لا يزيد عليه ولا ينقص . وقال التيفاشي : مساواة اللفظ المعنى هو الأمر المتوسط بين الإيجاز والإسهاب كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً ﴾(١) . ومن أمثلة الشعر قول زهير بن أبي سلمى :

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِىءٍ مِنْ خَلِيْقَةٍ وَإِنْ خَالَها تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ(٢)

وبيت الصفي . . [ذكره] . والمساواة في بيت القصيدة ظاهرة لم أخل ولم أحذف المتعلقات ولم أزد حشواً »(٣) .

---

(١) سورة الإسراء : ١٧ / ٣٣ .
(٢) من معلقته . انظر ديوانه : ٣٢ . (ط . مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٤٤) .
(٣) الفريدة الجامعة : ٣٦ / ب .

هذا الشاهد يدل على أن الشارح ، بالفعل ، لم يكن يقصد سوى شرح النوع البديعي وتوضيحه بأقصر عبارة وأيسر شاهد ، دون أن يتجاوز ذلك .

وإذا أردنا الصورة المناقضة لهذا الإيجاز ، نظرنا إلى النوع ذاته في شرح ابن معصوم : « أنوار الربيع » ، وعند ذلك سنجد أنه شرح هذا النوع واستشهد له بما يقارب الصفحات الخمس في المطبوع من شرحه ، نحيلك عليه(١) لأننا لا نستطيع أن نثقل البحث بنقل هذه الصفحات . فهو بعد أن شرح المقصود بالمساواة ذكر بيتاً للنابغة ، ثم ذكر ما تُعُقِّبَ به النابغة ـ وأطال ـ ثم ذكر أمثلة من شعر زهير ، وامرىء القيس ، وخالد بن زهير ، ثم ذكر مجموعة أقوال العلماء في (المساواة) ، وأورد أبيات الصفي الحلي ، والعز الموصلي ، وابن حجة ، وابن المقرىء ، والعلوي في هذا النوع ، وأخيراً أعاد بيت بديعيته .

وهذا الشاهد لا يمثل الحد الأقصى من الإطناب في شرح ابن معصوم ، إذ هناك أنواع استغرق شرحها أكثر من عشرين صفحة(٢)، وإن مثل هذا العمل ينضح بمكنون نفس الشاعر الشارح المتطلعة إلى التفوّق والتَّنَفُّج بما عندها ، كما يدل على ما سبق ذكره من أن بعضهم اتخذ البديع والبديعية وسيلة لخدمة تلك التطلعات ، فإن أحسنا الظن قلنا : إنها وسيلة للوصول إلى كتاب يجمع فنوناً شتى من الشعر والبلاغة والأدب وغيرها ، وهذا ما قصدنا الوصول إليه والحديث عنه .

وثمّة ظاهرةٌ تتبدى لقارىء بعض الشروح ومقدمات بعض (البديعيات) ، تتمثل في إظهار الشارح إحجامه عن الشرح في البدء ، أو قصور باعه في هذا المجال ، مبالغاً في التواضع والتصاغر أمام الإقْدام على هذا

---

(١) ٦ / ٣١٤ ـ ٣١٨ .

(٢) انظر مثلاً حديثه عن براعة الإستهلال : ١ / ٣٤ ـ ٩٦ .

العمل ، فابن المقرىء يلبي دعوة السلطان وينظم بديعيته ويشرحها مقدّما بقوله : « فلبّيت دعوته التي إجابتها حَتْم وطاعتها غُنْم وإن كنت قصير باعِ البيان مقصّراً عن ميدان فرسان هذا الميدان »[1] .

وكذلك قال الصلاحي في شرحه لبديعية أحمد البربير ، « .. ومع ذلك فأنا معترف باللسان فضلاً عن الجنان أني لست من فرسان هذا الميدان ، ولا من خيّالة هذا الشان ، ولكن المرجو من الله الإصابة .. »[2] .

ومصطفى البكري يقدّم لبديعيته بأنه اعتذر في بداية الأمر ممن طلب منه نظمها بقوله : « فاعتذرت بقصر الباع عن تناول هذا الزهر والجام »[3] .

ومثل هذا نجده في شرح النابلسي على بديعيته[4] ، وشرح قاسم البكرجي لبديعيته[5] أيضاً ، وفي « تحرير التحبير » شرح الرافعي على بديعية الأدهمي[6] ، وعند عبد الحميد قدس الذي أنشأ حواراً طويلاً مع نفسه التي تدفعه للخوض مع الخائضين في هذا الفن ويردها محجماً عن ذلك حتى تمكنت من إقناعه بعد ست صفحات[7] ملأها بالحوار والجدل بينه وبينها .

وهكذا ترى أن ناظمي (البديعيات) سعوا في شرح بديعياتهم مدفوعين بدافعَيْن اثنين أو بواحد منهما على الأقل : أحدهما : الجري على عادة الأغلبية وسنّة الشعراء لتوضيح الأنواع المقصودة ، ويترتب على هذا أن يكون الشرح ضامراً ضحلاً ، وثانيهما : مجاراة المشهورين في عرض ما يحملونه من بضاعة الأدب وفنونه .

---

(١) الفريدة الجامعة : ١ / آ .
(٢) نخبة البديع في مدح الشفيع : ٦ / ب .
(٣) المطلع البدري على بديعية البكري : ٢ / آ .
(٤) نفحات الأزهار على نسمات الأسحار ، ص : ١٥ .
(٥) حلية العقد البديع في مدح النبي الشفيع ، ص : ٤ - ٥ .
(٦) صفحة : ٣ .
(٧) طالع السعد البديع في شرح نور البديع ، ص : ٦ - ١١ .

٢ ـ الأدباء :

لم تقف شروح (البديعيات) على الناظمين أنفسهم ، ولو كان الأمر كذلك لفقدنا مجموعة لا يستهان بها من الشروح ، ففي بعض الحالات كان الشاعر يكتفي بنظم البديعية ، ولعله رأى أن المقدرة تكمن في النظم ، فمن قدر عليه فقد بلغ الغاية المرجوة من ذلك ولن يعجزه بعد ذلك شرحها ، فهو يجتزىء بهذا عن ذاك .

وهكذا وجدنا بعض (البديعيات) قد تركها أصحابها دونما شرح ، مما سمح لأصدقاء شعرائها أن يدخلوا بين الناظم وبديعيته للقيام بشرحها ، والتعليق على أبياتها واستخدامها كذلك مطية لإظهار ما عندهم ، وربما كانت الحال على غير هذه الشاكلة ، وذلك بأن يشرح الشاعر بديعيته ، غير أن شرحه جاء مختصراً فيأتي آخر ليوسع في هذا الشرح ويبسط الأمور فيه ويزيده بياناً وتوضيحاً .

وأمثال هؤلاء الشرّاح كثر ، ولعل أول من فعل هذا أبو جعفر الغرناطي* الذي رأى في شرح صديقه ابن جابر على بديعيته قصوراً ، إذ لا يتعدى عمله في الشرح عن كونه تعريفاً للنوع وإبرازاً له دون الإتيان بأي شاهد يذكر ، مما حمل الغرناطي على أن يولي تلك البديعية عنايته ويشرحها شرحاً مطولاً أفاض فيه الحديث عن معنى أبيات البديعية ، وإعرابها ، والشاهد فيها ، والتمثيل لذلك

(*) هو أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الإلْبِيْري الغرناطي ، أبو جعفر ، أديب ناثر ناظم كانت ولادته بعد السبعمئة ، وقد رافق ابن جابر في رحلته وحياته وعرفا : بالأعمى والبصير ، وكانت وفاته قبل ابن جابر بعام أي (٧٧٩ هـ) وله مجموعة مؤلفات .

انظر : نفح الطيب : ٢ / ٦٧٥ ـ ٦٩٠ ، مفتاح السعادة : ١ / ١٥٧ ، هدية العارفين : ١ / ١١٤ . ويبدو أن التسمية التبست على الدكتور زكي مبارك فنسب شرحاً إلى كل من « أبي جعفر الألبيري ، وأبي جعفر أحمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي ، وهما واحد . انظر : المدائح النبوية ، ص : ١٦٩ .

من القرآن والحديث والشعر والنثر ، وسد الهنوات البديعية التي فَرَطت من ابن جابر في نظمه للبديعية ، وهكذا جاء شرحه وافياً كافياً لبديعية صديقه .

واستمر ركب أمثال هذه الشروح وهؤلاء الشرّاح ، فعبدالغني الرافعي شرح بديعية الصفي الحلي « في مجلد ضخم »[1] أسماه : « الجوهر السني في شرح بديعية الصفي » .

ولهذه البديعية أيضاً شرح آخر لمؤلف مجهول[2] ، كما شرحها محمد بن القاسم بن زاكور (ت : ١١٢٠ هـ) .

والإمام المجد إسماعيل الحنفي قرّظ بديعية ابن حجاج وشرحها[3] . ولعبداللطيف العشماوي شرح على بديعية عبدالله الزفتاوي أسماه : « حسن الصنيع بشرح نور الربيع »[4] .

وعلى الرغم من ضخامة شرح ابن حجة على بديعيته ، فإن هذه البديعية حظيت بشرحين آخرين - فيما أعلم - أحدهما : لعثمان الظاهر[5] ، والآخر لمحمد بن عيسى بن كنان* الذي نظر في شرح ابن حجة فوجده : «لم يتكلم في أكثر أحواله إلا في النوع وترك شرح باقيها » ، ورأى عمله غير مكتمل ، فعبر عن غايته قائلاً : « فأحببت أن أنشيء لها شرحاً حسناً يحيط بها إحاطة الدائرة بفلك معدل النهار ، ويمتزج بها كما امتزج بياض الورد بالاحمرار »[6] ، وسمى

---

(١) أعلام الزركلي : ٤ / ٣٢ ، وكانت وفاة الرافعي سنة (١٣٠٨ هـ) . انظر ترجمته ثمة .
(٢) انظر مجلة معهد المخطوطات العربية المصورة : م / ٤ ، ع / ٢ ، ص ٢٦٩ .
(٣) الضوء اللامع : ٦ / ١٥١ - ١٥٢ .
(٤) تاريخ الآداب العربية (زيدان) : ٣ / ٢٩٩ .
(٥) توجد منه نسخة في برلين برقم : (٧٣٦٧) .
(*) محمد بن عيسى بن كنان الحنبلي الصالحي الدمشقي ، ولادته سنة (١٠٧٤ هـ) ، ووفاته سنة (١١٥٣ هـ) . انظر : سلك الدرر : ٤ / ٨٥ - ٨٦ ، هدية العارفين : ٢ / ٣٢٥ .
(٦) المحاسن المرضية في شرح المنظومة البديعية : ٤ / ب ، ٥ / آ .

شرحه « المحاسن المرضية في شرح المنظومة البديعية »[1] .

ونحن نعلم أن عبدالغني النابلسي قد شرح واحدة فقط من بديعيته وأغفل الأخرى مما حمل علي بن حسن بن بدرالدين البدري الغزي على شرح الأخرى وهي المسماة بـ « مليح البديع » شرحاً مطولاً مسهباً بلغ ثلاثة مجلدات (٢) . . كما شرحها تلميذه علي بن محمد القلعي (ت : ١١٧٢ هـ) .

وثمة مجموعة « من أهل الأدب والعرفان »[٤] ندبوا الشيخ قاسم البكرجي إلى شرح بديعية مصطفى البكري ، ولبّى الدعوة بشرح أسماه « المطلع البدري على بديعية البكري »[٤] .

واطلع مصطفى بن عبدالوهاب الصلاحي على بديعية السيد أحمد البربير ، فرآها كاملة في فنّها ، بديعة بين أقرانها ، فهيأ نفسه لشرحها ، وأطلق على شرحه اسم « نخبة البديع في مدح الشفيع »[٥] .

ولعبدالله فكري باشا شرح على بديعية صفوت الساعاتي[٦] ، كما أن لمحمد بدرالدين الرافعي شرحاً على بديعية عبدالقادر الأدهمي سمّاه « بديع

---

(١) له نسخة في برلين برقم (٧٣٦٦) .

(٢) وقد أشار د. عدنان درويش في « فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الشعبية بصوفية » : ٢ / ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ، إلى مضمون المجلدين الأول والثاني الموجودين من الشرح قائلاً : « كتاب كبير تناول فيه الغزي شرح القصيدة المسماة (مليح البديع في مديح الشفيح) للشيخ عبدالغني النابلسي . . وجعله شرحاً مبسوطاً بدأه بمقدمة ذكر فيها اتصاله بالشيخ النابلسي وسبب اختياره هذه القصيدة للاضطلاع بشرحها . . وقد حفل شرحه هذا بأنباذ كثيرة من النحو وطرائف أدبية كثيرة وضم فيه أشعاراً وأخباراً وقضايا بلاغية ومسائل عروضية وغير ذلك مما يحتاج إليه توجيه شرحه » .

(٣) المطلع البدري : ١ / آ .

(٤) منه نسخة في المكتبة الظاهرية برقم (٥٩١٩) .

(٥) نسخته في برلين تحت رقم (٧٣٨٨) .

(٦) وقد طبع هذا الشرح في مصر . انظر أعلام الزركلي : ٤ / ١١٣ .

التحبير شرح ترجمان الضمير»(١).

وبذلك ترى أن (البديعيات) لم تقف عند أصحابها دون أن تتجاوزهم ، ولم تكن العناية بها وبشروحها مقتصرة على أولئك النفر من الشعراء الذين عُنوا بنظمها فحسب ، وإنما وجدت صدراً رحباً عند كثير من العلماء الذين استقبلوا (البديعيات) ممهدين لها ، وعاملين على شرحها وبسط الحديث فيها ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل ـ فيما أرى ـ على جماهيرية البديعية التي لولا قبولها واستساغتها عند العامة والخاصة لما توارد على خوضها هذه الجمهرة من العلماء الذين كانوا ـ في غالبيتهم ـ من علية القوم في العلم والأدب .

ب ـ مضمون الكتب المؤلفة :

إن المتفحص للآثار التي انبثقت عن (البديعيات) ودارت حولها يعلم أن أثر (البديعيات) في الحركة التأليفية لم يقتصر على شروحها فحسب ، لأن هناك حقيقة قائمة تدل عليها تلك الآثار المتبقية بين أيدينا ، وهي أن هذا الفن استقطب مجموعة من الكتب لم يكن موضوعها الشرح الخالص للبديعية ، وتمثلت هذه المجموعة في الموضوعات التالية :

١ ـ المختصرات :

إن هذا الموضوع لمجموعة من المؤلفات قد يكون قريباً من موضوع الشروح ، ولكن إفراده هنا كان لإظهار جانب آخر من جوانب الاهتمام بالبديعيات ومظهر من مظاهر الحركة التأليفية المتنوعة حولها .

وربما كان أول ما يطالعنا في هذا الباب هو اختصار محمد بن إبراهيم بن محمد البشتكي* لشرح أبي جعفر الغرناطي على بديعية ابن جابر ، فقد انتقى

---

(١) وهو مطبوع بالمطبعة العلمية سنة (١٣١٢ هـ) .

(*) أديب شاعر دمشقي الأصل ، مولده ووفاته بالقاهرة (٧٤٨ ـ ٨٣٠ هـ) . انظر : الأعلام . ٥ / ٣٠٠ ومصادر ترجمته ثمة .

من هذا الشرح مجموعة من القضايا والفوائد والتوجيهات ، وأطلق على صنيعه هذا اسم « منتقى شرح بديعية ابن جابر »[1] .

ويبدو أن ابن حجة لم يكتف بإظهار مقدرته من خلال شرحه المطول لبديعيته إنما أراد له أن يكوْن مختصراً ميسراً بين أيدي جميع القرّاء ، فاختصر شرحه لبديعيته وأطلق عليه اسم « ثبوت الحجة على الموصلي والحلي لابن حجة »[1] . كما أن عالماً آخر أدلى بدلوه وأسهم في إيجاد مختصر آخر لشرح بديعية ابن حجة هو عبدالحي بن أحمد بن العماد الحنبلي* ومختصره عرف باسم « شرح أبي الفلاح »[3] .

٢ ـ النقد :

إذ لا بد لهذه الحركة الشعرية التأليفية من طبقة من العلماء يهتمون بالبديعيات : يتابعون قضاياها ويتذوقون إنتاجها ويوجهونها ـ إن أمكنهم ذلك ـ أو يكشفون عن بعض جوانبها ، وهذا ما كان فعلاً ، فمما وصل إلينا خَبرُه أو مضمونه مجموعة من الكتب تدور في هذا الفلك، وهي:

ـ إقامة الحجة على ابن حجة: لمؤلفه أبي بكر بن عبدالرحمن باعلوي**، قال عنه الزركلي : هو « في نقد بديعية ابن حجة الحموي »[4]، وذكره إليان

---

(١) يقع هذا المنتقى في ثمان ومئة ورقة . منه نسخة في معهد المخطوطات المصورة برقم (٥٧) .

(٢) ذكره البكرجي في « حلية العقد البديع » ، ص : ١٢ ، ومنه نسخة في برلين تحت رقم (٧٣٦٩) .

(*) مؤرخ فقيه عالم بالأدب ولد في دمشق سنة (١٠٣٢ هـ) وتوفي بمكة سنة (١٠٨٩ هـ) . ومن مؤلفاته « شذرات الذهب » .

(٣) منه نسخة في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة برقم (٢٩٥ مجاميع) . انظر فهرس الكتب الموجودة بالدار ٢ / ٢٠٣ .

(**) فقيه له علم بالفنون، من أهل حضرموت، طاف بلاد العرب، وقصد الهند واتسعت شهرته فيها بمحاريته البدع ، وتوفي في حيدر أباد سنة (١٣٤١ هـ) وكانت ولادته سنة (١٢٦٢ هـ) .

(٤) ٢ / ٦٥ .

سركيس بقوله : وفيه « انتقاد على ابن حجة الحموي بشرح شواهد بديعيته »(١) . والكتاب كذلك كما سنرى في الفصل القادم .

ـ سرقات ابن حجة في بديعيته : وهو مخطوط لم يتيسر لي الوقوف عليه ، ولم يشر المصدر(٢) إلى اسم مؤلفه ، ولعله كتاب النـواجي* « سرقات ابن حجة » الذي يتردد ذكره في الكتب .

ـ الحجة على من زاد على ابن حجة في البديع : واضعه عثمان بك الجليلي** .

ويلاحظ أن هذه الكتب يستقطبها ابن حجة في بديعيته التي أكثر في أثناء صفحاتها من التنفج والإعجاب بنفسه وإظهار تفوقه على غيره مما أثار حوله موقفَي الخصومة والتأييد ، وكما يظهر من تسميات هذه المؤلفات . ومهما قيل ، فإن هذا أثر من آثار (البديعيات) .

ولن أطيل الوقوف أمام هذه الناحية ، فسيأتي تفصيل ذلك في الفصل القادم ، إن شاء الله .

٣ ـ البلاغة :

فقد وجد بعض الكتّاب في (البديعيات) بناء قوياً متكاملاً يضم أنواع البديع كلها ، ولذلك عندما أراد هؤلاء أن يؤلفوا كتباً في البديع ، لم يكلفوا

---

(١) معجم المطبوعات العربية والمعربة : ١٤٠ .

(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية المصورة : ١٠ : ١ / ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ، والمخطوط موجود في دار الكتب القطرية الكتاب الثامن في المجموعة رقم (٤٠٠) .

(*) هـو محمد بن حسن بن علي بن عثمان النواجي عالم بالأدب ناقد ، تتلمذ على ابن حجة الحموي ثم انقلب عليه . وفاته سنة (٨٥٩ هـ) . انظر : هدية العارفين : ٢ / ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

(**) عثمـان بن سليمان باشا الجليلي . أديب فاضل . وفاته سنة (١٢٤٥ هـ) . انظر : تاريخ الأدب العربي في العراق : ٢ / ١٥٦ ـ ١٥٧ ، ٣٠٧ .

أنفسهم عناءً جديداً ، بل اتخذوا من بعض (البديعيات) وسيلة للتفصيل في فنون البديع ومن هؤلاء :

ـ بولس عوّاد : ألف كتاباً سمّاه « العقد البديع في فن البديع » اتخذ من بديعية ابن حجة مادة لهذا الكتاب أغناه بشرح وتوضيح للأنواع البديعية الواردة فيها متّبعاً ترتيب ابن حجة دون تقديم أو تأخير(١) .

ـ حفني ناصف : الذي عرّف كتابه التعليمي باسم « القطار السريع في علم البديع » وقد تحدث عن سبب تأليفه فقال : « شكا لي بعض طلبة الحقوق صعوبة تحصيل علم البديع وكثرة نسيانه ، وسألني وضع مختصر إنْ لم يُحفظ على الغيب فإنه يوضع في الجيب ، فأشرت عليه أن يحفظ بديعية تقي الدين ، وتكفّلت له بشرحها شرحاً وجيزاً أختار فيه أرجح الأقوال وأصح التعاريف وأوضح الأمثلة بأبسط العبارات وآثرت هذه البديعية على غيرها لشهرتها بين الأدباء ، وللإشارة فيها إلى أسماء الأنواع . . »(٢) .

ـ يوحنا الحداد : الذي ألف كتاباً باسم : « لآلِيء الترصيع في علم البديع » بناه على بديعية نيقولاوس الصايغ ، وشرح الأنواع البديعية التي وردت فيها .

وهكذا ترى معي أن فن (البديعيات) لم يقتصر على النظم الشعري وحده ، إنما كان فناً شعرياً بلاغياً أدبياً ، أقام حوله حركة من الشروح والمؤلفات التي ضمت بين صفحاتها فنوناً مختلفة ، وفوائد متنوعة ، وموضوعات متعددة .

---

(١) وقد قدم كتابه هذا إلى رئيس أساقفة بيروت يوسف الدبس .

(*) حفني بن إسماعيل بن خليل ناصف . ولد سنة (١٢٧٢ هـ) وتوفي (١٣٣٨ هـ) تعلّم في الأزهر ، وتنقل في مناصب مختلفة ، منها رئاسة الجامعة ، كما شارك في تأسيس المجمع اللغوي الأول في مصر .

(٢) القطار السريع : المقدمة .

وقد مرّ من خلال البسط الموجز السابق طرف من هذه المجموعة من المؤلفات التي أضيفت إلى المكتبة العربية ، والتي ما كانت إلا بفضل (البديعيات) .

وبهذا تتضح بعض الأسباب التي تحمل الباحث على الحديث عن أثر (البديعيات) في الأدب ، ومن جانبه الأول ، وهو كثرة التأليف وظهور حركة تأليفية .

* * *

(٢) - الفوائد العلمية في هذه المؤلفات

بعد هذه الوقفة السريعة على أبواب الحركة التأليفية التي قامت حول (البديعيات) وتبلورت إلى درجة ميّزت نفسها من غيرها ، وبرزت واضحة جليّة في المكتبة العربية الإسلامية ، يجدر بنا أن ننطلق فنلج هذه الأبواب ونسير في مداخلها ، فنطّلع على مضمونها ، ونكشف خباياها ، ونضع على طريق دراستها صُوى تنير طريقنا في بحثنا ، وتكون إشارة لباحث متمهل متأنّ يستطيع أن يدرسها ويعطيها حقاً ، ربما هضمْتُه ، بسبب طبيعة هذا البحث ومكانة هذه الناحية فيه وهذا يمنعني من الاسترسال والبسط أحياناً ، وأنا أعلم أن في هذه التواليف مادة غنية متنوعة . تستحق البحث والدراسة ، وما أحسن قول الدكتور زكي مبارك في هذه الشروح : « ولأكثر هذه البديعيات شروح فيها الوسيط والوجيز والمبسوط وأكثر هؤلاء الشرّاح من المتفوقين في العلوم العربية ، وفي شروحهم من الفوائد النحوية والصرفية والبلاغية واللغوية والأدبية والتاريخية ، فنون أكثرها من المستملح المستطاب »[١] .

---

(١) المدائح النبوية ، ص : ١٧٠ .

ومثل هذا الحكم أطلقه محمود رزق سليم عندما بحث في شرح ابن حجة واستطاع تخمين المقصود من نظم هذه البديعية وشرحها ، وحكمه هذا يكاد ينطبق على معظم شروح (البديعيات). قال : « وما عليك إلا أن تجمع تعريفاته البلاغية ومعها المثل أو المثلان، ثم تنحّيهما جانباً عن بقية (الخزانة) لتبدو لك بقيتها مسرحاً وضيئاً متألقاً مليئاً بجولات الأديب الذي فاضت صوره بالأدب اللباب، وسنح خاطره بالنقدات العذاب، وفيها ما فيها من حسن اختيار وسهولة عرض ودقة تتابع وجمع للمتفرق المتقارب»[1].

فهذان القولان ربما يوضحان للدارس أن هذه الشروح التي قامت على (البديعيات)، والتي ربما يتبادر إلى ذهن السامع للوهلة الأولى أنها لم تقم إلا على البديع ولن تنضح إلا به ، فهو بين مُدبِرٍ عنها أو مجانب لها ، فهذان القولان يوضحان أن تلك الشروح لم تتخذ من البديع ووجوهه إلا مطية ، يتوسل بها الناظم أو الشارح عند النظم أو الشروع بالشرح ، ليحلّق على أجنحتها ويسير في رحاب ما زخر به صدره ووعاه عقله من فنون الأدب والمعرفة ، ولذلك لا يمكنك أن تسمي هذه الشروح إلا بجنة مدخلها بديع ، وكل ما فيها متنوع بديع ، دانية قطوفها ، طيبة ثمارها ، متنوعة أزهارها ، فاختر منها ما تشاء فإنك ـ في أغلب أمرك ـ لن تخرج إلا « بالمستملح المستطاب »، وإلا فَنَقِّل الطرْف في رياضها ، ومتّع العقل في أفيائها فإنها ، وبحق ، خزائن للأدب .

ولن أكثر من كلام قد تراه بهرجاً ، وربما تأخذه أخذ متعجّل ، بل سأنتقل معك إلى مضامين هذه الشروح لنرى مصداق ما حدثتك به ، وذلك من خلال الشروح التي استطعتُ الحصول عليها ودراستها ، من المطبوع والمخطوط ، ومن هذه الشروح نستلّ الشواهد والأدلة التي توضح ما ذهبتُ إليه ، وتعطي صورة عامة عن بناء هذه الشروح .

---

(١) عصر سلاطين المماليك : ٦ / ١٦٥ .

وقد تمثلت أسس هذا البناء في العناصر التالية :

١ ـ البديع .
٢ ـ شواهد القرآن الكريم والحديث الشريف .
٣ ـ الشواهد الشعرية من مختلف عصور الأدب .
٤ ـ الشواهد النثرية .
٥ ـ لمحات نقدية .
٦ ـ فنون مختلفة .
٧ ـ بديعيات .

١ ـ البديع :

من المعروف أن العماد الذي قامت عليه (البديعيات) منذ نشأتها هو فن البديع ومن شروطها الملتَزَمة أن يتضمن كل بيت نوعاً من أنواعه ، ولذلك فإن أول ما يقوم به الشارح للبديعية هو التعريف بالنوع البديعي الذي ورد في بيت البديعية وتوضيح شروطه وأقسامه، وذكر أقوال العلماء في هذا النوع، وفي بعض الأحيان يعمد الشارح إلى التسمية فيفصل في معناها لغةً واصطلاحاً ، ثم يحدد أقسام النوع ويفصلها ، ثم الفرق بينه وبين ما يمكن أن يشتبه أو يلتبس به من أنواع البديع .

ومن هنا يمكننا أن نستخرج من كل شرح كتاباً خاصاً بالبديع يشمل أنواعه كلها وما يضاف إليها من جديد على مرور الأيام ، وذلك باستخراجنا البيت وما يعقّب عليه من شرح للنوع وتحديد له من هذه الشروح . وخذ مثالا لذلك ما قاله ابن معصوم إثْر بيته في (اللف والنشر) : « اللف والنشر : هو أن تذكر متعدداً إما تفصيلاً بالنص على كل واحد أو إجمالا ، بأن يؤ تى بلفظ يشتمل على متعدد ، وهذا هو اللف . ثم تذكر أشياء على عدد ذلك ، كل واحد يرجع

إلى واحد من المتقدم من غير تعيين ، ثقة بأن السامع يرد كل واحد إلى ما يليق به ، وهذا هو النشر . فالأول ـ وهو ذكر المتعدد تفصيلاً ـ ضربان : أحدهما : ما كان النشر فيه على ترتيب اللف ، بأن يكون الأول من النشر للأول من اللف ، والثاني للثاني ، وهكذا على الترتيب ، وهذا الضرب هو الأكثر في هذا النوع والأشهر فيه »[1] . ويمثّل الشارح لهذا الضرب ، ويطيل ليملأ أكثر من خمس عشرة صفحة ، ثم يتمم بقوله : « والثاني ـ وهو ذكر المتعدد إجمالا ـ قسم واحد لا يتبين فيه ترتيب ولا عكس »[2] . ثم يمثّل له على غرار سابقه .

وبذلك يتضح للباحث ما أردتُ بيانه وتوضيحه وما شرْحُ ابن معصوم سوى نموذج ينطبق على معظم الشروح .

٢ ـ شواهد القرآن الكريم والحديث الشريف :

من المعروف أن الغاية التي قامت من أجلها معظم علوم العربية ، ومنها علوم البلاغة العربية ، إنما هي النص القرآني الكريم ، وإعجازه ، وتفسيره . . ومن هنا كان كثير من الكتّاب والدارسين في البلاغة العربية يؤكدون هذه الناحية ويصرّون على إدراك علوم البلاغة لهذه الغاية ، وقد تردد هذا كثيراً في (البديعيات) وفي مقدماتها خاصة ، فابن دقماق يقول في مقدمة شرحه لبديعيته : « وبعد ، فإن معرفة حقائق كلام رب العالمين وفهم ما نزل في كتابه المبين الذي جمع بين علوم الأولين والآخرين ، هي أحق العلوم بالتقديم بعد معرفة الفرد القديم ، وأجدرها بالاقتباس والتعليم ، ليأمن حافظها غائلة الشك والتوهيم ، ولا يحصل ذلك إلا بمعرفة علم البلاغة وتوابعها من المعاني والبديع الذي يعرف به وجه إعجاز القرآن . . »[3].

وشبيه بهذا ما أورده البكرجي في مقدمة شرحه فقال : « إن أحق ما يعتني

---

(١) أنوار الربيع : ١ / ٣٤١

(٢) المصدر السابق : ١ / ٣٥٥ .

(٣) شرح بديعية ابن دقماق : ٢ / آ ـ ب .

بشأنه الأديب ويسعى في تحصيله الأريب معرفة العلوم العربية ، وما يتعلق بها من النكت الأدبية ، إذ بها تُعرف دقائق أسرار التنزيل ، وبتدبّرها تُدرك أحكام التأويل فمن أعلاها سباقاً وأحلاها مذاقاً .. علم البديع .. »(١).

فلا عجب بعد هذا أن تبدأ الشروح بالاستشهاد بأبياتٍ من القرآن الكريم ، يليها في غالب الأحيان أحاديث النبي ﷺ فكادت هذه الطريقة أن تكون سنّة متّبعة ، إذ قلما تجد نوعاً بديعياً يبدأ الاستشهاد له بغير القرآن الكريم ، ولكنني لا أنكر أن نسبة الاستشهاد بالحديث الشريف أقل كثيراً منها بالآيات القرآنية . ولهذا فقد حملت هذه الشروح طائفة من الآيات والأحاديث الخاصة والمناسبة لمواطن الاستشهاد ، واستمع إلى عبد الحميد قدس بعد بيته في (التقسيم) إذ يقول : « فيه التقسيم ، وهو على ثلاثة أقسام ، والكل يرجع إلى مقصود واحد ، الأول : استيفاء الذي أخذ فيه ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذي يُريكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وطَمَعاً ﴾(٢) .. وقوله تعالى : ﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينا وَمَا خَلْفَنَا وَما بَيْنَ ذٰلِكَ ﴾(٣) فيه حصر الزمان في الاستقبال والماضي والحال .. وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِياماً وقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِم ﴾(٤) ، ومنه قوله ﷺ(٥) « لَيْسَ لَكَ مِنْ مَالِكَ إلاّ ما أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْت ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَبْقَيْت »(٦) .

---

(١) حلية العقد البديع ، ص : ٣ .

(٢) سورة الرعد : ١٣ / ١٢ .

(٣) سورة مريم : ١٩ / ٦٤ .

(٤) سورة آل عمران : ٣ / ١٩١ .

(٥) أخرجه مسلم ، رقم (٢٩٥٨) في أول كتاب الزهد والرقائق ، والترمذي ، رقم (٢٣٤٢) في الزهد ، باب : منه ، ورقم (٣٣٥٤) في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة التكاثر ، من طريق مطرّف عن أبيه أنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو يقول : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكاثُرُ ﴾ قال : « يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لَكَ يا ابنَ آدم مِنْ مالكِ إلا ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت». قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٦) طالع السعد الرفيع ، ص : ١٣٩ .

هذا مثال لما تقدم من قول ، ولا يعني حتمية وقوعه في جميع الشروح وجميع الأنواع ، ولزوم وروده في بداية الاستشهاد ، إنما هو في الغالب كذلك . وقد يخالف .

شواهد الشعر :

قلت سابقاً : إن كثيراً من شعراء (البديعيات) قد اتخذوا منها مطية لإظهار ما عندهم من علم في ثنايا شروحهم ، وإن أكثر ما تتضح هذه الناحية عندما يعقدون الحديث على شواهد النوع البديعي ، فإنهم لا يكتفون ـ في الغالب ـ بالبيت أو البيتين ، إنما تبدأ فرسان الشواهد بالتوارد إلى هذا الميدان ، زرافات ووحداناً وكثيراً ما ترد ضمن الشرح مقطّعات كاملة ، بل قصائد طويلة ، فالشارح لا يكتفي بالبيت المطلوب شاهداً ، إنما يعززه بذكر مناسبته وموضوعه من القصيدة ، وربما يُغْرَم بالقصيدة كلها لجمالها فلا يتوانى عن إيرادها كاملة ، أو قريبة من الكمال[1]، وقد لا يشبع نهمه هذا ، فيبدأ بذكر ما استُحسِن لهذا الشاعر واستجيد له ، ولا يشترط أن يكون موافقاً لموطن الاستشهاد الذي هو فيه ، وقد يعِنّ له أن يقرن بعض عثرات هذا الشاعر بما ذكره من المستجاد له ، وهكذا تتوالى أمامك الأبيات الشعرية ودون أن تقتصر على شاعر أو عصر معين . ولهذا مزيتان : إحداهما : أنها من أبيات الاستشهاد ما لم تكن مستطردة ، وثانيتهما : أنها كانت تؤخذ من عصور مختلفة تبدأ بالعصر الجاهلي وتنتهي بعصر المؤلف ، ومما يزيد هذه الأشعار أهمية أن الشارح عندما يصل إلى زمنه ، ويستشهد بشعر مَنْ يعرف من معاصريه وأصدقائه ، فإن ما يورده في معظم الأحيان ، نفتقر إليه ، لإغفاله من قِبَل كتب الشعر والأدب ، وقد لا نجد له ذكراً في غير هذا الموضع . وهذا ما يحملنا على العناية بهذه

---

(١) انظر مثلا : خزانة ابن حجة ، ص : ١٤١ ، ١٤٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٣٠٩ وما بعدها .

الشروح ودراستها دراسة واعية ، واستخلاص الكثير من الفوائد منها .

وإنك لن تجد كبير عناء في البحث عن مثال موضح لهذا القول بل يكفيك أن تقرأ في شرح من شروح (البديعيات) المطوّلة ، كشرح ابن حجة ، أو العُرْضي ، أو ابن معصوم ، أو الصلاحي ، أو غيرهم لتجد بغيتك . وأُعِيْنك بذكر مثال واحد يتضمن شعراً يغلب على ظني أننا لن نجده في غير الموضع الوارد فيه ، فالرافعي في « بديع التحبير »[1] وهو شرحه على بديعية عبد القادر الأدهمي يقول ، بعد تعريفه لنوع (الاقتباس) : « فمنه قول صديقنا الأديب عبد الكريم عويضة :

يـا ذَوِي الأَمْـوَال زكُّـوا فَـمُـزَكِّـي المَـالِ يَـرْبُـو
لَـنْ تَـنَـالُـوا الـبِّـرَّ حـتّى تُـنْـفِـقـوا مِمَّـا تُحِـبُّـوا

وقول عبد الله بن عمر بن محمد الأفيوني الطرابلسي :

وَاظِبْ على الصَّبْرِ في الأَحْوَالِ قَاطِبَةً ولازِمِ الصَّبْرَ فَهْوَ المَنْهَجُ الأَطْهَرْ
وَاطْلُبْ مِنَ الوالِدَيْنِ الأَكْرَمَيْنِ رِضاً ولا تَقُلْ لَهُما : أُفٍّ ولا تَنْهَرْ[3]

وقول الأستاذ مولانا السيد الشيخ عبد الفتاح الزعبي الخطيب والمحدث في الجامع الكبير المنصوري ، حفظه الله تعالى وأدامه :

أَلاَ قُلْ لِمَنْ قَدْ رَامَ تَنْقِيصَ قَدْرِنَا بِمَكْـرٍ فَمَكْرُ الـظَّالِـمِينَ هبَـاء
وَنَحْنُ بِحَوْلِ الله جَلَّ جَـلالُهُ نُنَكِّسُهُ في الخَلْقِ كَيْفَ نَشاءُ[4] . . »

فتأمل هذا ، رحمك الله .

---

(١) صفحة : ٩١ .

(٢) فيه اقتباس من الآية الكريمة : ﴿ لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون ﴾. آل عمران . ٣ / ٩٢ .

(٣) اقتباس من الآية : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَولاً كَرِيماً ﴾. الإسراء : ١٧ / ٢٣ .

(٤) اقتباس من الآية : ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ في الخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلون ﴾. يس : ٣٦ / ٦٨ .

وهناك ملاحظة أود أن تكون واضحة قبل أن أغادر هذا الجانب من البحث ، وهي أن الشارح ـ المُطْنِب ـ ما كان ليكتفي بعرض الشواهد المستجادة المناسبة لما يريد ، في أغلب الأحيان ، وإنما كان يبحث عن الشيء المستقبح من الشعر أيضاً، وما لم تقبله الأذواق من قرائح الشعراء ، وهذه الطريقة ليست مبتكرة من قبل أصحاب (البديعيات)، إنما هي من أقدم قواعد البديع ، بل كأنني أرى هؤلاء الشراح سلكوا طريقة ابن المعتز في « بديعه » فقد كان يسير على الطريقة ذاتها في ذكر ما يستحسن من شواهد النوع ، ثم ما يستقبح منه ، فهو ـ مثلا ـ بعد أن يحدد (التجنيس) ويذكر شواهده من القرآن والحديث وأقوال الصحابة والمحدثين من الشعراء ، يقول : « ومن التجنيس المعيب في الكلام والشعر قول بعض المحدثين وهو منصور بن الفرج :

أُكَـابِـدُ مِـنْـكَ أَلِيـمَ الأَلَمِ فَقَدْ أَنْحَل الجِسْمَ بَعْدَ الجَسَم »[1]

ثم يستمر في عرض مثل هذا الأنموذج ، وهذا دَيْدَنُه في عمله كله . وكما قلت ، يبدو أن أصحاب (البديعيات) ما أرادوا أن يحيدوا عن هذه السنة فاتّبعوها ، وخاصة في شرحهم لنوع (براعة الاستهلال).

٤ ـ شواهد النثر :

لمّا كان شرّاح (البديعيات) من أرباب النظم والنثر ، ولمّا لم تكن البلاغة بفنونها مقتصرة على الشعر دون النثر ، أصبح من الواجب أن لا تقتصر شواهدهم على الشعر ، بل أكثر من ذلك ، فإنهم وجدوا في النثر مادة أخرى تكشف عن جانب من جوانب ثقافتهم ، وتنمّ عن طول باعهم في هذا المجال ، فكادت أن تكون أمثلتهم النثرية بقدر أمثلتهم الشعرية أو دونها بقليل ، فاتخذوا من أقوال البلغاء وخطب العلماء وأمثلة الفصحاء ومناظرات الأدباء مادة هامة في الاستشهاد بها إلى جانب الشعر .

---

(١) البديع ، ص : ٣٤ .

وعلى طريقتهم في أخذ الأشعار ، ساروا في أخذ النثر ، فالشاهد النثري قد يكون مثلاً سائراً ، أو بعض خطبه ، وقد يطول ويطول حتى يضمّن الشرح رسالة كاملة ، ولعل المرء يجد مثلاً واضحاً لهذا في « خزانة » ابن حجة . فهو ـ مثلا ـ عندما يتحدث عن (التغاير)، يشير إلى أخذ المتنبي قوله :

حَتّى رَجِعْتُ وَأَقْلَامي قَوَائِلَ لِي   المَجْدُ لِلسَّيفِ لَيْسَ المَجْدُ لِلْقَلَمِ (١)

من قول أبي تمام المشهور :

السَّيف أَصْدَقُ أنباءً مِنَ الكُتُبِ   في حَدّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجدِّ واللَّعِبِ(٢)

ويورد قولاً لابن أبي الاصبع في بيت أبي تمام ثم يقول : « وقد عَنّ لي هنا أن أرفع للمتأخرين في التقديم راية ليعلم المنكر الفرق بين البداية والنهاية ، فإن الشيخ جمال الدين أظهر في المغايرة بين السيف والقلم ما صدق به قول القائل :

وإنّي وإنْ كُنْتُ الأخيرَ زَمَانه   لآتٍ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الأوائِلُ(٣)

من ذلك قوله في رسالة المفاخرة والمغايرة في مدح كل واحد منهما وذمّه فبرز القلم بإفصاحه . . وقام خطيبا بمحاسنه في حلة مداده ، والتفت السيف فقال . . »(٤) ويورد الرسالة كلها ، على طولها(٥) .

٥ ـ لمحات نقدية :

إن مَن جمع هذا العلم فوَعَى ، ثم علمه وروَى ، لهو حقيق بأن يميز

---

(١) انظرها في الصفحات : ١٠٤ ـ ١٠٩ .

(٢) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي : ٤ / ٢٩١ (ط. دار الكتب ـ بيروت). وهو من قصيدة يذكر مسيره من مصر ، ويرثي فاتكاً .

(٣) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي : ١ / ٤٠، (ط. دار المعارف بمصر ـ الطبعة الرابعة).

(٤) البيت لأبي العلاء المعري .

(٥) خزانة ابن حجة ، ص : ١٠٤ .

ويفصل بين الحسن والقبيح ، والجيد والرديء منه ، وهذا ما فعله معظم الشرّاح - إن لم أقل كلهم - وإن كنا لا نطالبهم بنقد علمي منهجي يتفق وطرقه الحديثة لأننا نكون قد كلفناهم إذاً شططا ، بل يكفينا منهم تلك الإشارات المتعددة ، والوقفات الفاحصة المتفرقة التي تظهر هنا وهناك في أثناء شروحهم ، تعبر عن موقفهم ، وتوضح منهجهم في النقد وتعطي ملامح النقد في عصرهم بعامة ، فما هم إلا من هذا العصر وأبنائه وموقفهم أو نقدهم جزء من نقده ، وقد وجدنا من هذا ما يستحق أن يُفرد بحديث ولذلك نرجيء الحديث عنه إلى فصل قادم .

٦ - فنون مختلفة :

لم تقتصر هذه الشروح على ما سبق ذكره ، بل إن من يتجول في تلك الجنان ويبحث في هاتيك الخزائن ، لا بد أن يجد فيها كثيراً من اللفتات البديعة ، والفنون المتنوعة ، التي تلتمع بين ذلك الجنى ، وتبرز في حلل مختلفة ، لا سيما وأن شرّاح (البديعيات) كانوا بحق مثقفين ثقافة إسلامية كاملة بتنوعها وتواشجها ، فجاءت الشروح صورة عن هذه الثقافة ، فأنت تجد الفقه إلى جانب التفسير ، والنحو إلى جانب اللغة ، والعروض يعانق البلاغة ، وكلها فنون من « المستملَح المستطاب » كما قال د. مبارك .

فهذا أبو جعفر الغرناطي في شرحه لبديعية ابن جابر ، وعندما يشرح بيته :

ما بَيْنَ مِنْبَرِهِ السَّامِي وحُجْرَتِهِ   رَوْضٌ مِنَ الخُلْدِ نَقْلٌ غَيْرَ مُتَّهَمِ

يستفيض بالحديث عن تاريخ المنبر النبوي الشريف منذ بدايته وحتى زمنه ، ويستغرق هذا منه بضع صفحات[١] .

---

(١) طراز الحلة وشفاء الغلة : ٩٦ / ب - ٩٨ / آ .

وابن حجة الحموي استشهد لنوع (الإيهام) بحادثة جرت مع الحسن بن سهل وزير المأمون ، فقال : « يحكى أن بعض الشعراء هنّأ الحسن بن سهل باتصال ابنته بالمأمون مع من هنّاه ، فأثاب الناس كلهم وحرمه ، فكتب إليه : إنْ أنت تماديت على حرماني عملت فيك بيتاً لا تعلم مَدَحْتُك فيه أم هَجَوْتك ، فاستحضره وسأله عن قوله فاعترف ، وقال : لا أعطيك أو تفعل ، فقال :

بَارَكَ اللّهُ لِلْحَسَنِ وَلِبُورَانَ فِي الخَتَن
يَا إِمَامَ الهُدَىٰ ظَفِرْتَ ولٰكِنْ بِبِنْتِه مَنْ ؟

فلم يعلم ما أراد بقوله : « ببنت من » في الرفعة أو في الصغر ، واستحسن منه الحسن ذلك . . »[1] .

وابن معصوم ذكر حديثاً لعائشة ـ رضي الله عنها ـ من أن إحدى عشرة امرأة من أهل اليمن جلسن فتعاهدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً . . ثم شرع بتفسير الغريب من هذا الحديث ، مع توضيح وجوه المفردات صرفاً ، ونحواً وشرحاً وطال به ذلك[2] .

ويحدثنا قاسم البكرجي في شرحه عن سبب المثل المعروف : « كالمستجير من الرمضاء بالنار » ، فيقول : « وأصلُ ضَرْبِ هذا المثل أن جسّاس بن مُرّة لما تبع كليباً ليقتله فاستفرده في الفلاة ، وطعنه برمح فأثخنه ، وكان عمرو هذا جسّاس ، فقال له كليب : يا عمرو اسقني ، فنزل عمرو عن جواده وكمّل على قتله ، فعند ذلك ضرب هذا المثل »[3] .

---

(1) خزانة الأدب : ص : ٧٩ .

(2) أنوار الربيع : ٣ / ١٨١ ـ ١٩٧ .

(3) حلية العقد البديع ، ص : ٨٩ . وقد نظم بعضهم هذا المثل في بيت :

المُسْتَغِيثُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كالمُسْتَغِيثِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ

انظر : فصل المقال ، ص : ٣٧٧ ـ ٣٧٨ ، جمهرة الأمثال : ٢ / ١٦٠ ـ ١٦١ .

وأمثال هذه ، وغيرها كثيرة في شرح (البديعيات) .

٧ ـ بديعيات :

ومما حوته شروح (البديعيات) وحافظت عليه وأفادتنا به البديعيات نفسها . وبالطبع ليس المقصود أن الشرح حفظ البديعية المشروحة ، فهذا من نافلة القول ، بل لو قصدناه لكان لغواً ، ولكن ما أردت أن أشير إليه هو أن كثيراً من الشارحين كانوا يجمعون بديعيات من سبقهم ، أو بعضها ، مقرونة إلى بديعيتهم ، قاصدين بذلك أن ينبهوا على تفوقهم وتقدمهم على أقرانهم ، وهم بذلك ، ومن غير قصد ، حفظوا لنا مجموعة من (البديعيات) كادت تكون مفقودة لولا وجودها في هذه الشروح ، ولعل ابن حجة من أوائل العاملين على هذا عندما جمع في شرحه بديعيات : الصفي الحلي ، وابن جابر ، والعز الموصلي ، ثم توالى كثير من الشراح على هذا حتى رأينا الصلاحي يجمع في شرح بديعية أحمد البربير خمس عشرة بديعية[1] .

وهكذا أصبحت الشروح ملاذاً لكل من يريد بديعية لا تصل إليها يده فيتطلع لوجودها في واحد من هذه الشروح .

* * *

ها نحن أولاء الآن ، وبعد هذه الجولة السريعة في رياض (البديعيات) وشروحها ، أمام الأسباب التي كانت وراء هذا الفصل من البحث ، والتي أظنها

(١) وقد عدد الصلاحي هذه البديعيات في مقدمة شرحه ،وهي إضافة إلى بديعية البربير ، وبديعية الصلاحي نفسه ، بديعية الصفي الحلي ، وابن المقرىء وابن جابر ، وعبدالله الزفتاوي ، وعزالدين الموصلي ، وابن حجة ، وعبدالغني النابلسي ، ومصطفى البكري ، ومحمد بن كمال الدين البكري ، وقاسم البكرجي وعبدالله بن يوسف اليوسفي ، وعلي بن تاج الدين المكي ، وعائشة الباعونية .

تجعلنا أكثر اقتناعاً وقبولاً لما قاله د. مبارك حول (البديعيات) من أنه « لأكثر هذه البديعيات شروح ، فيها الوسيط والوجيز والمبسوط ، وأكثر هؤلاء الشرّاح من المتفوقين في العلوم العربية ، وفي شروحهم من الفوائد النحوية ، والصرفية ، والبلاغية ، واللغوية ، والأدبية ، والتاريخية : فنون أكثرها من المستملح المستطاب »(١) .

وعلى هذا المضمون المتنوع لشروح (البديعيات) ، وتلك الطريقة التي استخدموها في شروحهم ، يمكننا أن نصنّف شرّاح (البديعيات) ضمن أتباع المدرسة الأدبية البلاغية في تاريخ التأليف البلاغي عند العرب ، لأن عملهم هذا يتطابق والشروط الموضوعة لذلك .

فالدكتور أحمد مطلوب يقول : « وأكثَرَ رجال المدرسة الأدبية إكثاراً مسرفاً من الشواهد والأمثلة الأدبية نثراً وشعراً ، وكانوا غالباً ما يذكرون القاعدة بسطر أو سطرين ، ويأتون بأمثلة تتجاوز الصفحات . ولم تكن أمثلتهم مقصورة على الجملة أو بيت الشعر ، وإنما تعدتها إلى القطعة الشعرية ، وإلى الرسالة الأدبية ، ويتضح هذا في جميع كتب المدرسة »(٢) .

وليت شعري ، فإن أصدق مثال على هذا لهو في شروح (البديعيات) .

* * *

وقبل أن أغادر هذا الفصل أود أن أنبه على ملاحظتين اثنتين :

أولاهما : أن شروح (البديعيات) لم تكن ذات قيمة متساوية ومكانة واحدة ، أو بمعنى آخر لم يكن المضمون متقارباً فيها ، وربما ألمعتُ إلى هذا من

---

(١) المدائح النبوية : ص : ١٧٠ .
(٢) دراسات بلاغية ونقدية ، ص : ٢١ .

قبل ، وأوضّح هذا الآن بأن بعض الشروح كانت ضحلة تكاد تقتصر على شرح النوع البديعي دون أن تغادره أو أن تبتعد عنه كثيراً ، ولعل هؤلاء ساروا على سنة منشيء الشروح الأول الصفي الحلي ، فهو أولهم على هذا النهج ، وتبعه عدد منهم : ابن جابر في شرحه لبديعيته ، وابن المقرىء ، والباعونية ، والسيوطي ، وقد نسلك معهم الرافعي في « بديع التحبير » ، هذا فيما وقفت عليه .

أما الجمهرة المتبقية من شروح (البديعيات) التي وقفت عليها فهي تحتوي مثل المضمون الذي تقدم الحديث عنه .

وثانية الملاحظتين : أن هذه الشروح قد خَلَت ، أو كادت ، من السيرة النبوية التي إنما نظمت القصائد (البديعيات) في مدح صاحبها ﷺ ومع ذلك فإن أغلب الشراح ـ إن لم أقل كلهم ـ لم يتعرضوا إلى شيء من السيرة النبوية وربما كان مرد ذلك إلى الغاية المرجوة من هذه الشروح والتي تمثلت في نشر بضاعتهم وعرضها في أسواق الأدب . ولذلك لم تخل (البديعيات) من السيرة فحسب إنما خلت حتى من شرح معنى بيت البديعية ، وانصب الاهتمام على موطن النوع البديعي ليس غير . وقلّ منهم من شذّ عن هذه القاعدة مثل أبي جعفر الغرناطي في « طراز الحلة وشفاء الغلة » ، إذ خصص وراء كل بيت من أبيات ابن جابر فقرة خاصة يبدؤها بكلمة (المعنى) يشرح فيها مضمون البيت ، وهذا ما حمله على الحديث بين فترة وأخرى عن السيرة النبوية .

وبشكل عام فإن أبا جعفر في شرحه كان متميزاً عن غيره من الشراح ، وطريقته أيضاً تميزت بين الشروح ، وحتى مادته كانت أكثر تنوعاً من مواد غيرها من الشروح .

ولو أجيز لي أن أستطرد قليلاً ها هنا لإجراء مقارنة بسيطة بين شرح

الغرناطي وبقية الشروح التي اطّلعت عليها لقلت : هناك فرق واضح وبَيِّن :

فطريقة الشروح بشكل عام هي :

- **أولاً** : ذكر البيت .

- **ثانياً** : شرح النوع البديعي بعده .

- **ثالثاً** : الاستشهاد لذلك النوع .

- **رابعاً** : قد تُجْرى مقارنة أحياناً بين أبيات (البديعيات) السابقة وبيت الشارح .

أما طريقة أبي جعفر فكانت على الشكل التالي :

- **أولاً** : يذكر النوع البديعي .

- **ثانياً** : يعرّف النوع ويشرحه .

- **ثالثاً** : يأتي ببيت البديعية .

- **رابعاً** : يشرح لغة البيت .

- **خامساً** : يعربه ، أو يعرب بعضاً منه .

- **سادساً** : يتحدث عن معنى البيت ، وما رمى إليه الشاعر من مديح نبوي .

- **سابعاً** : الاستشهاد في البيت .

- **ثامناً** : ما جاء في البيت من وجوه بلاغية زيادة على الاستشهاد .

ومن خلال هذا كله كانت تتوارد الشواهد والأمثلة .

وبهذا ترى المفارقة بين هذا الشرح وغيره من الشروح .

* * *

وبعد هذا وذاك ، أراني في أبسط المواقف في البحث عندما أتمثل بما قاله محمود رزق سليم : « ومهما قيل في هذه البديعيات من أنها متكلفة ، وأنها

ساقطة النظم ، عسرة الأسلوب ، ركيكة التراكيب ، فهي على كل حال ، فن شعري جديد ، ولد وشبّ وترعرع في العصر المملوكي ، وشغل أذهان أدباء العربية حقبة من الزمن طويلة ، وأثرى العلم والأدب من ورائه ثروة لا يستهان بها وبخاصة من شروح البديعيات »[1] .

* * *

---

(١) عصر سلاطين المماليك : ٦ / ١٥٩ .

الفصل الثاني

أثر البديعيات في النقد

قديمة تلك المقولة التي تشير إلى تلازم النقد والأدب ، ولم يستطع أحد جحدها أو إنكارها ، فحيثما وجد الأدب لا بد من وجود النقد إلى جانبه ، وإلا فسنعدم التطور في النتاج الأدبي ، لأن فقدان النقد هو فقدان الهادي والمرشد إلى الطريق السليم ، والمحذر المنبه على الطريق المعوج السقيم ، ولا أدب بلا متذوق له .

وإذا كان من أمر (البديعيات) ما كان من ارتباطها الوثيق بالأدب ، إضافة إلى كونها فناً شعرياً متميزاً ، إذا كان من أمرها هذا ، فإننا لن نعدم لها أثراً في النقد ، خاصة وأن هذه (البديعيات) ـ كما أشرت سابقاً ـ قد عاشت نحواً من سبعة قرون من عمر التراث الأدبي ، ولولا مواقف كانت تجاهها ، وإقبالٌ كان عليها ، لما استطاع هذا الفن الطريف من الاستمرار هذه الفترة ، والانسياح على أصقاع مترامية من أرض اللغة العربية ، ولَمّا توارد كبار الأدباء ونابِهُو الشعراء على حوضها .

ومن هنا ، فقد كان لا بد من وقفة أمام أثر (البديعيات) في الحركة النقدية في زمنها ، وما كان لها من إسهام في هذا المجال ، فقد كان في (البديعيات) وشروحها مادة غنية متنوعة تشكل دافعاً قوياً للحركة النقدية ، في

(البديعيات) وحولها . وهو مدار حديثي التالي .

* * *

(١) ـ الحركة النقدية حول البديعيات

وتتمثل هذه الحركة في مجموع مواقف الناس ـ على اختلاف طبقاتهم ـ من (البديعيات) ، وما ألف من كتب في ذلك .

آ ـ موقف الخاصة :

لقد شاعت (البديعيات) بين الناس ، وانتشرت بين الشعراء ، ولعلها وجدت من الإقبال عليها ، والتقبُّل لها ما لم يجده فن من فنون الشعر الأخرى ، وربما كان ذلك نتيجة لما تتضمنه البديعية من نفحات دينية ، ارتدت لباس العصر المألوف من الزخرف والتلون والزركشة ، ولعلنا نجد توضيحاً وتأييداً لذلك في أمرين اثنين :

الأول : أن الشاعر كان إذا بلغ من الشهرة غايتها ، ومن المعرفة والمقدرة الشعرية أوجها ، يمّم صوب (البديعيات) ليدلي بدلوه فيها ، ويغترف ما استطاع منها ، وكأنه يرى أن تمام الشاعرية ، واكتمال الشهرة ، لا يتأتيان له إلا إذا أثبت في ميدان (البديعيات) وجوده . ومصداق هذا ما تراه من شعراء هذا الفن ، فمعظمهم ـ إن لم أقل جميعهم ـ كانوا أعلاماً بارزين ، يشهد لهم بذلك عصرهم ونتاجهم بدءاً بالصفي الحلي ، وابن جابر ، وابن حجة ، وانتهاءً باليازجي ، والشيخ طاهر الجزائري . فهؤلاء وقسماؤهم في هذا الفن قد شهد لهم اصحاب المعرفة بتفوقهم ورسوخ قدمهم في ميدانَي الأدب : الشعر والنثر .

والثاني: أن كثيراً من أولي الأمر ، كانوا يطلبون من الشعراء أن ينظموا (البديعيات) ويحثونهم على ذلك ، وربما كان طلبهم هذا بغية التقرب من جمهور

الناس ، والظهور أمامهم بمظهر التقى والورع وحب الله ورسوله في زمنٍ كان يستهوي الناس مثل هذا المظهر ويكبح من نقمتهم وسخطهم على الطبقة الحاكمة ، وإن ساءت تصرفاتها .

فإن سلم لي هذا الزعم فإنه يدل دلالة جلية لا شك فيها على المقياس الديني في بيئة الفكر العامة التي شاعت في ذلك العصر ، ومن ثم فإن هذا المقياس سيرتبط بشكل أو بآخر بمفاهيم النقد ومقاييسه السائدة عصرئذٍ . ولذلك ، فلعل بعضنا اليوم ينظر إلى (البديعيات) على أنها « منذ ولدت إلى أن قضت ، صناعة من العبث أضعفت من الشعر ، وهدت من قوته ، وأزرت من مكانته ، وأوردته موارد التكلف والتعمل الثقيل »[1] ، ذلك لأن مفاهيمنا اليوم غير مفاهيمهم ، وطرقنا في الحياة تختلف عنها في أيامهم ، ونظرتنا الذوقية ـ وإن كانت امتداداً لموروث ثقافي وبيئي واحد ـ فإنها تختلف الآن عما هي عليه قبل وقت ، ولذلك فإن أحكامنا على الأشياء تختلف عن أحكامهم ، وما نقبله أو نرفضه لا يعني بالضرورة التطابق مع عصرٍ مضى ، بل أكثر من هذا ، ربما اضطر من يقول هذا الكلام إلى التراجع عنه بل إلى نقيضه تماماً ـ شاء أو أبى ـ لو عادت به الأيام وقُيِّض له أن يكون في زمن أصحاب (البديعيات) . ولذلك فنحن نجد أن هذه (البديعيات) قد وافقت بيئتها من جهتين على الأقل :

أولاهما : الحس الديني الذي كان يسيطر على جميع طبقات الشعب .

وثانيتهما : الذوق العام المائل إلى الزخرفة والتنميق في كل شيء : في البنيان ، واللباس ، والرتب ، والتقاليد ، وغير ذلك . فإن في (البديعيات) عامة ، وفي الأنواع البديعية المستحدثة خاصة ما يمثل الميل الذوقي هذا نحو الزخرفة ، ولو شاء فنان أن يطلع على الملامح الفنية في ذلك العصر ويقارنها مع

---

(١) الصبغ البديعي ، ص : ٣٧٢ .

(البديعيات) لوجد فيها من التطابق ما يحملنا على تغيير نظرتنا القائمة حيال ذلك العصر ، وموقف الكثيرين المتعصب تجاه (البديعيات) .

ولا عجب بعد هذا إن طلب السلطان من أحد الشعراء أن ينظم بديعية ، كما فعل أحد سلاطين اليمن مع ابن المقرىء الذي حدثنا بذلك فقال : « وقد ألهم الله تعالى خليفته على خليقته ، وأمينه على بريته ، مولانا ومالك عصرنا ، السلطان ابن السلطان ، الملك الناصر أحمد بن إسماعيل بن العباس ، أدام الله بهجته من العناية بهذا الجناب الشريف النبوي المحمدي ما دل على عناية الله به وتوفيقه للسداد . . لمّا أنس من نفسه الشريفة الارتياح إلى كسب الثناء الحسن الجميل ، والشغف بمحاسن المدح وشرف مقداره الجليل ، أراد أن يؤثر على نفسه بذلك أحب المخلوقات إليه وأكرمها وأفضلها لديه محمد ﷺ . . ورَدَ عليّ أمره الشريف ، ورسمه العالي المنيف أن أمدح رسول الله ﷺ على لسانه الشريف ، بقصيدة متضمنة جميع أنواع البديع على طريقة الصفي الحلي ، وكان في أمره الشريف ترغيب ولطف ، وتقريب وعطف ووعد لا يعرف الخلف »(١) .

إذن فالملك الناصر يطلب من ابن المقرىء نظم بديعية على غرار بديعية الصفي الحلي ، وقبل أن يتسابق إلى ذهنك أن هذا الملك كان صالحاً تقياً ، نسأل كتب التاريخ عن سيرته ، فتحدثنا أنه كان ممن ورد ذكرهم في القرآن الكريم : ﴿ إنَّ المُلُوكَ إذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها ﴾(٢) ، فهذا السخاوي يقول في حقه : كان « من شرار بني رسول »(٣) .

فيغلب على الظن أن السلطان هذا لم يطلب طلبه إيماناً واحتساباً لله ، إنما

---

(١) الفريدة الجامعة : ١ / آ .
(٢) سورة النحل : ٢٧ / ٣٤ .
(٣) انظر الضوء اللامع : ١ / ٢٤٠ ـ ٢٤١ .

فعل ما فعل عندما رأى انفصال الناس عنه وانفضاضهم من حوله لسوء سيرته ، فأراد أن يتقرب إليهم ، فلم يجد سبيلاً أقرب من شاعر ينظم بديعية بأمره ، ويجزيه عليها بمال أو منصب - كما كان يطمح ابن المقرىء - ويشاع بين الناس ذلك ، فتلين قلوبهم ، وتسمح نفوسهم ، ووجد طَلِبته عند ابن المقرىء الذي كان يسعى للوصول إلى مكانة عظيمة عند السلطان ، كتلك التي كانت للفيروزآبادي صاحب « القاموس » .

وليس هذا بدعاً وحكراً على بديعية ابن المقرىء ، ولعلنا نذكر ما كان من أمر نظم بديعية ابن حجة الحموي ، التي حدثنا صاحبها بنفسه عن سبب نظمها بقوله : « فهذه البديعية التي نسجتها بمدحه ﷺ على منوال طراز البردة ، كان مولانا المقر الأشرف العالي المولوي القاضوي المخدومي الناصري سيدي محمد بن البارزي الجهني الشافعي صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية المحروسة جمّل الله الوجود بوجوده هو الذي ثقف لي هذه الصّعدة ، وحلب لي ضرعها الحافل لحصول هذه الزبدة . وما ذاك إلا أنه وقف بدمشق المحروسة على قصيدة بديعية للشيخ عزالدين الموصلي - رحمه الله تعالى - التزم فيها بتسمية النوع البديعي وورّى بها من جنس الغزل ليتميز بذلك على الشيخ صفي الدين الحلي . . فاستخار الله مولانا الناصر المشار إليه ، ورسم لي بنظم قصيدة أطرز حلتها ببديع هذا الالتزام ، وأجاري الحلي برقة السحر الحلال . . »[1] .

فصاحب ديوان الإنشاء يطلب من ابن حجة نظم بديعية ، ويعينه عليها ، ويرافقه في نظمها حتى النهاية .

هذا موقف الأمراء والخاصة من (البديعيات) .

ويقابل هذا الموقف الشعراء أنفسهم الذين احتلت (البديعيات) عندهم

---

(١) خزانة الأدب ، ص : ٢ - ٣ .

مكانة مرموقة جعلتهم يعدونها مثلاً عالياً ويحملونها هدايا نفيسة في أحوال مختلفة يتقدمون بها .

فمحمد رضوان عندما أراد أن يتقدم إلى « روضة المدارس » بهديةٍ وفاءً بالعهد ، وإعلانا لإخلاصه تجاهها ـ إذ كان يوماً من روّادها ـ لم يجد خيراً من بديعية كان قد نظمها ، فأرسل بها إلى تلك المدرسة ، وأشار إلى ذلك بقوله ـ متحدثاً عن الروضة ـ : « ولما أن كنت لها من زمرة الأصحاب ، ومن اعتادت زيارته من المحبين والطلاب . . ونظمت قصيدة بديعية في مدح الحضرة الشريفة النبوية ، لكنني أحجمت عن إشهارها خشية معترض عليّ . . وأحببت أن أهديها لروضة المدارس للتبرك بذكر الممدوح فيها »[1] .

كذلك محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الهاملي ، رأى في بديعية ينظمها في مدح شيخه خير سبيل للتقرّب إليه وإظهار الإخلاص له والزلفى بين يديه ، فنظمها ، مغايراً في مضمونها ، جاعلاً هذا المضمون خالصاً في مدح شيخه[2] .

إذاً لم تبق (البديعيات) عند حدود الفنون الشعرية المعهودة ، بزيادة التكلف فيها ، والسعي وراء منهِكات النفس من أنواع البديع ، إنما أصبحت فناً شعرياً وجد قبولاً عند الخاصة والعامة ، ذا غرض محدد ، وربما استُخدم في أمور سياسية وسيلة للتقرب من الشعب ومن أولي الأمر على حد سواء .

ومن هذا كله يتبدى لنا موقف من (البديعيات) ، تمثّل في هذا القبول لها من الخاصة والعامة والإقبال عليها ، وإن هذا الموقف هو من النقد بشكل أو بآخر .

---

(١) عنوان الرضوان في مدح سيد ولد عدنان ، ص : ٣ ـ ٤ .
(٢) انظر : هدية العارفين : ٢ / ٣٩٩ .

وكذلك عندما يطلب مجموعة من العلماء أو الأصحاب - كما يسميهم الكاتب أحياناً - من شاعر معين أن ينظم بديعية ، أو أن يشرحها ، كما هو مسطر في مواضع متعددة في (البديعيات)[1] ، فإن لهذا الموقف أيضاً دلالتَه النقدية التي تضاف إلى ما سبقت الإشارة إليه فتعضده وتشد أزره .

* * *

ب - موقف العامة :

لا بد للباحث من أن يكون قد استنتج من الكلام السابق موقفاً لعامة الناس من (البديعيات) ، من خلال موقف الخاصة منها ، إذ لو لم يكن هذا النفر من الناس يعلم مدى حب العامة وقَبولها لهذا الفن الشعري ، لما تقرّب (بالبديعيات) إليهم . ولولا ذلك لما أقدم عليها كبار الشعراء ، وقتئذٍ ، بل لما جعلوها غاية وذروةً لا يستطيع بلوغها إلا المقتدر العليم ، ولما استطاع هذا الفن الشعري الطريف أن يحيا قرابة سبعة قرون من عمر تراث هذه الأمة ، وأن ينتشر في معظم أصقاعها ، إذ لم تبق (البديعيات) محصورة في مكان دون آخر ، ولا حكراً على ناحية دون أخرى ، بل انتشرت في جميع الأنحاء ، وأقبل عليها الناس أينما وصلت وحيثما حلت ، وتوارد الشعراء على حوضها ينهلون منها ويصدرون عنها وكأنهم بلغوا في الشعر غايته .

وربما كان قبول الناس للبديعيات ناتجاً عن شيء سبق ذكره ، وهو أنها صادفت هوًى في نفوسهم ، ووافقت نزعة من نزعاتهم ، في فترة تعاظَمَ فيها هذا الهوى ، وسيطرت على الساحة تلك النزعة المتمثلة بالإتجاه الديني والإلتجاء إلى الله تعالى بوسيلة نبيّه محمد ﷺ الذي كان له فضل توحيد العرب وإبراز

---

(١) انظر مثلاً : المطلع البدري على بديعية البكري : ١ / ب ، و٢ / آ ، وحلية العقد البديع ، ص : ٤ .

قوتهم وقدراتهم وحضارتهم ، وهم في تلك الفترة بأمسّ الحاجة إلى بعث جديد للأمة ، وتحريك شامل لها ، بعد أن سيطر عليها من لا يستحق السلطة ، وتداعت الأمم عليها ، وانتشر الفساد والتخلف في كل مكان ، فلا أقل من أن يلجأ الناس إلى ملاذهم راجين منه الخلاص ، فوجدوا في المدائح النبوية طريقاً إلى ما يريدون ، ولذلك نلاحظ الإنتشار السريع الغزير للمدائح النبوية بدءاً من منتصف القرن السادس الهجري ، ومن هنا لم تكن (البديعيات) غريبة عن الناس ، بل وجدوا فيها شيئاً جديداً عندما استُخدِم المديح النبوي لغرض تعليمي - ربما - فيه هذا الجديد البديع ، فلاقت (البديعيات) رواجاً عند الناس ، وآذاناً مصغية لها ، وقلوباً واعية كذلك ، وتكاد هذه الناحية تحرك في نفسي ميلاً إلى تحليل ظاهرة سيطرة مديح النبي ﷺ على موضوع البديعيات عامة ، وقلة الشذوذ عنه إلى غيره .

ومما تقدم يعلم الإنسان أن (البديعيات) - هذا الفن السَّمِج كما يراه بعض المتعصبين - لم تكن دائرة في فلك الشاعر وحده مبتدئة به ومنتهية عنده ، ولم تكن مقتصرة على خاصة الناس ممن يستطيع الغوص في معانيها وتحليل ألغازها ، بل كانت فن الناس جميعاً ، فهِمَها خاصتهم ، وترنَّم بها عامتُهم ، وهذا يوحي بالحركة التي كانت تدور حولها ، ويؤذِن بسماع أحاديث مختلفة حولها ، لو قُيِّض لأحدنا أن يكون في مجالسهم آنذاك .

جـ - كتب في نقد البديعيات :

لم تقتصر الحركة النقدية التي نشأت حول (البديعيات) على الموقف التذوقي الذي تمثل في قبول هذا الفن والإقبال عليه ، إنما تخطته وقطعت مرحلة هامة عندما وصلت إلى مستوى التأليف في نقد هذا الفن .

وقد سبقت الإشارة إلى مجموعة من الكتب في هذا الموضوع ، وهي - على قلتها - ظاهرة وأثر من آثار هذا الفن النقدية . والكتب - فيما عرفت - هي :

١ ـ « الحجة في سرقات ابن حجة » للنواجي .

٢ ـ « الحجة على من زاد على ابن حجة في علم البديع » .

٣ ـ « إقامة الحجة على ابن حجة » .

٤ ـ « سرقات ابن حجة » .

أما الكتابان الأول والرابع فلا أقطع أنهما تطرقا إلى بديعية ابن حجة أو لا ، إذ ليس بين يدَي ما يعين على ذلك ، فالمعروف عن النواجي صاحب الكتاب الأول أنه قد اختص بالأخذ عن ابن حجة ، ثم تركه وقلاه ، وشنّ الغارة عليه ، والكتاب غير مطبوع وليس بوسعي تحديد مضمون هذا الكتاب ، كما أنني لا أجزم أن الكتابين مختلفان ، فالكتاب الثاني أشير إلى أنه لمؤلف مجهول[1] ، ولعله كتاب النواجي ذاته ، وعلى كل حال فأنا أسجل هذين الكتابين إشارة لكل من يستطيع توضيح الإشكال فيهما كي يفعل ذلك ، ولعلهما تطرقا إلى بديعية ابن حجة فيكون للبديعيات أثر فيهما .

وأما الكتاب الثاني « الحجة على من زاد على ابن حجة في علم البديع »[2] فإن مؤلفه يعرفنا به ، ويحدثنا عن غايته من تأليف هذا الكتاب قائلاً : « كنت قد طالعت . . فيه بديعية الأديب النبيه تقي الدين بن حجة الحموي ـ رحمه الله تعالى ـ فإنه وإن أكثر الشواهد فيها والتعريفات ، إلا أنه كما قيل : كم ترك الأول للآخر ، فإنه متقدم على من جاء بعده من الأدباء ، وقد جاءت بعده عصبة كالجلال السيوطي العالم الفاضل ومن تبعه ممن بعده ، واخترعوا فيه

---

(١) المخطوط في دار الكتب القَطَرية ، الكتاب الثامن في المجموعة رقم (٤٠٠) .
انظر : مجلة معهد المخطوطات العربية : م ١٠ ، ع ١ / ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

(٢) هو لعثمان بك الجليلي (ت : ١٢٤٥ هـ) . والكتاب طبع في العراق سنة (١٣٥٦ هـ) في مطبعة أم الربيعين في الموصل .
انظر : تاريخ الأدب العربي في العراق : ٢ / ١٥٦ ـ ١٥٧ ، و : ٣٠٧ .

أنواعاً ، ثم جاء الحميدي فخرج عن الجادة المقبولة لقبوله الأنواع البخسة ، إلى زمان شيخنا وعلاّمة عصرنا العالم النبيل والفاضل الجليل محمد أمين الدين العمري بن خير الله الخطيب والشيخ محمد الغلامي ـ رحمهما الله تعالى برحمته . . . ـ فلم تزل تتزايد هذه الأنواع من أول الأمر إلى أن خُبِط فيها خبط عشواء . فعنّ لي أن أستخلص منها ما زاد على بديعية التقي من الصحيح المقبول ، ونترك الضعيف المعلول ، وبحسب عقلي القاصر ألحقهم ببديعية ابن حجة علماً بأنه لو رآهم من كان له ذوق من جهة الأدب لاستحسن ذلك مني وأخذه عني »(1) .

فالجليلي يحدد لنا غايته ، ودوافعها المتمثلة في البحث عن الجديد من أنواع البديع التي زادت بعد بديعية ابن حجة ومحاولة غربلتها لتمييز الجيد من السيّء ومن ثم البحث عنها من بديعية ابن حجة ، أو إلحاقها بها . وقال متمماً :

« فالنوع الذي رأينا له شاهداً من أبياتهم حررناه ، والذي لم نَرَ له شاهداً نظمنا له بيتاً مستقلاً »(2) .

ثم يستعرض مجموعة من الأنواع ، ليست هي كل ما زيد بعد ابن حجة بالفعل ، ولكنه يبدو أنه اقتصر على ما جاء في بديعية كل من السيوطي والحميدي والعمري والآثاري السابق لابن حجة أحياناً ، لأنه لا يكاد يخرج عنهم إلا نادراً .

وطريقة الجليلي في عمله تعتمد على نقد الأنواع البديعية المزادة أحياناً ، كما تعتمد على البحث والكشف والتوضيح والتعريف أحياناً أخرى .

وتجدر الإشارة إلى أنه لم يعتمد على ما زيد في (البديعيات) دوماً ، بل

---

(1) الحجة على من زاد على ابن حجة ، ص : ١٤ .
(2) المرجع السابق ، ص : ١٥ .

ربما ذكر نوعاً لم يذكره أحد من أصحاب (البديعيات) ـ على حد زعمه ـ إنما هو من مخترعات عصره ، ومن مخترعاته هو أحياناً ، ثم ينظم له بيتاً ويتحدث عنه . ولعل في الأمثلة التالية ما يوضح طريقته ، ومضمون كتابه .

فقد قال في نوع (المهمل) : « قال الجلال :

سَادُوا الوَرى طَاوَلُوا الأَعْداءَ مُصْطدَماً علواً وَكَمْ (أَهْمَلُوا) الأَعداءَ كُلّهِمِ

هذا النوع ، أعني المهمل ، ليس تحته طائل ، وغاية ما يكون نظم بيت ليس فيه نقط .

وكنت قد اعتنيت بعدم ذكره إلا أني رأيته نعم المساغ إلى ذكر الأنواع البخسة فذكرته لأذكر معه الأنواع غير[1] المرغوبة ، وجعلته أول ما أهملناه من الأنواع . . »[2] .

وقال في نوع (الجناس المرفو) : « قال السيوطي :

وَرَمْتُ (رَفْوَ) اضْطِبَارِي إذْ تَمَزّع لا يَبْلَى عَلَى مُسْتَعَارٍ مِنْ وِدَادِهِمِ

قلت : هذا النوع ذكره التقي مع الجناس المركّب ، وعده معه ، وفرقه الجلال ، فإنه قال : الجناس المرفو : وهو ما تركب أحد ركنيه من كلمة أو جزء كلمة أو حرف من الحروف المستقلة . . أقول هذا من أحسن الجناسات . . وقد ورد في بديعية الحلي عفواً حين نظم الإفتنان . . وأورد الأمين . . شواهد الجناس المركب فقد تركناها »[3] .

وأورد نوع (الجناس المجوف) فقال : « قلت :

---

(١) في الأصل : « الغير » .
(٢) الحجة على من زاد على ابن حجة ، ص : ٦٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص : ٢٥ ـ ٢٦ .

طَرْفِي (المُجَوَّفَ) مِنِّي بَعْدَ فُرْقَتِهِم   قَدْ بَدَّ شَمْلَ مَنَامِي قَصْدُهُ أَلَمِي

هذا الجناس : . . لم ينظمه أحد من أهل البديعيات ، ولم يقل فيه أحد شيئاً إلا أنه من مخترعات زماننا ، وقد أفادَنِيه الأديب عثمان بن عمر الشهير بالبكتاشي . . وحدّه : بأن تذكر كلمةٍ حروفها ثلاثية أو خماسية ، ثم تذكرها مع إسقاطك حرفاً من وسطها ، فتصير مجوفة كقولك : سفر البر خير من سفر البحر ، ولا يلهج بالمجون إلا المجنون ، فالجناس في (بر) و (بحر) ، و (مجون) و (مجنون) . وهذا من الأنواع البخسة التي لا تحتها طائل »[1] .

وذكر نوعاً اخترعه ، أطلق عليه اسم (جناس التوهيم) وقال : « هذا الجناس . . لم يذكره أحد ، ولا حام طائر أفكار المتقدمين على وكر أشجار روضة . وهذا من مخترعاتي ، وهو أن يذكر الناظم أو الناثر كلمتين تكون من حيث الخط مخالفة ، ومن حيث اللفظ موافقة فيتوهم السامع أنه جناس تام ، فإذا نظر إلى الخط رآه جناساً مشوشاً . . . . ونظمت له بيتاً على نمط البديعيات فقلت :

هُمْ أَوْهَمُونِي وَقَالُوا : هَلْ تَرُومُ شَفا   مِنَّا عَسَى العَسَلَ اطْلُب . قُلْتُ : لَمْ أَرُم »[2]

هذه هي طريقة عثمان الجليلي في « حجته » التي أرادها أن تكون دفاعاً عن بديعية ابن حجة ، وتقديماً له حتى على المتأخرين ، ولكنه ـ للأسف ـ لم يكن متمكناً من ناصية البديع والبديعيات ، ولا خبيراً ملماً بكل الأنواع المزادة ، فجاء عمله قاصراً عن غايته مخِلاً بما أراده وعزم عليه ، وهذا واضح بيِّنٌ لمن يعود إليه .

وأحب أن أقول : إن الجليلي قد أشار في كتابه أنه كان قد عزم على نظم

---

(١) الحجة على من زاد على ابن حجة ، ص : ٢٤ .
(٢) الحجة على من زاد على ابن حجة ، ص : ٢٦ ـ ٢٧ .

بديعية وسار في ذلك ، ولكنه أحجم عن الإستمرار لأسباب يوضحها لنا بقوله : « وكنت قد نظمت بديعية بالمبادىء ، فلما وصلت إلى نصفها راجعت البديعيات ، فرأيت نظمي تحصيل حاصل لأمور أولها : أني ما رأيت بديعيتين إلا ورأيت واحداً قد أخذ من الآخر رغما على أنفه ، إذ لا يمكنه إلا الاتباع . والثاني : قد رضوا بأنواع بخسة لا طائل تحتها ، فإن تصديت لها نسبت إلى قلة الأدب ، وإن تركتها أخشى من نسبتي إلى عدم التصرف . وثالثها : لست كمن تقدم ، كالسيوطي ومتابعيه ، والحميدي ومتابعيه ، والأمين . . »[1] .

وبذلك قد حرمنا من بديعية تضاف إلى عقد (البديعيات) ، ولكنه أفادنا بعمل نقدي انطلق من (البديعيات) وعاد إليها .

ويبقى الكتاب الثالث « إقامة الحجة على التقي بن حجة » لأبي بكر بن عبد الرحمن العلوي ، الذي تجاوز بكتابه هذا النقد المتمثل في قبول العمل أو ردّه دونما تحليل ودراسة لذلك العمل وإعطاء مسوغات الحكم ، وبذلك تجاوز مرحلة النقد الذوقي التي رأيناها في موقف الخاصة والعامة من (البديعيات) .

ويبدو أن هذا الكتاب قد أُلف رداً على كتاب الجليلي السابق ، ولعل في تسميته ما يؤيد ذلك .

ولقد عمد أبو بكر في كتابه هذا إلى بديعية ابن حجة ، التي طالما أكبرها وعدها من مناقبه ومما لم يستطع أحد مجاراته بها ، وزها بنفسه خيلاء من خلال شرحها ، فعمد أبو بكر إلى هذه البديعية وبدأ بتحليلها ونقدها معتمداً على نهج علمي وضعه لنفسه لإظهار ما في هذه البديعية من خلل وضعف وسرقة ، كما أنه في الوقت ذاته كان يعترف لابن حجة بكل حسن أتى به من خلالها ، ولم يبخسه حقه ، مدلاً بذلك على ابن حجة نفسه ، فقد قارن عمله بعمل ابن حجة في شرحه وقال :

---

(١) ص : ١٤ - ١٥ .

« ولم أصنع ـ والحمد لله ـ صنيعه في انتقاد مستقيم القول وأعوجه ، بل غايرته فيما جنح إليه من تزغيل إبريز الكلام وبهرجه »[١] . فهو سيكون أكثر عدلاً من ابن حجة .

ويشرح الدافع الذي حمله على هذا العمل بقوله : « فليس الباعث على ما جرى به القلم في هذا الكتاب غير مندوب المباحثة الأدبية ، وما الحامل على ما رفع به العلم لذوي الآداب سوى الشنشنة الأخزمية[٢] ، ومن حيث إن الناظم قد أطلق أعنة الكلام في نشر ما اتفق له فيها من المحسنات ، وقام بالفرض والنفل في إطراء ما استعذبه ذوقه من النكت المستجادة في بعض الأبيات »[٣] .

ثم ينطلق أبو بكر إلى نقد بديعية ابن حجة متبعا الطريقة التالية :

١ ـ يذكر بيت البديعية .

٢ ـ يبدأ بتحليله ونقده :

آ ـ سرقته .

ب ـ أو ركاكته .

جـ ـ الغوص في مضمون البيت .

واستمع إليه وهو يحاكم بيت ابن حجة في (الجناس الملفق) إذ يقول بعد إيراد بيت ابن حجة :

ورُمْتُ (تَلْفِيقَ) صَبْري كَي أَرَىٰ قَدَمي   يَسعَى مَعِي فَسَعَى لَكِنْ أَرَاقَ دَمِي

« جناس هذا البيت مسروق اللفظ والمعنى من قول أبي الفتح البستي :

---

(١) ص : ٤ . وزغل الشيء : غشه ، وبهرجه : زيفه .

(٢) ضمن كلام المثل المعروف : « شنشنة أعرفها من أخزم » .

انظر : أمثال أبي عبيد : ١٤٤ ، فصل المقال : ٢١٩ ـ ٢٢٠ ، جمهرة الأمثال : ١ / ٥٤١ ـ ٥٤٢ ، مجمع الأمثال : ١ / ٣٦١ ، المستقصى : ٢ / ١٣٤ ـ ١٣٥ .

(٣) ص : ٤

إلى حَتْفِي سَعَى قَدَمِي أرى قَدَمِي أراقَ دَمِي

والفرق بين البيتين بانسجام ألفاظ بيت البستي وسهولة تركيبه ظاهر ، وأظنه لخلوه من التلفيق ، وليت الناظم ـ عليه الرحمة ـ حين أخذ تلك الألفاظ ليقيم بها أركان بيته أجاد بناها ، وأتقن وضعها ، لا بل وضعها كماجاءت ، ألا ترى أن قوله : يسعى معي ، لا تقبله البديهة ، لأن المعهود سعي القدم بالإنسان لا معه ، وأظنه لو أبدل لفظة (معي) بقوله لهم ، على حد قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾[(1)]، لسلم من أذى هذا الغبار المكدر مرآة هذا البيت . . »[(2)]. فإن كان البيت مما لا عيب فيه ، أشار إلى ذلك بكل أمانة وموضوعية ، واسمع قوله مرة أخرى أمام بيت (الاكتفاء) الذي أعجبه ولم يجد فيه ما يشينه فقال : « أشهد بالله أن هذا البيت سيد أبيات البديعيات في هذا النوع : لما فيه من الرقة والانسجام وجزالة الألفاظ والمعنى ، وحسن الاكتفاء الذي هو المقصود مع التورية العظيمة في نفس القافية ، وليته حذا هذا الحذو في كل البديعية أو غالبها ، فسبحان المانح »[(3)].

وقد تكرر منه مثل هذا الموقف غير مرة[(4)].

وعلى هذا المنهج النقدي سار أبو بكر في نقد بديعية ابن حجة ، وكما يلاحظ المرء ، فإن السبيل التي سلكها الناقد في صنعه هي أشبه ما تكون بطرق النقد الموضوعي الحديثة ، ونحن نلاحظ أيضاً أنه كثيراً ما كان يقف أمام بيت من أبيات البديعية عاجزاً عن فهمه وإدراك كنهه والمقصود منه فَيَكِل أمره إلى غيره ويتركه دونما حكم صريح ، فمثلاً ، كل ما قاله بعد أن أورد بيت

---

(١) سورة فاطر : ١٣٥ / ١٣ ، والزمر : ٣٩ / ٥ .
(٢) ص : ٦ .
(٣) ص : ٢٥ .
(٤) انظر مثلا قوله في بيت (الاستثناء)، ص : ٢٤ ، و(التتميم)، ص : ٢٥ ، و(الاستعارة)، ص : ١١ .

(الجمع) : « حاولت أن أفهم معنى عجز هذا البيت فلم أوفق له »[1] ، وإن كنا نشعر بشيء نقدي في موقفه هذا ، ولكنه ـ على كل حال ـ أظهر موضوعية في البحث .

وهكذا فإن أبا بكر هذا بصنيعه المذكور يكون في عداد أولئك الناس الذين استقطبتهم (البديعيات) لا لينظموا على نهجها ، بل لينيروا طريقها بومضات فاحصة لواحدة من بنات هذا الفن .

* * *

ولا يضير (البديعيات) في أثرها النقدي أن يقال بعد هذا : إن هذه الكتب التي سبقت الإشارة إليها لم تتسع دائرتها لتشمل كل (البديعيات) أو معظمها وإنما دارت في فلك بديعية واحدة نظمها ابن حجة إن هذا لا يضيرها أبداً . . لأن هذه البديعية ـ وهي جزء من البديعيات ـ قد أثارت حولها حركة كنا افتقدناها لولا ظهور هذا الفن ، ومنه بديعية ابن حجة .

ولأن هذه الكتب ـ وأخص كتابي الجليلي وأبي بكر ـ لم تقتصر على بديعية ابن حجة دوماً ، بل كانت تستعين بغيرها ، وتستطرد أحيانا إلى (البديعيات) التي سبقت ابن حجة أو جاءت بعده ـ كما رأينا في كتاب الجليلي ـ عندما يجد المؤلف مجالا لذلك .

* * *

٢ ـ الحركة النقدية في شروح البديعيات :

لم يقتصر أثر (البديعيات) في الحركة النقدية على ما دار حولها من قضايا وآراء ومواقف ، بل كان لها دور آخر لا يستهان به من خلال الشروح التي قامت

---

(١) ص : ٤٨ .

على معظمها ، إذ تتبدى لنا من هذه الشروح عدة ملامح نقدية ، تمثلت في الأمور التالية :

آ ـ الملامح النقدية في البناء العام للشروح :

من حديثنا السابق عن مضمون الشروح ، تبين لنا أن هذه الشروح كانت ترتكز على الفنون البديعية في بادىء الأمر ، لتنطلق منها جامعة من الشعر والنثر أجمله وأطرفه ، وأكثره دوراناً على الألسنة ومناسبة للاستشهاد به ، مع التعريج أحيانا على المستقبح المرذول من الشواهد .

وليت شعري ، فإن استحضار هذه الشواهد المتنوعة وجمعها وانتقاءها من غياض الشعر والنثر ، يخضع لعملية نقدية هامة وبارزة ، فالشواهد كثيرة ، والشارح أمامها صياد بارع تَمُرُّ الشواهد أمامه ، أو يستعرضها ، ثم يقتص منها ما يروق له ويجد فيه بغيته مما يناسب حديثه ، سواء من حيث جودة الشاهد وجماله وإصابة صاحبه ، أو من حيث رداءته وكبوة صاحبه به ، ثم لا يكتفي الشارح بعرض صيده هذا ، بل يقرنه بعبارات مختلفة تدل على قيمة هذا الشاهد ، فكثيراً ما نجد الشرّاح يقولون : ومن محاسن هذا الفن . . وهذا أحسن ما سمعت . . ومن براعاته . . ومما يستقبح . . إلى آخر ما هنالك من هذه العبارات الحكمية النقدية التي تستند إلى خلفية معينة هي من النقد بلا ريب .

فلنستمع إلى الصلاحي وهو يحدثنا مستشهداً ببراعة المطلع بقوله : « وما أحسن مطلع ابن النبيه ، وهو قوله:

يا سَاكِنِي السَّفْح كَمْ عَيْنٌ بِكُمْ سَفَحَتْ   نَزَحْتُمْ فَهْيَ بَعْدَ البُعْدِ ما نَزَحَتْ[1]

---

(١) نخبة البديع في مدح الشفيع : ١١ /

وبعده يقول : « ومما في تناسب القسمين إلى الغاية قول الشيخ ظهير الدين بن البارزي ، وهو :

يُذَكرُني وَجْدي الحَمَامُ إذا غنًى   لِأَنَّا كِلانا في الهَوى نَعْشَقُ الغُصْنا »[1]

وفي الصفحة ذاتها تجد أمثلة متعددة من مثل قوله : « وما أبهى مطلع الشاب الظريف . . وما أظرف ما قال بعده . . ومن أنوار المطالع التي هي أبلج من مطالع البدور . . ولطيف مطلع الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا في هذا الباب . . »، فأنت تلاحظ هنا التنوع ، والكثرة ، مع الحكم ، وهذا وما في معناه لا تكاد تخلو منه صفحة فيها استشهاد .

فإذا انتقلنا مع الصلاحي إلى مساوىء المطالع نجده يقول : « ومن مستقبحات الابتداء قول البحتري وقد أنشد يوسف بن محمد قصيدته التي أولها :

* لَكَ الوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصَرَ آخِرُه *[2]

فقال له : بل لك الويل والحرب »[3]

ومنها أيضا : « ولم تزل الناس تتعجب من قول مهيار الديلمي على جلالة قدره واتقاد خاطره وحسن تخيله ، وهو قوله :

وإنكَ مَذْخُورٌ لإحْيَاءِ دَوْلَةٍ   إذا هِيَ ماتَتْ كانَ في يَدِكِ النَّشْرُ

وكيف تفاءل لممدوحه بأن تنشر يده . وكذلك قوله يتغزل :

في صَدْرِها حَجَرٌ وتَحْتَ إزَارِها   مَاءٌ يَشِفُّ وَبَانَةٌ تَتَعَطَّفُ

---

(١) المصدر السابق : ١١ / ب.

(٢) ديوان البحتري : ٢ / ٨٧٦ ، وفيه « له » و« تطاول »، وعجزه : « وَوَشْكِ نوى حيّ تُزَمُّ أباعِرُهْ ».

(٣) نخبة البديع : ١٠ / آ .

وقوله : « في صدرها حجر » من أشنع لفظ ، لما فيه من إيهام الدعاء »[1] .

فالملاحظ هنا ـ وفي أماكن مختلفة من الشروح بشكل يكاد يكون عاما ـ هو أن هؤلاء الشرّاح كانوا يخرجون بين الحين والآخر عن طريقة التذوق المحضة والحكم بالجمال والاستحسان أو القبح والرد دون توضيح سبب ذلك ، إلى تعليل هذا الحكم ، وإظهار دوافعه ، والإشارة إلى مواطن جماله أو ضعفه ، وفي هذا العمل لمحات بارزة من النقد ترتقي أحيانا لتصل إلى مصاف النقد الموضوعي المنهجي ، وتنحط أحيانا أخرى لتعود إلى بدايات النقد الأولي ، إلى (ما أحسن ، وما أقبح) دون أي تسويغ أو توضيح . وكل هذه اللمحات النقدية كانت توشّح شروح (البديعيات)، والمتسع منها خاصة ، لتغني هذه الشروح وتلونها ، ولنقف من خلالها على مرحلة من مراحل التأليف الأدبي ، أو بتعبير آخر ، على فن من فنون التأليف الأدبي في فترة من فترات تراثنا ، امتزجت فيه فنون الأدب : شعراً ونثراً ونقداً .

ب ـ الملامح النقدية في عمل الشرّاح (ظاهرة التتبع):

إن في شروح (البديعيات) ظاهرةً ليست بغريبة عن الفكر التأليفي في التراث العربي الإسلامي عامة ، وعصر نشوء (البديعيات) وازدهارها خاصة . إذ كثيراً ما يصادفنا في أثناء قراءة أي كتاب من تراثنا موقف للكاتب يتعرض من خلاله لمؤلف عاصره ، أو سبقه أيضاً ، فيتعقبه في قضية ما ، يخطّئه فيها ، أو يرد رأيه ، أو يحد منه ، أو يوافقه ويزيد عليه .

وهذه الناحية لم تكن بعيدة عن شروح (البديعيات)، بل هي فيها أبرز ما تكون ، وخاصة في تلك الشروح التي تميز أصحابها بشيء غير يسير من الزهو

(١) المصدر السابق : ١٠ / ب .

والاعتداد بالنفس والحدة في الموقف .

ويأتي في مقدمة هؤلاء الثلاثة : أولهم : ابن حجة ، وقد رأينا مجموعة من الكتب التي ألفت في الرد عليه والانتقاص منه ومن عمله ، وفي الدفاع عنه والتأييد له ، ثم يليه ابن معصوم المدني ، والشيخ عبد الغني النابلسي .

ويلي هذه الطبقة : قاسم البكرجي ، وأبو الوفاء العُرْضي ، وهما أخف حدة وأقرب إلى الرقة والمرونة واللين من سابقيهم .

فابن حجة يصرّح منذ البداية أنه إنما نظم بديعيته وامامه بديعيتا الصفي الحلي والعز الموصلي إضافة إلى بديعية ابن جابر ، وهو في حالته هذه لا ينظر إليها نظرة القارىء المتصفح أو غير المبالي ، إنما ينظر إليها نظرة الناقد المتفحص ، الباحث عن خبايا جمالها ومواطن ضعفها ، ليستطيع بعد هذا أن يتدارك نقصاً سبق ، وأن يبزّ غيره بجمال وفضلِ إجادة ، فينطلق سابقاً مخلفاً وراءه كل من سبقوه إلى فن (البديعيات)، وقد أعانه على هذا أيضا صديق له وأديب معروف هو الذي حثه على نظم بديعيته . ومن هنا كان تتبعه لهؤلاء الشعراء في بديعياتهم ومقارنة عمله بأعمالهم ، مستعيناً بتلك المشورة التي صرح بها قائلا : « فاستخار الله مولانا الناصري . . ورسم لي بنظم قصيدة أطرز حلتها ببديع هذا الالتزام ، وأجاري الحلي برقة السحر الحلال . . فصرت أشيد البيت فيرسم لي بهدمه ـ وخراب البيوت في هذا البناء صعب على الناس ـ ويقول : بيت الصفي أصفى مورداً ، وأنور اقتباساً ، فأسن كل ما حده الفكر وأراجعه ببيت له على المناظرة طاقة ، فيحكم لي بالسبق وينقلني إلى غيره »[1] .

فتلاحظ معي أن هناك عملين اثنين كانا يرافقان نظم كل بيت من أبيات البديعية : أحدهما : تتبع ابن حجة لمن سبقه وإعمال نفسه في التفوق عليه ،

---

(١) خزانة الأدب ، ص : ٣ .

وثانيهما : الموقف النقدي المتمثل في عمل ابن حجة أولاً ، وفي حكم المعروض عليه (الناصري) ثانياً ، إذ كان يشير بالقبول أو الإعادة بعد المقارنة منه أيضاً مع أبيات بديعيتي الصفي الحلي والعز الموصلي ، وقد لاحظنا هذا في قول ابن حجة قبل قليل ، وهو ما حمله على التشوف إلى السبق والتفوق على أقرانه فقال : « وقد صار لي فكرة إلى الغايات سبّاقة ، فجاءت بديعية هدمتُ بها ما نحته الموصلي في بيوته من الجبال ، وجاريت الصفي مقيداً بتسمية النوع ، وهو من ذلك محلول العقال »(١) .

فمطلع شرح ابن حجة يوحي لنا أنه لن يترك هنة من هنوات الصفي والعز إلا شهّر به وأعلنه وتجاوزه إلى أحسن ، مزهواً بمقدرته وتفوقه وإجادته في كل كلمة من كلمات بديعيته ، وحتى من شعره ونثره الذي لا يمت إلى (البديعيات) بصلة ، ولو قلبت صفحات شرحه لوجدت مصداق ذلك .

ففي حديثه عن « براعة المطلع » مثلا يتعرض لمطلع ابن جابر قائلا : « فهذه البراعة ليس فيها إشارة تشعر بغرض الناظم وقصده ، بل أطلق التصريح ، ونثر المدح ، ونشر طيب الكلم . . »(٢) . ثم يثني على مطلع الصفي الحلي فيقول : « وبراعة الشيخ صفي الدين الحلي في هذا الباب من أحسن البراعات وأحشمها »(٣) .

ولكنه لم يتعرض بذكرٍ لمطلع بديعية الموصلي ، ولا أشار إليه ، لأنه سرقه منه(٤) .

وإذا أردت أن تسمع له زهواً بشعره فاقرأ قوله مثلاً وهو يقدم لقصيدة

---

(١) خزانة الأدب ، ص : ٣ .
(٢) خزانة الأدب ، ص : ١١ .
(٣) المصدر السابق ، وانظر مثلا ، ص : ١٣٥ . وغيرها .
(٤) أنظر : إقامة الحجة على التقي بن حجة ، ص : ٤ - ٥ .

له : « وقلت بعد المطلع أخاطب النسيم بما هو أرق منه . . »(١) .

هذا منهج ابن حجة في تتبعه من سبقه ، وحسبك شرحه فهو يغنيك . ولكن هذا الزهو من ابن حجة لم يرق لكثيرين من اصحاب القلم ، فوقفوا له بالمرصاد ، وسلّوا سيوف النقد على إنتاجه ، يغربلونه ويبحثون فيه عن كل ضعف ومطعن ، ومن هؤلاء الشيخ عبد الغني النابلسي(٢) في شرحه ، الذي لم يستطع أن يخفي ازدراءه وانتقاده لابن حجة فصرّح به منذ بداية شرحه حيث يقول : « ثم شرح قصيدته شرحاً أخذ فيه بأذيال الإطالة ، وألبسه حلل السآمة والملالة ، واعترض فيه على القوم ، وقال لمتعصبي أفكاره هلموا فاليوم اليوم ، وتشدق في عباراته ، وأفحش في إشاراته ، مع ما في أبيات قصيدته من الركة والقلاقة ، واختلاس كلمات غيره(٣) بحسب ما عنده من الفاقة »(٤) .

ويدأ بعد ذلك بتتبع ابن حجة لا في بديعيته فحسب ، بل حتى في انتقادات ابن حجة لغيره وسابقيه من أصحاب (البديعيات)، ينبش عن سرقاته ، ويدل على هنواته وعثراته ومجانبته للصواب .

فمطلع ابن حجة مأخوذ من مطلع الموصلي ، وهذا ما أعان النابلسي على أن ينال من ابن حجة منذ البداية ، فقال ، بعد أن أورد بيت الموصلي : « وقد دخل هذا البيت فكر ابن حجة ـ رحمه الله تعالى ـ فسرق منه مصراع الباب . . . »(٥). وفي بيت (التكميل) مثلاً ، يرد على ابن حجة انتقاده عدم وضوح بيت الصفي الحلي فيقول : « ومحل التكميل قوله : تعضدها عناية ، إلى آخره ، وعجيب كيف ينكر ذلك منكر ، وشمس العناية مشرقة في أفق

---

(١) خزانة الأدب ، ص : ٣٣ .
(٢) قدمتُ ذكر النابلسي لأنه أكثر الناس اعتراضاً وأشدهم غضباً على ابن حجة .
(٣) في الأصل (الغير)، والصواب ما أثبتُّ .
(٤) نفحات الأزهار على نسمات الأسحار ، ص : ٤ .
(٥) المصدر السابق ، ص : ١٧ .

البيت »[1] . والنابلسي لم يقصر انتقاده على تتبع ابن حجة ، وإن كان غير راض عنه ، وانما تعدّاه إلى كل من ذكر له بديعية في شرحه ، والمعروف أنه جمع فيها : بديعية الحلي ، والموصلي ، وابن حجة ، وعائشة الباعونية ، وكل هؤلاء كان يتتبع بديعياتهم يعلق عليها ، وينتقدها ، مظهراً محاسنها أحياناً ، ومساوئها أحياناً أخرى . فبيت (النوادر) للصفي الحلي ليس من هذا الفن : « وقد صدق من قال : ليس هذا من النوادر بل من جناس القلب « كما لا يخفى »[2] .

وبيت (الهزل المراد به الجد) الذي نظمه العز الموصلي ليس فيه المقصود ، « وإنما فيه حكاية مشتملة على تسمية النوع لا غير »[3].

وبيت عائشة الباعونية في (الترتيب) : « أخذته بحرفه من بيت الصفي الحلي في التورية »[4].

وعلى هذا فَقِس .

ولم تخل نفس ابن معصوم المدني من تشوف إلى السبق ، وتطلع إلى التقدم والتفوق على الآخرين . فإذا كانت بديعية ابن حجة ـ فيما يراه الكثيرون ـ من أجود (البديعيات) ، فإن ابن معصوم نظم بديعيته « التي فاقت بديعية ابن حجة فلو أدركها لما قامت له معها على تزكية نفسه حجة »[5].

وفي أثناء نظمه وشرحه لبديعيته كانت فكرة المقارنة فيما بين بديعيته ومجموعة من (البديعيات) السابقة له قائمة ، ولذلك أورد لنا ضمن شرحه

(١) المصدر السابق ، ص : ٢٠٠ ، وانظر قول ابن حجة في « خزانته » ص : ١٧١ .
(٢) نفحات الأزهار ، ص : ١٦٥ ، والصادق المشار إليه هو ابن حجة . انظر خزانته ص : ٢٢٣ .
(٣) نفحات الأزهار ، ص : ٢٢٤ .
(٤) نفحات الأزهار ، ص : ٢١٤ .
(٥) أنوار الربيع في أنواع البديع : ١ / ٢٨ .

بديعيات كل من : الصفي الحلي ، وابن جابر ، والعز الموصلي ، وابن حجة ، والطبري ، والمقرىء ، وأحياناً العلوي ، وهو في ذلك كله إنما يفعله « ليتأمل الناظر في هذا المضمار مجرى السوابق ويميز بثاقب نظره بين اللاحق منها والسابق ، وليكن على ذكر مما قاله أبو العباس المبرد في « الكامل » ، وهو القائل المحق : ليس لقدم العهد يفضل القائل ، ولا لحدثانه يهتضم المصيب ، بل يعطي كل ما يستحق »[1].

فإذا بحثنا ضمن شرحه عن هذا التتبع لوجدناه يصادفنا منذ بداية الشرح حتى نهايته ، فهو مثلاً يُعجب بمطلع الصفي الحلي[2] ، وينقل تعقّب ابْن حجة لمطلع ابن جابر[3] ، ويعترض على مطلع ابن حجة بأنه « قَصَرَ (الإبتداء) وحقُّه المد لأنه مصدر ابتدأ يبتدىء وهو ضرورة ، وارتكاب الضرورة في الإبتداء خصوصاً مطلع البديعية ، لا يخفى ما فيه »[4].

وكذلك اعترض على مطلع الطبري وابن المقرىء[5].

وابن حجة مثلاً في بيت (الإستطراد) قصّر ، وكذلك بيت عبد القادر الطبري هو « ممسوخ الألفاظ من بيت الشيخ عز الدين الموصلي ، وأما معناه فهو من البرودة في الغاية القصوى »[6].

---

(١) المصدر السابق : ١ / ٢٩ .

(٢) انظر المصدر السابق : ١ / ٩١ .

(٣) المصدر السابق : ١ / ٩٢ ، وقول ابن حجة المنقول في ذلك : « فهذه البرعة ليس فيها إشارة تشعر بغرض الناظم وقصده ، بل أطلق التصريح ونثر المدح ونشر طيب الكلم » . انظر خزانة الأدب ، ص : ١١ .

(٤) أنوار الربيع في أنواع البديع : ١ / ٩٣ .

(٥) المصدر السابق : ١ / ٩٣ ، و٩٤ـ٩٥ .

(٦) المصدر السابق : ١ / ٢٤١ ، و٢٤٢ . وبين الموصلي المقصود :

يَسْتَطْرِدُ الشَّوْقَ خَيْلَ الدَّمْعِ سَابِقه ... فَيَفْضُلُ السُّحْبَ فَضْلَ العُرْبِ لِلْعَجَمِ

وبيت الطبري المأخوذ منه :

واسْتَطْرَدَ الحُبُّ خَيْلَ الوَصْلِ سابِقَة ... بِفَضْلِ وُدٍّ كَفَضْلِ المَلِكِ لِلْخَدَمِ

وهذا كثير ومتعدد يكاد يلقاك عند حديثه عن كل نوع وبيت في بديعيته فهو يختم حديثه في انتقاص تلك (البديعيات) السابقة له ـ في الغالب ـ ليبدو بنيانيه راسخاً شامخاً .

فهؤلاء الثلاثة كانوا أكثر تعصباً لما عندهم ، وأشد هجوماً على غيرهم وبحثاً عن عثرات سابقيهم واقتناصاً لكبواتهم ، والتشهير بعوراتهم إلى درجة التفريط في ذلك .

أما الطبقة الثانية التي كانت أكثر موضوعية وأقل تحاملاً من الأولى ، فيمثلها أبو الوفاء العُرْضي ، وقاسم البكرجي .

فالعُرْضي لا ينظر إلى من سبقه نظرة مناهض مسابق ، بل يرى فيهم جميعاً الخير ويظن فيهم الظن الحسن ، ولم لا ، ألم يفعلوا ما فعلوه مادحين للنبي ﷺ ؟ ! إذا فهم رَهْط كرام متقدمون سابقون ، ويرضى بأن يكون عمله « حرصاً على تحصيل الثواب ، ورجاءً لنيل شفاعته يوم فصل الخطاب »(١) .

ويصرح بأنه ما أراد إلا أن يُنْظَم معهم ويحسب في زمرتهم فقال : « وإنني من قصدت التشبيه بهم ، والإنتظام في أسلاك عقود مذهبهم ، فلذلك نظمت البديعية »(٢) .

ومن هنا فإننا لن نجد عنده زُهوَّ ابن حجة ، ولا حدّة النابلسي ، ولا تشوُّف ابن معصوم ، . بل إن تعقباته ، ووقفاته النقدية في شرحه كانت دون غيرها ، فكثيراً ما ترك الحبل على غاربه ، أو أشار بكلمة أو بضع كلمات إلى موضع ضعف ، أو عثرة شاعر ، واقتصر على إيراد بديعية ابن حجة والموصلي ، والحلي ، وابن المقرىء وربما أوحى هذا باعتداله .

---

(١) فتح البديع في حل الطراز البديع : ٢ / ب .
(٢) فتح البديع في حل الطراز البديع : ٢ / ب .

ومن وقفاته عند عثرات الآخرين قوله في بيت (جناس التلفيق) من بديعية ابن المقرىء : « ذكر مثالين أورثا ثِقلاً »[1] .

وابن المقرىء أيضاً « تكلف وزاد ضميراً ليسَ من جوهر الكلمة »[2] في بيت (الجناس التام والمطرف) كما قال أبو الوفاء .

ويقف عند اعتراض ابن حجة على الموصلي في بيت (التوشيع) فيقول : « رحم الله ابن حجة ، فإنه قطع طريق الإعتذار حين قال عن الموصلي بأنه شن الغارة على ابن الرومي وفكّك قواعد بيته حيث قال :

أبو سُلَيمان إنْ جَادَتْ لنا يَدُهُ   لم يُحْمَدِ الأَجْودانِ : البَحْر والدِّيَم

قلت : قد كسا معناه حلة اللطافة بمعنى آخر ، إن قلنا : إنه اطلع على البيت ، وإن كان لم يطلع عليه ، فما شَنَّ الغارة ، والمعنى الموجود في بيت الموصلي أن عطايا الممدوح لكثرتها أغنت عن البحر والديم ، فلم يبق لذي طلب أرب فيهما إذ عنده ما يكفيه بل ما يغنيه ، وأما بيت ابن الرومي فلا يدل إلا على أن الممدوح أكرم من البحر والديم إذا قِيس فيه عطاؤهما بعطائه كان عطاؤهما مذموماً لقلته بالنسبة إلى عطاء الممدوح ، وليس فيه ما يدل على الإستغناء به عن عطايا البحر والديم ، فتأمل . مع أن في بيت ابن حجة ما هو مورد المناقشة من حيث إن العهد بمعنى الديم في ألسنة الشعراء ، فلمَ جعل كلاًّ قسماً منفرداً ؟ »[3] .

---

(1) المصدر السابق : ٥ / ب . وبيت ابن المقرىء هو :

قَدْ كَلَّمَتْنِي النَّوى وكَلَّ مَتْنِي مِنْ   وَخْدِ هَرا قَدَمِي حَتَّى هَرَاقَ دَمِي

(2) المصدر السابق : ٦ / آ ـ ب ، وبيت ابن المقرىء المقصود :

فَـدَمْعِيَ السَّـائِـلُ المَحْـرُومُ سَـائِلُهُ   وسـائِلِي نَحْـوَكُم يا جِيْـرَةِ العَلَمِ

(3) فتح البديع في حل الطراز البديع : ٤٥ / آ ـ ب ، وبيت الموصلي المقصود :

ومِنْ عَـطَايـاه رَوْضٌ وشُعْبَتـه يَـدٌ   تُغْنِي عَنِ الأَجْوَدَيْنِ : البَحْرِ والدِّيَمِ

وانظر قول ابن حجة في خزانته ، ص : ١٧٠ .

لعلك لاحظت هذا النَفَس الهادىء ، والنقد الرزين ، ومحاولات الإعتذار عن زلات الآخرين ، والتغاضي عنها ، من خلال هذا الموقف ، بل لعلك لاحظت ما هو أكثر من ذلك ، وهو أنه كان يخلّي الإنتقاد جانباً ، وقلما يتعرض له ، ولعله ما كان ليشير إلى موطن ضعف في بيت (التوشيع) في بديعية ابن حجة لولا أنه رآه قد تجرأ على أخطاء الناس ونسي نفسه .

ويأتي قاسم البكرجي فيستحضر في شرحه سبع (بديعيات) سوى بديعيته ، وفي هذا ما فيه من دلالة ، ثم يوضح أنه سيركّز على تعقّب عبد الغني النابلسي خاصة في تتبعه لمن سبقه ، لأنه رأى في هذا التتبع « أشياء يمكن الجواب عنها »(١) .

وفعلاً ، فقد وفى بوعده ، وحقق قصده في شرحه ، فهو يرد على النابلسي مثلاً في تعقبه لبيت ابن حجة في (حسن البيان) بقوله : « وأورد الشيخ عبد الغني على ابن حجة بأن بيته متعلق بما قبله ، وهو من عيب التضمين ، وأنه يعيب بذلك على غيره ، فكيف يرتكبه ؟ قلت : الذي عاب به أهل البديع كون التعلق تعلق معنى ، بأن يكون المشبه في بيت والمشبه به في البيت الثاني ، أو المبتدأ في بيت والخبر في البيت الآخر وما أشبه ذلك ، وأما بيت ابن حجة وبيت بديعيتي فإن تعلقهما بما قبلهما تعلق إعراب فقط ، وإنهما صالحان للتجريد ، وكل منهما بمفرده مفيد »(٢) .

ولا يكتفي البكرجي بالرد على عبد الغني ، بل يتابعه في بديعيته ،

---

(١) حلية العقد البديع ، ص : ٥ .

(٢) حلية العقد البديع ، ص ٣٣٩ ، وانظر قول النابلسي في نفحات الأزهار ، ص : ٤٧٥ ، وبيت ابن حجة قوله :

حتّى يَبِيْتَ بَـدِيْعِي في مَحَـاسِنِـه   (حسن البيان) وأَشْدُو في حِجَازِهِم

وبيته السابق له ، الذي قال النابلسي : إنه متعلق به :

يا رَبِّ (سَهِّلْ) طَرِيْقِي في زِيارَتِهِ   مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْتَرِيني شِدّة الهَرَمِ

ويتعقب هنواته وعثراته ، كما يتعقب غيره أيضاً من أصحاب (البديعيات) الذين ذكرهم في شرحه ، فبيت (الجمع والتفريق) مثلاً في بديعية الموصلي غير صحيح ، فيقول فيه : « قلت : وأين الجمع بين شيئين في حكم واحد ، إذ الأول النار ، والثاني النور ، ولو كانا واحداً لما ناسب المقام ، تأمل »[1] .

وبيت (الترتيب) في بديعية ابن حجة : « خارج عما نحن فيه ، لأنه ليس من أوصاف الإنسان ولا هو في الواقع ، ولا هو في ترتيب الوجود الخارجي ، ومدعاه في الشرح ليس تحته طائل »[2] .

وبيت الباعونية في (الإقتباس) : « من العقد ، وليس من الإقتباس »[3] .

ومن تتبعه لبديعيتي النابلسي قوله عن بيته في (الغلو) : « لم يُر في هٰذين البيتين الوصف بالأمر المستحيل ، لأن قوله : جلت مزاياه ، أي : عظمت ، ورؤيته لها في شمم ليس أمراً مستحيلاً ، وإنما هو وصف الشيء بشدة المبالغة ، وذلك ليس بغلو »[4] .

* * *

---

(١) حلية العقد البديع ، ص : ٢٧٤ ، وبيت الموصلي هو :
وَعَـزْمُه النّـارُ في (جَمْعٍ يُفَـرِّقُهُ) وروْضُه النُّورُ يَجْلُو جِنْدِسَ الظُّلَمِ

(٢) حلية العقد البديع ، ص : ٢٧٥ ، وبيت ابن حجة هو :
(تُـرتِّبُ) الحَيَـوانـاتُ السَّلامَ لَـهُ والنَّبْتُ حَتّى جَمَاد الصَّخْرِ في الأكَمِ
وانظر تعريف الترتيب في ص : ٣٦٧ . من خزانة ابن حجة .

(٣) حلية العقد البديع ، ص : ٣٢٤ ، وبيت الباعونية قولها :
أنْتَ الكَلِيم وهذا طُوْرُ حَضْرَتِهِم أَقْبِـل ولا تَخَفِ الواشِـين بالكَلِمِ
وانظر تعريف الاقتباس في ص : ٤٤٢ ، والعقد ، ص ٤٥٩ من خزانة ابن حجة .

(٤) حلية العقد البديع ، ص : ١٩٧ ، وبيتا النابلسي هما قوله في البدعية الأولى :
أَقَـلُّ أَوْصَافِـهِ مـا الحُسْنُ أحْقَـرُهُ ودونَ أَفْعَالِهِ ما جَلَّ عَنْ حِكَمِ
وقوله في الثانية :
جَلَّتْ مَزَاياهُ عَنْ مَدْحِي فَصِرْتُ إذا رُمْتُ (الغُلوّ) أراها عَنْه في شَمِمِ

فمن خلال هذه الأمثلة مجتمعة ، إضافة إلى ما يمكن اقتناصه من هذه الشروح وسائر الشروح الأخرى ، يمكن للإنسان أن يلاحظ حركة نقدية تتراءى له ، وسلسلة مترابطة كانت تتوالى بين شرح وآخر ، هذه الحركة يمكن لها أن تُرصَد ، وأن تُتابع بدقة في جميع الشروح ، فيخرج منها الباحث بصورة لا تقل عن غيرها أهمية من صور النقد الأدبي العربي في مرحلة من مراحل التراث العربي التي امتدت قروناً عديدة .

* * *

جـ ـ ملامح نقدية عامة :

إنني لأرجو أن لا يقتصر الظن على وجود الحركة النقدية من خلال بناء الشروح العام ، وتتبعاتهم في (البديعيات) . إذ لا يخفى على الإنسان أن من يستطيع تعقب الناس في أعمالهم ، ويمتلك القدرة على الإنتقاء ، لا بد له من أن يرينا أكثر من وجه لمعرفته ، وأن يرينا لمحات متنوعة تلقي ضوءاً على ثقافته الواسعة المتنوعة ، وتعين على فهم جوانبها المختلفة ، ومن خلال ذلك كله كانت تمر مجموعة من اللمحات النقدية ، إضافة إلى ما سبق ، تلون الشروح (البديعيات) بها ، وتوضح بعضاً من معالم النقد العامة وطرقه عصرئذٍ .

١ ـ فهناك تتبع للسرقات الشعرية ، خارج نطاق (البديعيات) بالطبع ، فكثيراً ما نجد الشرّاح يقفون عند هذه السرقات كلما سنحت لهم فرصة ، ويشيرون إليها ، ويفضحون أمر فاعلها ، مبرهنين بذلك على سعة اطلاعهم وتنوع معرفتهم ، ومقدرتهم على التمحيص والنقد .

فهذا ابن حجة الحموي يُكثر من الحديث عنها ، وخاصة عن سرقات جمال الدين بن نباتة المصري من علاء الدين الوداعي[1] ، فيقول في معرض

(١) هو : علاء الدين بن المظفر بن إبراهيم الكندي الوداعي ، أبو الحسن ، ويعرف بكاتب وداعة أديب ، شاعر ، مقرىء ، محدث ، نحوي .

حديثه عن براعة الثاني في شعره : « وعلى موائد معانيه ونكته تطفل الشيخ جمال الدين بن نباتة في مواضع كثيرة ، وقد عنّ لي ـ وإن طال الشرح ـ أن أذكر نبذة من ذلك ليتأيد قولي ويعرف رتبة الشيخ علاء الدين من كان بها جاهلاً . . » . ثم يورد مجموعة من الأبيات التي أخذها ابن نباتة منه(١) .

ويستحضر البكرجي رأياً في السرقات الشعرية ، وهو يشرح بديعية مصطفى البكري عندما يجد تقابلاً بين بيت البكري :

وانْشُدْ حُماة الحِمى عُرْباً أَرَى قَدَمِي ... يَسْعَى لَهُمْ لا يُبَالي لَوْ أُراقَ دَمِي

وبيت البستي :

إلى حَتْفِي سَعَى قَدَمِي ... أرى قَدَمِي أَراقَ دَمِي

فيقول : « وأظن أن الناظم ـ حفظه الله تعالى ـ قد توارد مع البستي في الخاطر(٢)، مع أنه لو علمه بالسبق وأخذه عنه فليس بمعيب ، لأن علماء هذا الفن قالوا : إن الألفاظ والقوافي وحدها لا تملك ، كما أن المعاني وحدها لا تملك ، وإنما المعيب هو أن تتحد الألفاظ والقوافي والمعاني حتى الوزن أيضاً » (٣).

ويكرر علي بن دقماق في شرحه ما أشار إليه ابن حجة من سرقة ابن نباتة لأبيات علاء الدين الوداعي أيضاً (٤).

ولد بحلب سنة (٦٤٠ هـ) تقريباً . وتوفي في دمشق سنة (٧١٦ هـ) .
انظر : فوات الوفيات : ٢ / ١٧٣ ـ ١٧٨ ، شذرات الذهب : ٦ / ٣٩ ، البدر الطالع : ١ / ٤٩٨ ، النجوم الزاهرة : ٩ / ٢٣٥ .

(١) انظر خزانة الأدب ، ص : ١٣٧ ـ ١٣٨ .

(٢) لعل مصطفى البكري لم يتوارد مع البستي ، فهو إن صح أنه فاته الاطلاع على بيته ، قد يكون اطلع على بيت ابن حجة الذي أخذه أيضاً من بيت البستي .

(٣) المطلع البدري على بديعية البكري : ٤ / ب ـ ٥ / آ .

(٤) البديعية وشرحها : ١٦ ـ ١٧ .

وأمثلة هذا متوفرة في أثناء الشروح ، يمكن للإنسان أن يجمعها ويستقرئها ، لو شاء ، وفيها ما فيها من دلالة .

٢ ـ وهناك لمحات نقدية ، ومواقف من أنواع البديع ذاتها ، فكثيراً ما يصرح الشارح بجودة هذا النوع أو ذاك ، واستحسانه له ، وإعجابه به ، أو يشير إلى أنه ، ما نظمه إلا سيراً على عادة غيره ، وحرصاً على جمع أنواع البديع لسماجة هذا النوع أو بعده عن الذوق ، ويعلل ذلك أحياناً مظهراً الدافع إلى هذا الموقف ، وفي هذا كله لمحات نقدية لا نقدر على دفعها .

فالصفي الحلي ـ وهو بادىء هذا الفن ـ يقول عن (تشبيه شيئين بشيئين) : « وهو من محاسن التشبيه العزيزة الوقوع »(١) . وكذلك (حسن النسق) هو عنده « من محاسن هذا العلم »(٢) .

ولابن حجة الحموي مواقف متميزة في هذا المجال ، فقد استحسن عدداً من الأنواع ، كما استهجن أنواعاً أخرى ، فمما استهجنه (المراجعة) فقال : « ليس تحتها كبير أمر ، ولو فُوِّض إليّ حكم في البديع ما نظمتها في أسلاك أنواعه »(٣) .

وكذلك (التفويف) ، إذ قال عنه : « تأملته فوجدته نوعاً لم يفد غير إرشاد ناظمه إلى طرق العقادة »(٤) . ومثله كثير(٥) .

والبكرجي أيضاً كانت له آراؤه ومواقفه من أنواع البديع ، فـ (تشابه

---

(١) النتائج الإلهية ، ص : ٤٤ .
(٢) المصدر السابق ، ص : ٦١ .
(٣) خزانة الأدب ، ص : ٩٩ .
(٤) المصدر السابق ، ص : ١١١ .
(٥) وقد جمع ذلك وتحدث عنه بتفصيل واسع محمود رزق سليم في كتابه : « عصر سلاطين المماليك » . انظره : ٦ / ١٧٣ ـ ٢٠١ .

الأطراف) مثلاً « نوع سافل كالمراجعة والتكرار والترديد بالنسبة إلى ما فوقه كالإستخدام والتورية وغيرهما »[1] .

هذه وقفة قصيرة أمام هذه اللمحات المتنوعة التي اجتزأت ببعضها عن كلها ممثلاً لهذه الظاهرة التي تُضم إلى غيرها من الظواهر النقدية فتساعد على توضيح هذا الجانب النقدي الذي كان أثراً من آثار (البديعيات) ونتيجة من نتائجها .

* * *

وبذلك كله ترى أن هذا الفن الطريف لم يقتصر على نظم القصائد وتضمينها الفنون البديعية ، كما أنه لم يقتصر في شروحه على تعريف تلك الأنواع وشرح أبياتها بل أسهم في نشأة حركة نقدية واضحةٍ ، تمثلت في شروح (البديعيات) شكلاً ومضموناً ، كما تمثلت في مجموعة من الكتب النقدية التي انبثقت من هذا الفن .

وقد أشرت بإصبع الاستشهاد إلى مواطن يسيرة من هذا ، لتكون دليلاً للباحث وشاهدَ صدقٍ على ما أذهب إليه ، ومعالم بحث لكل من يود أن يغوص في ذلك ويتعمق به .

* * *

---

(١) حلية العقد البديع ، ص : ٩٨ .

الفصل الثالث
أثر البديعيّات في البلاغة

من البدهي أن يكون لهذا الفن الشعري الطريف أثر في البلاغة ، وهو أحد أفنانها ، وذلك أنه انبثق باديء ذي بدء من فكرة بلاغية محضة ، تبلورت في ذهن منشئها ، ثم شاءت عوامل الزمن أن تلبسها لَبوس الشعر ، وتضمنها مديح النبي ﷺ وتقدمها للناس على هذا النمط الذي عرفناه[1] .

ومن هنا فإن تطور هذا الفن ، واستمراره على هذه المدة المتراخية من القرون إنما يعني شيئاً في حياة البلاغة العربية عامة ،وعلم البديع على الأخص ـ كما تقدم ـ .

وإن كانت (البديعيات) في شروحها خاصة قد ألبست لَبوساً آخرَ موشّى بفنون الأدب ، ومرصعاً بصور البلاغة ولمحات النقد ، فإن هذا لا ينسينا البناء الذي اكتمل فأُلبس ، وتمّ فأعجب ، ولا يبعدنا عن العلاقة الوثيقة التي تربط هذا العلم ـ وما آل إليه ـ بالبلاغة العربية[2] .

فمن هذه النواحي مجتمعة كانت الوقفة مع أثر (البديعيات) في البلاغة

(١) انظر : المدائح النبوية والبديعيات ، ص : ١٠ ، من هذا البحث .
(٢) انظر : البديع والبديعيات ، ص : ٨ ، من هذا البحث .

العربية ، وما تركته من معالم في حياة هذا الفن . ويتمثل ذلك في الأمور التالية :

١ ـ تعميم البلاغة ونشرها بين جمهور الناس .
٢ ـ ترسيخ أسس البديع وتأكيد انفصاله عن قَسِيْمَيْه ـ البيان والمعاني ـ .
٣ ـ العودة بالبديع إلى أحضان المدرسة الأدبية .
٤ ـ استنباط أنواع بديعية جديدة .

* * *

أولاً : تعميم البلاغة ونشرها بين الناس :

لئن كان إكثار الشعراء ، منذ بداية العصر العباسي ، من المحسنات البديعية قد أثار ضجة على فاعليها إلى مرحلة انقسم فيها الناس إلى رافضٍ مستقبحٍ ، ومؤيدٍ مستملحٍ ، مما حمل بعض الأدباء ـ كابن المعتز ـ على التأليف في ذلك ، ومحاولة الاحتجاج له من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وشعر القدماء .

ولئن استمر التأليف في البلاغة العربية منذ ذلك الوقت وحتى زمن الصفي الحلي ، فإن ذلك لم يجعل من البلاغة فناً يُقبِل الناس عليه كل الإقبال ، الخاصة والعامة منهم ، الشعراء وغيرهم ، بل بقيت البلاغة تتربع في برجها ، يقتربون منها أحياناً ، ويبتعدون عنها أحياناً أخرى ، يتوددون إليها ، وينفرون منها ، بحسب ما تمليه الظروف والأذواق .

وبالطبع ، فإن هذا لا يعني أن البلاغة كانت غريبةً عن الناس ، أو ممْجَوجة من قِبلهم ـ أبداً ـ ، ولكن المراد أن قواعد هذا الفن ، واستخدامها ، والإكثار منه هو الذي لم يكن مألوفاً لديهم ، معروفاً عندهم ، حالتهم هذه مع البلاغة وقواعدها كحالتهم مع النحو وقواعده ، فقد ألِفوا الفصاحة وسلامة النطق سليقة كابراً عن كابر ، وسجية من سجاياهم ، ولكن عندما قُدِّمت إليهم

في قوالبها وقواعدها الإلزامية بدأنا نسمع بعض الصيحات تتعالى هنا وهناك منددة بهذا الأسلوب رافضة له ، متأففة منه ، داعية إلى الإفلات منه والبعد عنه ، ومن هذا القبيل قول البحتري :

كَلَّفْتُمونا حُدُودَ مَنْطِقِكُم والشِّعْرُ يُغْنِي عَنْ صِدْقِهِ كَذِبُهْ
والشّعرُ لمحٌ تَكفِي إشارَتُهُ وليْس بالهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطَبُهْ[1]

فحالة العرب مع البلاغة في قواعدها كحالتهم مع النحو وقواعده ، بل لعلها كانت أوضح وأبين ، ولذلك عندما نقول : إن البلاغيين ـ حتى عصر (البديعيات) ـ لم يستطيعوا أن يجعلوا من البلاغة فناً شعبياً ، فإنما نقصد ما وضّحناه ، ونعني إياه ، وإن كان يسوغ لنا أن نقول : إنهم هيأوا الأذهان لسماعها ، وأعدّوا النفوس لتقبلها بتكرارهم العزف على وترها في كتبهم المتتالية ما بين « بيان » الجاحظ ، وبديعية الحلي .

ثم جاءت (البديعيات) بهذا القالب الشعري ، ذي المضمون الديني ، لتطرح نفسها في سوق الأدب ، تحاكي مشاعر الناس وعقولهم ، محملة بأنواع البديع وذلك كان امتحانها الأول والصعب الذي تقرر عليه مصيرها ، إذ لولا اشتهار أول بديعية وسيرورتها على ألسنة الناس لما تجرّأ شاعر على الإقدام عليها ، فإن الناس الذين استكثروا بضع صور بديعية في قصيدة ما ، سيواجَهُون الآن بقصيدة طويلة تحمل ـ إذا اعتدلت ـ صورة بديعية في كل بيتٍ ، إنه امتحان عسير .

وجاءت النتيجة ، وتلقى الناس (البديعيات) بقبول حسن ، واحتضنوها ، ورحّبوا بها بين ظهرانيهم ، وتسابق الشعراء في حلبتها ، وأقبل الشرّاح على مواردها ، وجنى الجميع من ثمارها .

---

(١) انظر ديوانه : ١ / ٢٠٩ .

لقد تقبل الناس هذا الفن بهذا الكِساء ، وأكبروا همةَ صانعيه ومقدرتهم ، وبدأت مناكب فحول الشعراء تتزاحم عند مناهله ، وأصبح نظم بديعية غاية الغايات وشارة يحملها كل مُعْلَم من فرسان الشعر ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ، وحسبك هذا الحشد من (البديعيات) ، وذلك الجمع من الشروح الذي تلقّاه الناس متتالياً عبر سبعة قرون من عمر هذه الأمة ، مترامياً على رقعة واسعة من أرضها .

ولو بحثنا عن السبب ، ودلالة هذا كله ، لوجدناه كامناً في تقبل الناس لهذا الفن ، وإقبالهم عليه ، ورضاهم عن فاعليه ، فالشاعر إنما يريد من الناس آذانهم وقلوبهم ، يدغدغ أسماعهم ويحرك عواطفهم ويمتلك قلوبهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وهو حريص عليه كل الحرص ، وإنما يعمد في شعره إلى ما يظنه مقتدراً على ذلك مشتملاً عليه ، وكانت (البديعيات) خير ما يتقدم به شاعر إلى جمهوره .

وأُولُو الأمر إنما يحضون على أمرٍ ويحرصون عليه لأنهم يرون في ذلك مصلحة لهم ، وخيرُهُ ما يحمل في ثناياه زلفى لدى الناس ، وعندما يطلبون من الشعراء نظم بديعية ، ويعلَن عن ذلك من قبل الشعراء ، فإنه يدل أيضاً على مكانة هذا الفن في نفوس الناس وتأثيره فيهم .

وهكذا غدت (البديعيات) شعبية ، ذات جمهور متنوع المكانة والدرجة ، ولا شك أنها ـ بحال أو بأخرى ـ ستحمل معها إلى قلوب هذا الجمهور ما حملته من فنون البديع ، وسيَعْلَق منها ما شاء الله له أن يعلق في تلك النفوس ، وكان لهذا أثر متتابع مطرد على تقبُّل كل جديد من هذا الفن ، لما يحمله من وشائج وصلات بقلوب الناس ، ولعل في هذا بعض إشارة إلى سيطرة طابع الصنعة البديعية على الحياة الأدبية ، والعامة في ذلك الوقت ، ولعلك تعكس هذا فتقول : إن الذوق العام الجانح نحو الصنعة والزخرفة تقبل هذه الصنعة المتمثلة

في هذا الفن ، وأنا أرى ـ حتى في هذه الناحية ـ نوعاً من علاقة التأثير والتأثر المتبادلة ، ويبقى مع ذلك للبديعيات صُبَابة فضل .

ولعل أهم سبب في ذلك كله ، ساعد عليه ، يكمن في حسن المخرج الذي خرجت منه (البديعيات) ، وجودة النهج الذي سلكته ، ذلك الذي تمثل في الشعر ومعارضة أشهر قصيدة عرفها الناس وترنموا بها ، ودغدغت عواطفهم ، وعانقت ضمائرهم ، فحفظوها وطربوا لسماعها ، وأنشدوها حتى في حلقات ذكرهم ، وجعلوا أبياتها تعاويذ وأدوية ، إنها « برأة » البوصيري . كما تمثل في المديح النبوي الذي كان مسيطراً على الساحة الأدبية والشعرية في تلك الفترة .

ولئن وُفّق الصفي الحلي إلى شيء في نظم أول بديعية ، إضافة إلى محاسنه الأخرى ـ فإنه وفق إلى إخراجها هذا المخرج ، والسلوك بها طريق المديح النبوي مما جعل الناس يُقبلون عليها متمثلين مرددين ، ـ على عقادة بعضها أحياناً ـ ويعجبون بها ، ويطربون لسماعها ، وربما أخذها العامة لبَرَكة ممدوحها ، وتبارى الشعراء في جودة نظمها وغزارة مضمونها ، فالتقى الناس مع البلاغة ، والشعراء مع الناس ، في موكب (البديعيات) .

وبذلك استطاعت (البديعيات) أن تربط جمهور الناس بالبلاغة وفن البديع خاصة ، وأن تعمم البلاغة عليهم ، وحسبك بهذا مزية ، وبما قلناه برهاناً .

* * *

ثانياً : ترسيخ أسس البديع وتأكيد انفصاله عن البيان والمعاني :

لعله من نافلة القول أن أذكر ما كان من أمر نشأة البلاغة العربية ، واتحاد أقسامها التي نعرفها الآن (البيان والمعاني والبديع) .

فقد بدأت البلاغة « وهي تعني الأدب ، يؤكد ذلك أقوال كثيرة وصلت إلينا من العصر الجاهلي وما تلاه من عصور قبل عصر الجاحظ . . . . ثم أخذنا نسمع بعد ذلك ما يشير إلى أن البلاغة هي جملة من المقاييس الفنية ، يعرف بها سمو النص وجماله ، أو تخلفه عن مرتبته ، منذ أن وضع الجاحظ بذورها في « البيان والتبيين » إلى أن اتضحت عند ابن المعتز بعده . . . . أما التعريف الأخير الذي يشير إلى أن البلاغة تعني علومها الثلاثة ، فيمثل مرحلة من مراحل البلاغة العربية ، هي مرحلة خريفها ، وجفافها وتحولها إلى قواعد محددة وضوابط حتمية صارمة »[1] .

ومن المعروف أن أول من جمع من البلاغة فنوناً ، وعمل في ذلك كتاباً ، هو ابن المعتز في كتابه « البديع » ، الذي لم يكن فن البديع هو المقصود منه بحدّ ذاته على الرغم من توشّحه باسمه ، ويشهد على ذلك مضمونه .

ثم ما جاء من كتب احتضنت بين صفحاتها مجموعةً من فنون البلاغة ، لم تكن تلك الكتب لتشير إلى انقسام البلاغة إلى هذا الثلاثي المعهود من علومها ، إنما كانت الفنون فيها ممتزجة وأطرافها متحدة ، واستمرت البلاغة على هذه الحال من الاتحاد والتماسك فترة غير يسيرة .

وكانت بدايات التفرقة والتقسيم بين صفوف البلاغة ، وظهر ذلك واضحاً جلياً في « مفتاح » السكّاكي الذي شطر علوم البلاغة إلى شطرين وفصلها إلى علمين : المعاني والبيان ، فكان « أول من أطلق اسم (علم المعاني) على المباحث التي بحثها فيه ، وإن كان قد اقتبس ذلك الاسم من تعريف النظم وشرح الغرض منه عند عبد القاهر ، وأول من أطلق على مباحث : التشبيه ، والمجاز ، والكناية اسم (علم البيان) ، بل هو أول من فرق بين مباحث هذين

---

(١) مع البلاغة العربية في تاريخها (د . سلطاني) ، ص : ١٦ ـ ١٧ .

العلمين على هذا الوجه من الضبط والتحديد »[1] ، وإن كان السكاكي قد ذكر في « مفتاحه » عدداً من أنواع البديع التي عدها وجوهاً مخصوصة يصار إليها لقصد تحسين[2] الكلام ، « وجعل البديع ـ وإن لم يسمه بذلك الاسم ـ متضافراً مع مباحث العِلمين في الوصول بالكلام إلى أعلى مراتب التحسين ، وكان صنيعه هذا لبادىء النظر مؤذناً باستقلال مباحث البديع عن علمي البلاغة بعد طول اختلاط »[3] .

وجاء الخطيب القزويني بـ« تلخيصه » ليجعل من البديع قَسِيماً للبيان والمعاني ، ونِدّاً لهما يزاحمهما في مجالات الأدب ، ويتعاضد معهما لتنميق العبارة وجمال التركيب ، فجعل « أصباغ البديع علماً مستقلاً عن أخويه اللذين طالما خالطهما جميعاً أو جمهور مسائلهما منذ عهد التأليف فيه إلى عصر الخطيب »[4] ، وعرّف هذا الفن بقوله : « هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة »[5] ، وجمع من أنواع هذا الفن اللفظية والمعنوية سبعةً وثلاثين نوعاً .

ففي القرن السابع إذاً تمّ انفصال البديع واستقلاله عن المعاني والبيان وهذا يعني أن معرفته ـ منفصلاً ـ كان حديثة عهد في أسماع الناس حين ظهرت أول بديعية إلى الوجود ورأت النور على يدي الصفي الحلي .

فكان ظهور (البديعيات) ، واشتمالها على فنون البديع[6] عامة دلالة

---

(١) الصبغ البديعي ، ص : ٢٥٠ .
(٢) مفتاح العلوم (السكاكي) ، ص : ١٧٩ ، وما بعدها .
(٣) الصبغ البديعي ، ص : ٣٠١ـ٣٠٢ .
(٤) المصدر السابق ، ص : ٣٠٤ .
(٥) التلخيص ، ص : ٣٤٧ .
(٦) مع العلم أنهم جعلوا ضمن أنواع البديع بعضاً مما نحسبه نحن في البيان من مثل : التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والمجاز . .

مميزة وواضحة في تأكيد انفصال هذا الفن عن البيان والمعاني ، وإشاعة هذا الانفصال بين الناس عن طريقها .

ومما أكد هذه الظاهرة الانفصالية لهذا الفن ترسيخ قواعده ، وتوضيح أنواعه وتحديدها من خلال الشروح التي قامت على هذه (البديعيات) واقتصارها على فنون البديع التي تأتي في أثناء البديعية أو ما يلمح منها ، والإشارة أحياناً إلى حياة هذا الفن منذ نشأته وبذوره في (بديع) ابن المعتز إلى زمن (البديعيات) ، من خلال المقدمات التي كانوا يقدّمون بها لشروحهم ، كما فعل الصفي الحلي أول ناظم للبديعيات ، وتابَعَه على ذلك نفر كبير من الشراح .

ففي ظهور (البديعيات) إذاً ، وانتشارها بين الناس ، وانسياحها على رقعة كبيرة من أرض الدولة العربية الإسلامية وبين الخاصة والعامة ، وفي الشروح الكبيرة والصغيرة التي قامت على تلك (البديعيات) أكبر مساعد ومعين على استقلال فن البديع بنفسه ، وتوضيح معالمه ، وتقيد فنونه وتحديدها ، ونشر ذلك كله بين الناس وجمهور المتعلمين .

* * *

ثالثاً : العودة بالبديع إلى المدرسة الأدبية :

يقول الدكتور أحمد مطلوب : « ومع أن كتب البلاغة العربية يكاد يأخذ بعضها من بعض ، وتكاد مناهج بحثها تتفق إلى حدٍّ ما ، نرى اتجاهين واضحين في طريقة بحثها ، فمن البلاغيين من سيطرت على كتبهم النزعة الأدبية ، ومنهم من سيطرت على كتبهم النزعة الفلسفية والعقلية ، وكان نتيجة ذلك أن ظهرت مدرستان بلاغيتان هما : المدرسة الأدبية ، والمدرسة الكلامية ، أو كما يسميها السيوطي : طريقة العرب والبلغاء ، وطريقة العجم وأهل

الفلسفة ، وكان لكل من هاتين المدرستين أو الطريقتين خصائصها ومميزاتها ورجالها الأعلام »[١] .

ولسنا هنا بصدد التعرض لنشأة كل واحدة من هاتين المدرستين وذكر أعلامها وزمنها وخصائصها ، وتكفي الإشارة إلى أن المدرسة الأدبية[٢] لم تهتم بالتحديد والتقسيم للأنواع اهتماماً كبيراً ، ولم تعتمد في بحثها على المنطق ومسائل الفلسفة ، بل كانت تستعمل المقاييس الفنية في الحكم على الأدب ، مع سهولة في العبارة ، وسلاسة في التركيب ، ووضوح في الدلالة ، إضافة إلى الإكثار من الشواهد الشعرية والنثرية .

أما المدرسة الكلامية[٣] فكان للفلسفة والمنطق أثر كبير فيها ، وكان اعتمادها واهتمامها على التحديد والتقسيم المنطقي للأنواع ، مع اتكاء على أسلوب المناطقة في التعبير والجري وراء التعريفات الجامعة المانعة ، والإقلال من الشواهد ، وعدم التعب في البحث عن الشاهد الحسن المقبول ، بل يكفي أن يكون الشاهد دالاً ، وإن كان خالياً من أي قيمة جمالية ، ليكون محطاً للاستشهاد عندهم .

وبين هذه المدرسة وتلك ترعرعت البلاغة العربية ، وتوضحت على صفحات كتبها حتى عصر (البديعيات) .

وإن كان ابن المعتز ، صاحب أول كتاب في (البديع) ، يُعد من أصحاب المدرسة الأدبية ، بل من مؤسسيها ، بسلوكه طريقها في كتابه ، واستمرار بعض المؤلفين في البلاغة على نهجه ، إلا أن هذه المدرسة اضمحل أثرها ، وضاق انتشارها ، وضعفت أمام مزاحمة المدرسة الكلامية لها مع بدايات

---

(١) دراسات بلاغية ونقدية ، ص : ١٣ ـ ١٤ .
(٢) انظر ما جاء في المصدر السابق عن المدرسة الأدبية ، ص : ١٨ ـ ٢٣ .
(٣) انظر ما جاء في المصدر السابق عن المدرسة الكلامية ، ص : ١٥ ـ ١٨ .

القرن الهجري السادس ، حتى تأكد تفوق المدرسة الكلامية بظهور السكاكي و « مفتاحه » الذي اعتمد في تأليفه على التحديد المنطقي ، والاستنباط العقلي ، والتعريفات الفلسفية ، هذه الطريقة التي لاقت قبولاً ورواجاً في تلك الفترة وما أعقبها ، فكان السكاكي « أول الجناة المسرفين على علم البلاغة بإخضاعه للعلوم العقلية ،فأضاع بهجته ، وأخلق ديباجته »[1] .

وفي غمرة تنازع البلاغة بين مدرستي الأدب والمنطق ، واحتضان هذه لها فترة ، واستضافة تلك فترة أخرى ، ظهرت (البديعيات) بثوبها الشعري ، مزينة بشروحها ، زاهية بمضمونها ، متلألئة بين صفحات تلك الشروح التي عمدت إلى رياض الأدب لتجني أطيب ثمارها ، وتجمع أجمل زهورها ، وتقطف من ورودها ما يبهج النفس وتقر به العين ، بل لقد لاحظنا أن الشرّاح أسرفوا في ذلك إسرافاً كبيراً إلى درجة كادت تضيع معها معالم البديعية ، وينسى الغرض الذي قامت عليه تلك الشروح ، وهو توضيح الأنواع البديعية وتحديدها ضمن القصيدة .

فالإكثار من الشواهد ـ منظومها ومنثورها ـ والبحث عن كل ما يستجاد ويُستلمح من تلك الشواهد ، والبحث عن مواطن الجمال فيها ، إنما هو من خصائص المدرسة الأدبية ، مع تعريف النوع بأقصر عبارة وأوضح أسلوب ، وبهذا تكون (البديعيات) قد انتقلت بالبديع إلى رياض الأدب وأحضان المدرسة الأدبية ، وخلصته من قيود الفلسفة والمنطق والأحكام العقلية الجافة التي سيطرت عليه وعلى البلاغة عامة عشرات السنين .

وحسبك ما في شروح (البديعيات) ـ والمطول منها خاصة ـ من شواهد وأمثلة تقيد هذا الرأي بسلاسل الصدق والتأكيد .

* * *

---

(١) الصيغ البديعي ، ص : ٢٥٣ .

رابعاً : استنباط أنواع بديعية جديدة :

لقد فتح ابن المعتز باب استخراج أنواع جديدة من البلاغة واستنباطها على مر الأيام عندما أباح ذلك ونبّه عليه بقوله : « ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر ، ومحاسنها كثيرة لا ينبغي للعالم أن يدّعي الإحاطة بها حتى يتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه وذكره ، وأحببنا لذلك أن تكثر فوائد كتابنا للمتأدبين ويعلم الناظر أنّا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختياراً من غير جهل بمحاسن الكلام ولا ضيق في المعرفة ، فمن أحب أن يقتدي بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل ، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع ولم يأت غير رأينا ، فله اختياره »(١) .

وبالفعل فقد حدث ذلك ، ولم يقتد به أحد بالوقوف عند ما ذكره من أنواع في كتابه ، وبدأ العلماء يبحثون عن أنواع جديدة ، ويجرون وراء استنباطها وتسجيلها والفوز بقصبات السبق في ذلك ، فهذا الصفي الحلي يبدأ شرح بديعيته بمقدمة رصد فيها نشأة علم البديع وكل مَن أضاف إليه جديداً على مر الأيام ، فبعد أن أورد ما نقلناه من كلام ابن المعتز قبل قليل ، أشار إلى تطور فنون البديع فقال : « وكان جملة ما جمع منها سبعة عشر نوعاً ، وعاصره قدامة بن جعفر الكاتب ، فجمع منها عشرين نوعاً ، توارد معه على سبعة ، وسلم له ثلاثة عشر ، فتكامل لهما ثلاثون نوعاً .

ثم اقتدى بهما الناس في التأليف ، فكان غاية ما جمع منها أبو هلال العسكري سبعة وثلاثين نوعاً ، ثم جمع منها ابن رشيق القيرواني مثلها ، وأضاف إليها خمسة وستين باباً في فضائل الشعر وصفاته وأعراضه وعيوبه وسرقاته مما لا تعلّق له بالبديع من أنساب الشعراء وأحوالهم ، وتلاهما شرف الدين التيفاشي فبلغ بها السبعين ثم تصدى لها الشيخ زكي الدين بن أبي

---

(١) البديع ، ص : ٥٨ .

الأصبع فأوصلها إلى التسعين ، وأضاف إليها من مستخرجاته ثلاثين سلم له منها عشرون ، وباقيها مسبوق إليه أو متداخل عليه ، وكتابه المسمى « بالتحرير » أصح كتاب صنّف في هذا العلم ، لأنه لم يتّكل على النقل دون النقد . . . . وليس من الباقين إلا من غيّر بعض القواعد ، وبدّل أكثر الأسماء والشواهد . . »[1] .

فأنت ترى معي ، ومن خلال هذه المقدمة للصفي الحلي ، أن باب الاستنباط كان مولوجاً ، وأن العلماء كانوا يرصدون ذلك كله ، متابعين له ، ذاكرين كل جديد منسوباً إلى صاحبه .

وقد كان هذا ديدن أصحاب (البديعيات) أيضاً ، وحلبتهم التي إليها يقصدون ، وفيها يتسابقون ، مع العلم أن فاتح بابها ـ الصفي الحلي ـ أحجم عن ذكر أي نوع جديد استنبطه في بديعيته خوفاً من ألسنة الحاسدين ، وأشار إلى ذلك بقوله ، في معرض حديثه عن مضمون بديعيته : « ثم أخليتها من الأنواع التي اخترعتها ، واقتصرت على نظم الجملة التي جمعتها ، لأسلم من شقاق جاهل حاسد أو عالم معاند ، فمن شاقق راجعته إلى النقل ، ومن وافق وكلته إلى شاهد العقل »[2] ، ومع ذلك فإن من تابعه في صنيعه لم يتقيد بما التزم به الصفي ، بل على النقيض من ذلك ، فقد عدّوا استخراج الأنواع مشاعاً لكل أحد ، وتجرأ القوي والضعيف على هذه الحلبة ، وبدأ باستنباط ما يظن معه أنه أضاف جديداً ، واقتنص طريداً شريداً ، إلى درجة أصبحت ترى معها بين أنواع البديع الغث والسمين وما لا يعقل أنه محسّن لفظي أو زخرف جمالي ، ولم يتورعوا كثيراً عن ذلك ، وزاحم البُغاث النسور الشواهين .

---

(١) شرح بديعية الصفي له (النتائج الإلهية) ، ص : ٢ ، وانظر مثل ذلك في مقدمة « حلية العقد البديع » للبكرجي ، و« طالع السعد الرفيع » لعبدالحميد قدس .
(٢) المصدر السابق ، ص : ٣ .

ولو عدنا إلى تلك الأنواع المضافة بالمقارنة والبحث ، بدءاً بالصفي الحلي حتى آخر بديعية[1] ، لوجدنا هذا الجديد يندرج تحت زمرتين :

آ ـ أنواع جديدة .

ب ـ أنواع تفرّعت عن أنواع معروفة .

وقبل الحديث عن هذه الأنواع الجديدة ، لا بد من الإشارة إلى أن ابن جابر الأندلسي ، وشعبان الآثاري ، وطاهر الجزائري ، وغلام علي آزاد ، قد استُثْنوا من هذه المقارنة .

أما بديعية طاهر الجزائري فلأنه صرح بأن بديعيته لا تذكر من أنوع البديع إلا ما اشتمل عليه كتاب « التلخيص » للخطيب القزويني ، وهو القائل :

« سنح لي أن أنظم قصيدة في مدح من تُمدَح به القصائد ، عسى أن أكون ببركته لطير اليمن والسعد صائد[2] ، مشتملاً كل بيت منها على نوع من أنواع البديع ، مقتصراً على ما ذكر في « التلخيص » لاقتصاره هو على الغالي الرفيع[3] ، وبذلك يكون قد قيد نفسه ، وكبح من إمكانية الاختراع والاستنباط عنده ، وهذا يبعده عن مجال بحثنا ، وإن كان قد خالف مبدأه وأضاف بعض

---

(١) البديعيات التي شملها البحث والمقارنة هي التي وقفت على نصها الكامل مشروحة أو غير مشروحة ، أما البديعيات التي ذُكرت في أثناء الشروح عرضاً فلم أدخلها في هذا المضمار لاحتمال أن يكون الشارح قد أسقط منها ما لم ينظم على مثاله . وهذه البديعيات هي : بديعية : الحلي ، والموصلي ، وابن حجة ، وابن المقرىء ، والسيوطي ، والباعونية ، وابن دقماق ، والحميدي ، والعُرضي ، وابن معصوم ، والنابلسي ، وإبراهيم خيكي ، ومصطفى البكري ، والبكرجي ، والصايغ ، والبربير ، والصلاحي ، والبهنوي ، واليازجي ، ومحمد رضوان ، والساعاتي ، والفاخوري ، والأدهمي ، وعبدالحميد قدس ، ونسيب حمزة ، وقصاب حسن ، وعمادالدين الخزرجي .

(٢) كذا الأصل ، ولعله أراد إحكام السجعة . والصواب « صائداً » .

(٣) بديع التلخيص وتلخيص البديع ، ص : ٢ .

الأنواع المعروفة مما ليس في « التلخيص » (كالتهكم) ، و (التدبيج) ، و (التلميح) .

وأما بديعية غلام علي آزاد : فلكونها في البديع الهندي وأنواعه ، مع العلم أن بعض أصحاب (البديعيات) بعده كانوا يتسوّرون بديعيته ويقتنصون بعض أنواعه ويدخلونها تحت لوائهم ، وسأشير إلى ذلك في مواقعه ـ إن شاء الله ـ .

فلهذا آثرت تنحية بديعيته جانباً ، فهي تنتمي إلى أدب آخر ، واسمعه إن شئت وهو يقرر هذه الحقيقة بقوله : « وهؤلاء الجماعة كلهم عرب عرباء وأئمة أجلاء ، وأنا سلكت منهج تقليدهم وسللت الهند بتأييدهم ، وربما يفعل الضعيف فعل الأقوياء . . »[1] . ثم شرع بتقرير أنواع البديع الهندي المئة وواحد كما وعد في بديعيته ذات البيت الواحد بعد المئة .

وأما ابن جابر وشعبان الآثاري فلهما حديث خاص .

بديعية ابن جابر (الحلة السِّيَرا في مدح خير الورى) :

وتُخَص بديعية ابن جابر بحديث لغير ما مِيزة امتازت بها عن أقرانها ، فقد تفرّدت بحصر الأنواع البديعية المحضة دون إشراك أنواع من البيان كما جاء في غيرها ، إضافة إلى أن ابن جابر قسّم الأنواع في أبياته إلى قسمين : لفظية ومعنوية ، وهو بذلك يكون يد سار على نهج مَهَّدَهُ الخطيب القزويني في « تلخيصه » وإن كان ابن جابر قد خالفه وذكر الأنواع التي تتعلق باللفظ قبل التي تتعلق بالمعنى . وقد جمع ابن جابر في بديعيته (٤٣) ثلاثة وأربعين نوعاً دون تفريع سوى الجناس ، فقد ذكر له ثمانية أنواع ، وبذلك تبلغ الأنواع ، عنده

---

(١) سبحة المرجان ، ص : ٢٢٠ .

واحداً وخمسين نوعاً ذكرها في (١٥١) بيتاً .

وقد تجزأت أنواع الجناس عنده فبلغت (٦٠) نوعاً ذكرها في (٣٤) بيتاً ، وقد شمل التفريع كذلك معظم الأنواع عنده ، وإليك بيان ذلك :

آ - في القسم اللفظي :	الأنواع	الأبيات التي ذكرت فيها
١ - رد العجز على الصدر	٨	٨
٢ - التوازن	٢	٢
٣ - السجع	٤	٥
٤ - لزوم ما لا يلزم	١	١
٥ - حسن المخلص	١	٢
٦ - التشريع	١	٢
٧ - الاقتباس	٣	٣
٨ - العقد	٤	٤
٩ - التلميح	٥	٥
١٠ - التضمين	٧	٧
المجموع	٣٦	٣٩
ب - في القسم المتعلق بالمعنى :		
١١ - المطابقة	٩	٩
١٢ - مراعاة النظير	٥	٦
١٣ - الإرصاد = التوشيح	١	١
١٤ - المشاكلة	١	١
١٥ - الاستطراد	٣	٣
١٦ - الازدواج	١	١

تابع الجدول

	الأنواع	الأبيات التي ذكرت فيها
١٧ ـ الرجوع	١	١
١٨ ـ العكس = التبديل	٥	٥
١٩ ـ التورية = التخييل	٩	٩
٢٠ ـ الاستخدام	٢	٢
٢١ ـ اللف والنشر	٣	٥
٢٢ ـ الجمع	١	١
٢٣ ـ التفريق	١	١
٢٤ ـ التقسيم	٣	٣
٢٥ ـ الجمع والتفريق	١	١
٢٦ ـ الجمع والتقسيم	١	١
٢٧ ـ الجمع والتقسيم والتفريق	١	١
٢٨ ـ التجريد	٢	٢
٢٩ ـ المبالغة	٥	٥
٣٠ ـ المذهب الكلامي	١	١
٣١ ـ حسن التعليل	٤	٤
٣٢ ـ التفريع	١	١
٣٣ ـ تأكيد المدح بما يشبه الذم	٣	٣
٣٤ ـ تأكيد الذم بما يشبه المدح	٣	٣
٣٥ ـ الاستتباع	١	١
٣٦ ـ الإدماج	١	١
٣٧ ـ التوجيه	١	١

تابع الجدول

	الأنواع	الأبيات التي ذكرت فيها
٣٨ ـ إجراء القول مجرى الجد	١	١
٣٩ ـ تجاهل العارف	١	١
٤٠ ـ القول بالموجب	٢	٢
٤١ ـ الاطراد	١	١

هذه هي الأنواع التي ذكرها ابن جابر في بديعيته ، مضافاً إليها حسن المطلع وحسن الختام ، وأنواع التجنيس .

ثم أضاف في نهاية البديعية (٢٦) بيتاً قدّم لها بقوله : « وهذا آخر القسم الثاني من ألقاب البديع ، وما بعد ذلك من الأبيات فهي تتمة القصيدة ، مع أنه لم يخل بيت مما نذكره عن لقب من ألقاب البديع المتقدمة »[1] .

وبذلك كله ترى أن هذه البديعية تتميز عن سواها بمجموعة من الأمور :

١ ـ الاقتصار على الأنواع البديعية المحضة .

٢ ـ الفصل بين أنواعه اللفظية والمعنوية[2] .

٣ ـ تقسيم النواع الواحد إلى أجزاء ، في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ (البديعيات) .

٤ ـ تتميم البديعية بمجموعة من الأبيات غايتها اكتمال المعنى وإن لم تكن تحمل في أثنائها أنواعاً بديعية جديدة .

---

(١) الحلة السِّيَرا في مدح خير الورى : ٣١ / ب .

(٢) ربما كانت غايته السير على نهج « التلخيص »، وقد شاركه في هذا فيما بعد شعبان الآثاري في بديعيته الصغرى مع إضافة قسم ثالث سماه : « أنواع البديع الراجعة إلى اللفظ والمعنى وهي وظيفة الفصاحة والبلاغة »، كما سبقت الإشارة إلى صنيع طاهر الجزائري في بديعيته .

فبالنظر إلى البديعية وما امتازت به ، يكون من الممكن المستحب ، أن تفرد عن غيرها لتظهر مزاياها وخصائصها ، فهي بالقياس إلى غيرها من (البديعيات) قد أخلت بالكثير من الأنواع ، إذا لم يُقدّر القصد والغاية منها والذي يقتصر على أنواع البديع فقط .

بديعيات الآثاري :

ويقف شعبان الآثاري بين شعراء (البديعيات) عَلَماً شامخاً متميزاً عمن سواه متفرداً بالطوال من (البديعيات) التي لم يبلغها أحد من قبله ولا بعده ـ فيما أعلم ـ.

فهو لم يكتفِ بنظم بديعية واحدة كأغلبْ أصحاب (البديعيات)، ولم يرض لنفسه أن يساويهم في العمل شكلاً ومضموناً ، إنما نظم ثلاث (بديعيات)، الصغرى منها تقع في (١٦٩) بيتاً ، والوسطى أبياتها (٣٠٨)، والكبرى أبياتها (٤٠٠)[1] بيت . وبذلك يكون مجموع ما نظم في البديعيات (٨٧٧) بيتاً . وهذه البديعيات الثلاث ، بما حملته من أنواع قديمة ومستخرجة ومجزأة ، لا تخلو من إشكال والتباس كثير ، للأسباب التالية :

آ ـ أنها غير مشروحة ، وبذلك يصعب على الباحث التمييز بدقة بين أنواعها ومعرفتها ، وتمييز القديم من الجديد المستخرج ، من المجزّأ المفرّع .

ب ـ أنه لم يلتزم التورية باسم النوع البديعي إلا في بديعيته الكبرى ، وهذا يورث شيئاً من القلق ، وإن كان ناشر بديعياته أشار إلى الأنواع البديعية بجانب أبيات البديعيتين الصغرى والوسطى .

---

(١) كذا عددها في المطبوع ، وفي نسخة الظاهرية منها بلغ عدد أبياتها (٤٠٩) أبيات ، مع انه اشار في مقدمتها إلى أنه نظمها في (٤٠٠) بيت . انظر مقدمة « العقد البديع في مديح الشفيع ».

جـ ـ أن بديعيته الكبرى التي التزم فيها التسمية قد حوت عدداً من الأبيات التي لا تشير إلى اسم نوع بديعي معروف ، ولذلك فإننا أمام احتمالين :

الأول : أن يكون فعلاً قد سمّى النوع في البيت ، إلا أنه جديد من مخترعاته فغاب عنا ذلك ، ولن نستطيع الوصول إليه لأن البيت قد يحمل في أثنائه أنواعاً بديعية إضافة إلى النوع المقصود فيه .

والثاني : أن يكون قد فرّع نوعاً وجزأه ، واكتفى بتسمية النوع في البيت الأول وجاءت الأبيات التالية شواهد على تفرعاته ، صنيع ابن جابر مثلاً ، وهذا أيضا يصعب علينا تمييزه بدقة ، للاحتمال السابق الذكر ، كما أنه يعني أن هذه البديعية تحتوي على (٤٠٠) نوع بديعي على الأقل ، لوجود نوع في كل بيت ، وأنّى لي أن أستطيع تمييز ذلك كله ، مع العلم أنه صرح في مقدمة بديعيته الصغرى ـ وهي آخر ما نظمه من البديعيات ـ أنه التزم فيها ـ كما قال ـ « تجريد ألقاب الأنواع التي ضمنتها في البديعية الكبرى ، مع اشتمالها على ما فيها وفي الوسطى من جمع الأولى والأحرى رجاء الإيضاح والإيجاز لطالب الأُخرى »[١] .

وكانت عدة الأنواع في هذه الصغرى ، مع الجناس مئتي نوع .

هذه الصورة الغائمة نوعاً ما لبديعيات شعبان الآثاري حملتني على ما فعلته بها من إفراد ، إضافة إلى ذكر الأنواع الجديدة التي استطعت تمييزها فيها ـ ما وسعني ذلك ـ بحيث يمكننا بعد ذلك أن نذكرها عند كل جديد جاء بعده لنعلم مقدار جهده وعمله بالقياس إلى غيره .

وأول ما تميزت به الأنواع البديعية في بديعيات شعبان هو الإكثار من أنواع

---

(١) بديعيات الآثاري ، ص : ١٨ .

الجناس التي بلغت نحواً من سبعين نوعاً ، بينما لم يذكر الصفي الحلي سوى اثني عشر نوعاً .

وصنيع الآثاري في الأنواع الجديدة عنده لا يعني أنه اخترعها ، كما لا يعني هذا بالنسبة إلى جميع من سنعرض لبديعياتهم بالمقارنة ، فليس القصد تتبع التأليف البديعي تماماً عند كل واحد منهم، لأن هذا يحتاج إلى بحث خاص وتتبع دقيق لتعريفات أنواع البديع عند كل من تعرض لها بذكر ليستطيع الباحث بعد ذلك أن يميز بين المسبوق والمخترع[1] ، ومثل هذا يضيق عنه هذا المقام والمقصود أن نرصد ما أضيف من أنواع وذكر في أثناء (البديعيات)، وكيف كان يرد ذلك ، ومن أكثر أو قصّر .

ونعود الآن إلى الجديد من الأنواع في بديعيات الآثاري والتي انقسمت بدورها إلى قسمين ، وانضوت تحت زمرتين :

آ ـ أنواع مجزأة .

ب ـ أنواع مفردة .

وإليك بيانها بالتفصيل :

أولا : الأنواع المجزأة :	
ـ من المبالغة	١ ـ التبليغ .
ـ من الإشارة	٢ ـ الإشارة اللفظية .
	٣ ـ الإشارة المعنوية .
ـ من التصدير	٤ ـ التكرار المعنوي .
ـ من الإيداع	٥ ـ إيداع المشهور
	٦ ـ إيداع المستور .

(١) لقد ألزم نفسه مثل هذا العمل أحمد إبراهيم موسى في كتابه « الصبغ البديعي » الذي قصره على مراقبة تطور الأنواع البديعية ، ولكنه قصر فيه كثيراً .

- من التجريد	٧ - تجريد التناسب . ٨ - تجريد الخطاب .
- من اللف والنشر	٩ - اللف والنشر المرتب . ١٠ - اللف والنشر المشوش . ١١ - اللف والنشر المجمل .
- من الطباق	١٢ - المطابقة المؤتلفة . ١٣ - المطابقة المختلفة . ١٤ - المطابقة المعنوية .
- من الغلو	١٥ - الغلو المستحيل . ١٦ - الغلو المعنوي . ١٧ - الغلو اللفظي .
- من التوزيع	١٨ - التوزيع المختلف . ١٩ - التوزيع المتفق . ٢٠ - التوزيع المعنوي .
- من التوازن	٢١ - التوازن المماثل . ٢٢ - التوازن المجرد . ٢٣ - التوازن المعنوي . ٢٤ - توازن الأفاعيل .
- ومن التوزيع(١) ، والحذف(٢)	٢٥ - الموصول .

---

(١) عرّف الصفي الحلي التوزيع بقوله : « هو أن يوزع الشاعر أو المتكلم حرفا من حروف الهجاء في كل لفظة من كلامه بشرط عدم التكلف ».

(٢) وعرف الحذف بقوله : « عبارة عن أن يحذف المتكلم حرفا أو حروفا من كلامه من حروف الهجاء ، أو جميع الحروف المعجمة ، أو جميع المهملة بشرط عدم التكلف ». وسيأتي فيما بعد تعريف هذه الأنواع المشتقة منها .

	٢٦ ـ المقطع
	٢٧ ـ الرقطاء .
	٢٨ ـ الأخيف .
	٢٩ ـ المعجم .
	٣٠ ـ المهمل .
ـ ومن التشبيه	٣١ ـ التشبية المفرد .
	٣٢ ـ التشبيه المثنى .
	٣٣ ـ التشبيه المثلث .
	٣٤ ـ التشبيه المربع .
ـ ومن التورية	٣٥ ـ التشبيه المخمس .
	٣٦ ـ التورية المجردة .
	٣٧ ـ التورية المهيأة .
	٣٨ ـ التورية المبينة .
	٣٩ ـ التورية المرشحة .
	٤٠ ـ إيهام التورية .
	٤١ ـ التخييل .
ـ ومن الاستعانة	٤٢ ـ استعانة المشهور .
	٤٣ ـ استعانة المستور .
ـ ومن الرد	٤٤ ـ الرد المتفق .
	٤٥ ـ الرد المختلف .
ـ ومن الرتيب	٤٦ ـ الرتيب اللفظي .
	٤٧ ـ الرتيب المعنوي .

ثانيا : الأنواع المفردة :

١ ـ إيهام التناسب .	٢٣ ـ الشماتة .
٢ ـ النسج .	٢٤ ـ العنعنة .
٣ ـ المتصف المنسوج .	٢٥ ـ المفرع .
٤ ـ المقارنة .	٢٦ ـ الإعجاز .
٥ ـ الخطاب العام .	٢٧ ـ إيهام التصحيف .
٦ ـ الاستقامة .	٢٨ ـ إيهام التحريف .
٧ ـ السلخ .	٢٩ ـ الازدواج .
٨ ـ الانتحال .	٣٠ ـ التمييز .
٩ ـ الترقي .	٣١ ـ التعقيب .
١٠ ـ التزول .	٣٢ ـ التصريح .
١١ ـ الحقيقة .	٣٣ ـ العجب .
١٢ ـ اختلاف المؤتلف .	٣٤ ـ التعجب .
١٣ ـ المسخ .	٣٥ ـ الجنس والنوع .
١٤ ـ الزيادة .	٣٦ ـ الاختصاص .
١٥ ـ أسلوب الأحمق .	٣٧ ـ المرادفة .
١٦ ـ أسلوب الحكيم .	٣٨ ـ التسمية .
١٧ ـ الممدود والمقصور .	٣٩ ـ العدل .
١٨ ـ الأمر والنهي .	٤٠ ـ العدد .
١٩ ـ الملمع .	٤١ ـ التاريخ .
٢٠ ـ الحل .	٤٢ ـ الدعوة .
٢١ ـ الفخر .	٤٣ ـ الإرغام .
٢٢ ـ التصغير .	٤٤ ـ التوبيخ .

٤٥ ـ الحذف والإثبات .	٦٢ ـ الاعتذار .
٤٦ ـ التضمين .	٦٣ ـ التدوير .
٤٧ ـ التلطف .	٦٤ ـ الإبدال والتعليق .
٤٨ ـ التطفل والتذلل .	٦٥ ـ المشجر .
٤٩ ـ التفضيل .	٦٦ ـ المزهر .
٥٠ ـ الإضمار .	٦٧ ـ التثبيت .
٥١ ـ الترجي .	٦٨ ـ التغليب .
٥٢ ـ التمني .	٦٩ ـ الاحتذاء .
٥٣ ـ الردع والزجر .	٧٠ ـ الجمع مع التفريق والتقسيم .
٥٤ ـ العجز والتقصير .	٧١ ـ الترجمة .
٥٥ ـ استفهام المتعجب .	٧٢ ـ تحصيل الحاصل .
٥٦ ـ الاستحقاق .	٧٣ ـ تشابه المعنيين .
٥٧ ـ الشرط .	٧٤ ـ تنازع المعنيين .
٥٨ ـ الجزاء .	٧٥ ـ تكرار المؤكد .
٥٩ ـ التهنية .	٧٦ ـ رفع الإيهام .
٦٠ ـ الاعتراف .	٧٧ ـ محتمل الضدين :
٦١ ـ الاستشهاد .	٧٨ ـ ما يفهم من حال الشيء .
	٧٩ ـ مخلص المقطع .

هذه هي الأنواع الجديدة في بديعيات الآثاري ، وبلغت (١٢٦) نوعاً باستثناء أنواع الجناس التي بلغت نحواً من سبعين نوعاً .

الأنواع الجديدة من البديع في سائر البديعيات[1]

لا بد لي قبل الشروع بالحديث عن الأنواع الجديدة التي تتالت في

(١) سبقت الإشارة إلى أن البديعيات التي تم رصد البديع فيها هي تلك التي وقفتُ على نصها

(البديعيات)، من الاشارة إلى أنني استثنيت أنواع الجناس الكثيرة التي كانت تذكر فيها ، لأنها جميعاً ما بلغوا شأن شعبان الآثاري أولاً ، ولأنه يجوز لنا أن نعد أنواع الجناس كلها نوعاً واحداً ، وقد أشار إلى هذا صفي الدين الحلي في مقدمة شرحه بقوله وهو يعرفنا بمضمون بديعيته : « فنظمت مئة وخمسة وأربعين بيتاً من بحر البسيط ، تشتمل على مئة وخمسين نوعاً من محاسنه ، ومن عد جملة أصناف التجنيس بنوع واحد كانت عنده العدة مئة وأربعين نوعاً »(١)، فالصفي الحلي يعلم أن هناك بعض الناس الذين يعدون أصناف التجنيس نوعاً واحداً ، وإنني لأرى الصواب في جانبهم .

ولا بد لي أيضاً في مثل هذا الموقف من التذكير ثانية بأن ما جاء من أنواع البديع الجديدة في (البديعيات) لا يعني بالتأكيد كونه مخترَعاً من قبل أول من أتى به ، كما لا يعني العكس، فلذلك بحث آخر ، إنما نريد أن نسجل كيف كان يستكثر شعراء (البديعيات) من أنواع البديع ، ويجتلبون منها كل جديد وقديم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، وأترك قضية البحث عن أول مخترع لكل نوع إلى بحث آخر أرجو أن يوفقني الله إليه .

كما تجدر الإشارة هنا إلى أن بعض (البديعيات) قد أخلّت بأنواع بديعية معروفة ، على الرغم من أنها حملت في أثنائها أنواعاً بديعية جديدة ، ولكننا بصدد الحديث عن الجديد فيها ، وقد أشرت في فصل مضى(٢) إلى النقص في كل بديعية .

بعد هذا أقدم لك الأنواع البديعية الجديدة في زمرتيها :

الكامل ، سواء كانت مشروحة أم لا ، أما البديعيات التي وردت عَرَضا في أثناء الشروح فقد استثنيتها ، لاحتمال أن يكون الشارح قد أهمل منها ما لم ينظم على مثاله .

(١) شرح بديعية الصفي له (النتائج الإلهية) ص : ٢ .

(٢) انظر : عدد البديعيات وأعلامها من هذا البحث .

أولا : الأنواع المجزّأة :

١ ـ المشاكلة المعنوية : تفرّد بهذا النوع علي بن دقماق ، وبيته فيه :

لَمْ يَنْجَلِ البَدْرُ عَنْهُ إذ وَفَا سَحَراً　　لِيْ لِلتّناسُبِ بَيْنَ البَدْرِ والظُّلَمِ

وقال بعده : « وذاك أن المناسبة بين الليل ونور البدر ليست حقيقة ، وإنما تقع في المعنى ، لأن نور البدر لا يظهر إلا بالليل ويخفى بالنهار فكانت المشاكلة فيهما معنوية[1] .

وقد ذكر قبل هذا النوع (المشاكلة اللفظية) .

٢ ـ التكرار المعنوي (التصوير المعنوي)[2] : « وهو تكرار المعنى دون اللفظ وينقسم إلى أربعة أقسام : ما كرر في أول البيت وآخره . . . . ما كرر في حشو الأول وآخر الثاني . . . . ما كرر في آخر المصراعين . . . . ما كرر في طرفي الثاني »[3] وقد أدخله بعضهم في (رد العجز على الصدر) .

ـ من المبالغة :

٣ ـ التبليغ : تفرد به ابن دقماق[4]، وقال : « هو أن يبالغ المتكلم في المدح مبالغة ممكنة في العقل والعادة ليخرج الإغراق والغلو والإيغال »[5] .

ـ من الغلو :

٤ ـ الغلو المبني على تخيل حسن : تفرد به ابن دقماق وقال : « وهو من

---

(١) البديعية وشرحها ، لابن دقماق : ٦٣ / ب .
(٢) ذكره شعبان الآثاري ، وغلام علي آزاد ، وورد في بديعية الصلاحي .
(٣) البديعية وشرحها : ٩٤ / آ ـ ب .
(٤) ذكره الآثاري ، وابن جابر .
(٥) البديعية وشرحها : ١٠٠ / آ .

فوق الإغراق والمبالغة ـ كما تقدم ـ وهو المتخيل عقلا وعادة ، وينقسم إلى ثلاثة أقسام . . »[1] .

٥ ـ الغلو المقرب بكاد : وهو القسم الثالث من أقسام الغلو التي أشار إليها ابن دقماق الذي تفرد بهذا النوع[2] ، وضرب له مثلا قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ زَيْتُها يُضِيءُ ولَو لَم تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ على نُورٍ ﴾.

ـ من الموازنة :

٦ ـ موازنة الألفاظ المتقابلة : ذكر هذا النوع أحمد البربير في بديعيته على أنه (الموازنة)، وصححه شارحها الصلاحي إلى هذه التسمية وقال : « ثم بدا لي أن يكون هذا نوعاً قائماً[4] بنفسه ، وأن يسمى بموازنة الألفاظ المتقابلة لتقابل ألفاظ المصراعين جميعها زنة لا رويّا »[5] ونظم أيضاً في بديعيته بيتا عليه .

ـ من الاستعارة

٧ ـ الاستعارة المكنية التخييلية : تفرد بهذا النوع الصلاحي .

من مراعاة النظير

٨ ـ تناسب الأطراف : قال ابن معصوم الذي تفرد[6] بذكره : « عبارة عن أن يبتدىء المتكلم كلامه بمعنى ، ثم يختمه بما يناسب ذلك المعنى الذي ابتدأ به »[7] .

---

(١) المصدر السابق : ١٠٣/ آ .
(٢) وقد ذكره ابن جابر في بديعيته .
(٣) سورة النور : ٢٤ / ٣٥ . وانظر : البديعية وشرحها ، لابن دقماق : ١٠٤ / آ .
(٤) في الأصل : « نوع قائم ».
(٥) نخبة البديع في مديح الشفيع : ٥٢ / ب .
(٦) وقد ذكره ابن جابر في بديعيته .
(٧) أنوار الربيع في أنواع البديع : ٤ / ١٩٥ .

ـ من التشبيه :

٩ ـ تشبيه التمني : هذا النوع من أنواع البديع الهندي(١)، وقد تفرد بالاحتذاء به ونقله إلى البديع العربي عبد القادر الأدهمي ، وقال الشارح : « هو أن يتمنى المشبه به أن يحصل له كمال المشبه »(٢).

١٠ ـ تنزيه التشبيه : تفرد به الأدهمي ، وقال الشارح : « هذا النوع لم يذكره أحد ، إلا أنه أورد صاحب « غصن البان » نوعاً سماه (التنزيه) وعرفه بقوله : وهو أن يبرّىء المتكلم شيئاً عن أن يماثله شيء آخر . . وعلى هذا المنوال صدر هذا البيت من البديعية ، وقد رشح الناظم هذا النوع بالتشبيه مع التنزيه وكأنه لذلك سماه: تنزيه التشبيه»(٣).

ـ من المقلوب المستوي

١١ ـ مقلوب الأطراف : قال ابن دقماق : « المقلوب ما تساوت حروفه في العدد وتخالفت في الترتيب ، وهو صور مختلفة ، والقصد هاهنا ما قلب أوله وآخره . . »(٤).

١٢ ـ مقلوب الأوسط : وقد تفرد بها ابن دقماق .

ـ من العقد

١٣ ـ عقد القرآن : وهو أن يضمّن الشاعر في نظمه بعضاً من آيات القرآن الكريم ، مع التنبيه على ذلك « والتنبيه عليه هو الفرق بينه وبين الاقتباس ».

---

(١) ذكره غلام علي آزاد في بديعيته .
(٢) بديع التحبير شرح ترجمان الضمير : ٤٦ .
(٣) بديع التحبير شرح ترجمان الضمير : ٦٥
(٤) البديعية وشرحها ، لابن دقماق : ٢٢ / آ .

١٤ ـ عقد الحديث : وهو كسابقه ، إنما يكون العقد من حديث النبي ـ ﷺ ـ.

وتفرد بهذا التفصيل ابن دقماق[١] .

ـ من الاقتباس :

١٥ ـ الاقتباس من مسائل الفقه : « وهو أن يذكر الناظم شيئاً من مسائل الفقه »[٢] .

١٦ ـ الاقتباس من علم الحديث : « وهو أن يأتي الناظم بفرع من علم الحديث »[٣] .

كذلك تفرد بهذا التفصيل ابن دقماق[٤].

ـ من السجع

١٧ ـ السجع المرصع : « وهو أن تتفق كل قرينة من البيت مع قرينتها وزنا ورويا وإعرابها غالبا في العجز من البيت »[٥] .

وتفرد به ابن دقماق مع ذكره لنوع (الترصيع الكامل) بعده .

١٨ ـ السجع المطرف : « وهو ما اتفقت فيه آخر لفظة من القرينة مع نظيرتها في الروي دون الوزن »[٦] . وتفرد به أيضاً ابن دقماق .

---

(١) وقد أشار إلى مثل ذلك ابن جابر في شرحه على بديعيته : ٢٣ / ب ، بقوله : « وهو أن ينظم كلاما منثورا من القرآن أو من الحديث ، أو ينثر بيتا من الشعر لم ينظم على غير هيئته مع بقاء معناه . . ».

(٢) البديعية وشرحها : ٥٤ / آ .

(٣) البديعية وشرحها : ٥٤ / آ .

(٤) كما أشار ابن جابر إلى مثل هذا في شرحه على بديعيته : ٢٣ / ب .

(٥) البديعية وشرحها : ٦٥ / ب .

(٦) البديعية وشرحها : ٦٥ / آ ، وقد أشار إليه ابن جابر في بديعيته .

- من التوشيح

١٩ - الإرصاد اللفظي : تفرد به ابن دقماق وقال : « بعضهم أدخله في نوع التسهيم ، وقد تقدم الفرق بينهما وبين التوشيح وهو لفظي ومعنوي ، فاللفظي : ما دل عليه لفظه دلالة لفظية »(١).

٢٠ - الإرصاد المعنوي : « وهو ما دل أوله على معرفة آخره دلالة معنوية »(٢).

- من الكناية :

٢١ - الكناية المطلقة : تفرد بهذا النوع أبو الوفاء العُرضي وقال : « هذا نوع من أنواع البديع زدته على أصحاب البديعيات .. ومطلق الكناية تعريفها ترك التصريح بالشيء إلى ما يساويه في اللزوم لينتقل منه إلى الملزوم ، وقصدهم بذلك إما التغيير عن القبيح بالحسن أو بالفاحش عن الظاهر ، وإما لغير ذلك من النكت »(٣).

٢٢ - الرمز : « وهو ما يشار به إلى المطلوب من قرب مع الخفاء ومعنى من قرب الانتقال إلى المطلوب من لازم واحد ، ومعنى مع الخفاء ضعف اللزوم »(٤).

٢٣ - التلويح : تفرد به أبو الوفاء العُرضي وقال : « التلويح من أنواع الكناية ، وهو أحد المعاني التي لم يذكرها البديعيون وهو الإشارة إلى المطلوب من بُعْد مع الخفاء ، ومعنى من بعد : كثرة الوسايط إلى اللازم ، ومعنى مع الخفاء : بعد انتقال الذهن إليه »(٥).

---

(١) المصدر السابق : ٩٧ / ب .

(٢) فتح البديع في حل الطراز البديع في امتداح الشفيع : ٣٢ / آ .

(٣) فتح البديع في حل الطراز البديع في امتداح الشفيع : ٣٢ / ب ، وقد شاركه فيه قصاب حسن .

(٤) المصدر السابق . وقد ذكر النابلسي نوعا باسم (التلويح) إلا أنه لا يقترب من هذا ، وسيرد ذكره مع الأنواع المفردة .

٢٤ - الإيماء : « هو الكلام المشار به إلى المطلوب من قرب لا[1] مع الخفاء ، والمراد بالقرب : عدم الاحتياج إلى الوسايط لاجل اللزوم ، والمراد بكونه لا مع الخفاء : قوة اللزوم وهو قسمان . . »[2] وهذا من زيادات أبي الوفاء العُرضي[3] .

- ومن التوزيع والحذف :

٢٥ - المقطوع[4] : وهو أن تكون حروف الكلمات كلها مما لا يتصل بعضه ببعض ، منفصلة مفروقة.

٢٦ - الموصول[5] : وهو أن تكون حروف الكلمات كلها مما يمكن أن يتصل بعضه ببعض .

٢٧ - المهمل[6] : « وهو أن يأتي الناظم بالبيت مجردة حروفه عن الإعجام ، أي النقط ، أو الناثر في فقره »[7].

٢٨ - المعجم[8]: وهو خلاف النوع السابق .

٢٩ - الأخيف[9]: أن تكون كلمات البيت ، أو النثر ، واحدة معجمة وواحدة مهملة .

---

(١) في الأصل : « من بعد مع . . . . ». وسياق الكلام يدل على ما أثبته .

(٢) فتح البديع في حل الطراز البديع : ٣٣ / آ .

(٣) وقد ذكر البديعيون نوعاً باسم (الإيماء) يختلف عن هذا ، وسيرد ذكره في الأنواع المفردة .

(٤) ذكره الآثاري . وأورده : السيوطي ، والحميدي ، والبربير ، والصلاحي ، وأرسانيوس الفاخوري ، والأدهمي ، وعبد الحميد قدس ، وقصاب حسن .

(٥) ذكره الآثاري . وأورده : كل من أورد (المقطع) إضافة إلى : محمد رضوان والساعاتي .

(٦) ذكره الآثاري . وأورده : الحميدي ، والبربير ، والصلاحي ، واليازجي ، ومحمد رضوان ، والساعاتي ، والفاخوري ، وقصاب حسن .

(٧) بديع التحبير شرح ترجمان الضمير ، ص : ٤٩ .

(٨) ذكره الآثاري . وأورده : الحميدي ، والبربير ، والصلاحي ، واليازجي ، والفاخوري ، والأدهمي ، وعبد الحميد قدس .

(٩) ذكره الآثاري . وأورده : الحميدي ، والبربير ، والصلاحي ، والفاخوري ، والأدهمي ، وعبد الحميد قدس ، وقصاب حسن .

٣٠ ـ الأرقط[1] : أن تكون الكلمات حرفا مهملا وحرفا معجما .

٣١ ـ كل كلمة فيها حرف معجم .

٣٢ ـ كل كلمة فيها حرف مهمل .

٣٣ ـ شطر معجم وشطر مهمل .

٣٤ ـ كلمة مفككة وكلمة موصولة . وتفرّد بذكر هذه الأنواع الأربعة عبد القادر الأدهمي ، وعبد الحميد قدس .

وربما يدخل ضمن هذه الأنواع :

٣٥ ـ الصامت الحروف .

٣٦ ـ الناطق الحروف .

٣٧ ـ كلمة ناطقة وكلمة صامتة .

٣٨ ـ حرف ناطق وحرف صامت . وكلها تفرد بها الحميدي .

وأيضا

٣٩ ـ حصر حروف الهجاء كلها ، الذي تفرد به عبد الحميد قدس . وقد ذكر الحميدي نوعاً هو :

٤٠ ـ المفصل ، وبيته الشاهد عليه :

بـرٌّ صَفِيٌ عَـلِيٌّ سَيِّـدٌ سَنَـدٌ ... حِصْنٌ حَصِينٌ بِهِ عُذْ تَبْقَ في نِعَمِ

مع العلم أنه ذكر نوع (المفروق الأحرف).

هذه هي الأنواع البديعية التي جاءت في (البديعيات) متفرعة عن أنواع معروفة .

---

(١) ذكره الآثاري . وأورده : كل من أورد (الأخيف).

ثانيا : الأنواع الجديدة المفردة

١ ـ أسلوب الحكيم[١] :

« وهو أن يتلقى المخاطب المتكلم بغير ما يترقبه حملا لكلامه على خلاف مراده ، لأنه الأولى له »[٢] .

٢ ـ الاقتضاب :

ذكر السيوطي ، وقال : « للناس في الانتقال من التشبيب إلى المقصود طريقان : أحدهما حسن التخلص ، وهو الانتقال بملائمة ، والثاني : الاقتضاب ، وهو الانتقال بدونها ، وهذا رأي العرب والمخضرمين الأولين من شعراء الإسلام »[٣] ، وشاركه فيه عبد القادر الأدهمي .

٣ ـ الاحتباك[٤] :

« وهو أن يحذف من الأول ما ثبت في نظيره الثاني ، وبالعكس سواء كانا متضادين أم لا »[٥] .

٤ ـ الطرد والعكس[٦] :

« وهو أن يؤتى بكلمتين يقرر منطوق الأولى بمفهوم الثانية ويقرر منطوق الثانية بمفهوم الأولى »[٧] .

---

(١) ذكره شعبان الآثاري ، وأورده : السيوطي ، وأبو الوفاء العُرضي ، والبكرجي ، والبربير ، والصلاحي ، وقد عده عبد الحميد قدس (القول بالموجب) كما جاء في شرح هذا النوع في بديعيته . انظر : طالع السعد الرفيع ، ص : ٣٨ .

(٢) شرح للسيوطي على بديعيته ، ص : ٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص : ٧ .

(٤) أشار إليه شارح بديعيته ابن جابر ، وأورده : السيوطي وابن دقماق ، والحميدي ، والبكرجي ، والبربير ، والصلاحي ، والأدهمي ، وعبد الحميد قدس .

(٥) شرح السيوطي على بديعيته ، ص : ٨ .

(٦) أورده السيوطي ، والبربير ، والصلاحي .

(٧) شرح السيوطي على بديعيته ، ص : ١٢ .

٥ ـ الإطناب :

تفرد به السيوطي

٦ ـ التفضيل[١] :

قال السيوطي : « أن ينفى « بما » أولاً عن ذي وصف أفعل التفضيل المناسب لذلك الوصف معدى « بمن » إلى ما يراد مدحه أو ذمه فتحصل المساواة بين الاسم المجرور بمن وبين الاسم الداخل عليه (ما) النافية لأنها نفت الأفضلية فتبقى المساواة »[٢] .

٧ ـ التعبير :

تفرد به السيوطي ، وعرفه بقوله : « التعبير إزالة خفاء الحكم . . »[٣].

٨ ـ تنسيق الصفات :

ذكرته عائشة الباعونية في بديعيتها ، وقالت في شرحه : « هذا النوع هو ذكر الشيء وتعقيبه بتعديد صفاته »[٤] . وأورده بعدها أرسانيوس الفاخوري .

٩ ـ الجمع والتفريق والتقسيم[٥] :

وهو عبارة عن أن يجمع المتكلم متعدداً تحت أمر ، ثم يفرق ثم يضيف إلى كل ما يناسبه »[٦] .

---

(١) ذكره الآثاري ، وأورده السيوطي ، والبربير ، والصلاحي ، والأدهمي ، وذكر غلام علي آزاد عدة أنواع للتفضيل في بديعيته .

(٢) شرح السيوطي على بديعيته ، ص : ١٢ .

(٣) شرح بديعية السيوطي ، ص : ١٧ .

(٤) الفتح المبين (في حاشية خزانة الأدب للحموي)، ص : ٤٠٩ .

(٥) ذكره الآثاري ، وأورده : ابن دقماق ، وابن معصوم .

(٦) أنوار الربيع في أنواع البديع : ٥ / ١٧٦ .

١٠ ـ تأكيد الذم بما يشبه المدح [١]:

وهو « ضربان : الأول : أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها في المدح ، نحو : فلان لا خير فيه إلا أنه مسيء لمن أحسن إليه . والثاني : أن يثبت لشيء صفة ذم وتعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له »[٢] .

١١ ـ النفي والإثبات :

ذكره ابن دقماق ، وقال : « هو أن يثبت المتكلم شيئا ، وينفي بعده ما هو في معناه »[٣]. وأورده بعده عبد القادر الأدهمي .

١٢ ـ الاعتراف :

تفرد به ابن دقماق ، وقال في شرحه : « وهو أن يأتي المتكلم بكلام يفهم منه الخوف والتضرع ليكون وسيلة له إلى ممدوحه في تشفعه عند مولاه ، ويكون مع ذلك مذعنا لما وقع منه واعترافه له لقولهم : من اعترف بذنبه فلا ذنب له »[٤] .

١٣ ـ الاستشهاد[٥] :

« وهو أن يذكر الشاعر اسمه أو لقبه في أثناء نظمه بأسلوب حسن

---

(١) ذكره ابن جابر في بديعيته ، وأورده : ابن دقماق ، وأبو الوفاء العُرضي ، والنابلسي ومصطفى البكري ، وقاسم البكرجي ، ونيقولاوس الصايغ ، وناصيف اليازجي ، والأدهمي وعبد الحميد قدس ، وقصاب حسن .

(٢) حلية العقد البديع ، ص : ٨١ ـ ٨٢ .

(٣) البديعية وشرحها ، لابن دقماق : ١١٩/ب.

(٤) المصدر السابق : ١٣٨ / ب ، وقد ذكره الآثاري .

(٥) ذكره الآثاري ، وأورده ابن دقماق ، والحميدي ، والنابلسي ، وابراهيم خيكي ومصطفى البكري ، والبكرجي ، والصلاحي ، ومحمد رضوان ، والأدهمي ، وعبد الحميد قدس ، وقصاب حسن .

تستعذبه الأسماع وتلتذ به الطباع »[1]

١٤ ـ التغليب :

« وهو أن يثني الناظم أو الناثر اسمين أو وصفين باسم واحد منهما أو صفة ، كالقمرين للشمس والقمر . . فغلب . . على الشمس القمر »[2] .

١٥ ـ الحقيقة :

« منقسمة إلى أربعة أقسام : ذاتية ، ولغوية ، وشرعية ، وعرفية . . »[3] . تفرد بها الحميدي ، ولم اقف على شرح بديعيته .

١٦ ـ الترقي[4] :

« وهو أن يخبر المتكلم عن حالة سواء كان في معرض المدح أو الذم ، ثم يترقى إلى ما هو أعلى من ذلك ثم إلى الأعلى حتى يبلغ النهاية في ذلك »[5] .

١٧ ـ التنزل (التدلي)[6] :

« وهو أن يخبر المتكلم عن حالة سواء كان في معرض المدح أو الذم ، ثم يتدلى إلى ما هو أدنى منها ، ثم إلى الأدنى حتى يبلغ النهاية في ذلك »[7] .

١٨ ـ المقصور والممدود :

« وهو أن يشتمل البيت على اسم مقصور واسم ممدود »[8] .

---

(١) نفحات الأزهار على نسمات الأسحار ، ص : ٤٨٤ .
(٢) الحجة على من زاد على ابن حجة (الجليلي)، ص : ٧٤ . وقد ذكره الأثاري .
(٣) انظر المرجع السابق ، ص : ٧٥ . وقد ذكره الأثاري .
(٤) ذكره الأثاري ، وأورده الحميدي ، وأبو الوفاء العُرضي ، والأدهمي ، وعبد الحميد قدس .
(٥) بديع التحبير شرح ترجمان الضمير ، ص : ٥٩ .
(٦) ذكره الأثاري ، وأورده : الحميدي ، وأبو الوفاء العُرضي ، وعبد الحميد قدس .
(٧) طالع السعد الرفيع ، ص : ١٠٤ .
(٨) ذكره الأثاري ، وأورده : الحميدي ، وعبد الحميد قدس .
(٩) طالع السعد الرفيع ، ص : ١٠٣ .

١٩ ـ التعجب[١] :

أورده الحميدي ، وقصاب حسن ، ولم يشرحاه .

٢٠ ـ التاريخ[٢] :

« وهو عبارة عن أن يأتي الشاعر أو المتكلم بكلمة أو كلمات إذا حسبت حروفها بحساب الجمل بلغت عدد السنة التي يريدها المتكلم من تاريخ هجرة النبي ـ ﷺ ـ . . »[٣].

٢١ ـ ختام الختام :

« أورده الحميدي وأرسانيوس الفاخوري .

٢٢ ـ التلويح :

« وهو أن يخلط المتكلم كلامه بآية أو حديث أو مثل سائر ، أو شعر من شعره أو من شعر غيره اختلاطاً لا يتميز إلا للعارف به »[٤].

٢٣ ـ الإيماء :

« هو الإيماء بالتشبيه ، كقول الشاعر : « جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب

---

(١) ذكره الآثاري .

(٢) ذكره الآثاري ، ولكنه لم يؤرخ بحساب الأحرف ، إنما باللفظ في أثناء البيت ، وقال في تاريخ بديعيته :

في لَيلةِ النصفِ من شَعبان قد نجزتْ ... في عامِ سَبعٍ وأثْمن من مِئِيْنِهِمِ

وأورده الحميدي ، والنابلسي ، وابراهيم خيكي ، ومصطفى البكري ، والبكرجي ، ، والصلاحي ، واليازجي ، وأرسانيوس الفاخوري ، والأدهمي ، وعبد الحميد قدس ، وقصاب حسن .

(٣) نفحات الأزهار على نسمات الأسحار ، ص : ٤٩٥ .

(٤) نفحات الأزهار على نسمات الأسحار ، ص : ٤٢٤ ، وقد أورده : النابلسي ، وابراهيم خيكي ، ومصطفى البكري ، وقاسم البكرجي ، والأدهمي ، وعبد الحميد قدس .

قط » أو «إلى غيره»[1]. وقد سمّاه بعضهم (طيف الخيال).

٢٤ ـ الخطاب العام :

تفرد به أبو الوفاء العرضي ، وقال في شرحه : « من الأنواع التي زدتها على أصحاب البديعيات ، أن يخاطب الناظم أو الناثر كل من يتأتى منه الخطابة ليؤذن بفخامة ذلك الأمر ، ولا يخص به مخاطبا دون آخر ، سواء كان بلفظ المفرد . . . . أو بلفظ المثنى . . أو بلفظ الجمع »[2] .

٢٥ ـ الإسجال والمغالطة :

تفرد به أبو الوفاء الغرضي ، وشرحه بقوله : « وهو أن يقصد المتكلم غرضا يشرطه بشرط ، ثم يقدر وقوع ذلك الشرط مغالطة ليسجل به استحقاق مقصوده »[3] .

٢٦ ـ الأحجية :

إتيان المتكلم بسؤال عن الذي ماثل لفظاً مفرداً من وجه ، مركبا من آخر ، وبعضهم أدخله وأدخل المعمّى في الإلغاز ، ولكن المحققون أفردوا كل واحد »[4] .

٢٧ ـ التعمية :

هو « إتيان المتكلم بكلام يستخرج منه كلمة فصاعداً بالرمز والإيماء بحيث يقبله أهل الذوق السليم »[5] .

---

(١) بديع التحبير شرح ترجمان الضمير ، ص : ٢٤ ـ ٢٥ . وقد أورده البكرجي والأدهمي ، وعبد الحميد قدس ، وقصاب حسن .

(٢) فتح البديع في حل الطراز البديع : ٣٣ / ب ، وقد ذكره الأثاري قبله .

(٣) المصدر السابق : ٧٧ / ب ، وقد أورد عثمان الراضي في بديعيته نوع (المغالطة) ، فلعله هذا

(٤) المصدر السابق : ٨٢ / ب ، وقد أورده مع العرضي : ابراهيم خيكي ، والبكرجي ، واليازجي ، وأرسانيوس الفاخوري ، والأدهمي ، وعبد الحميد قدس .

(٥) المصدر السابق : ٨٣ / آ ، وأورده مع العرضي : النابلسي ، وابراهيم خيكي ، ومصطفى

٢٨ ـ شجاعة الفصاحة :

تفرد به ابن معصوم ، وقال في شرحه : « هو عبارة عن حذف شيء من لوازم الكلام وثوقاً بمعرفة السامع به »[1] .

٢٩ ـ إيهام التوكيد :

أورده ابن معصوم ، وقال في شرحه : « وهو عبارة عن أن يعيد المتكلم في كلامه كلمة فأكثر ، مراداً بها غير المعنى الأول حتى يتوهم السامع من أول وهلة أن الغرض التأكيد ، وليس كذلك »[2] . وقد توارد معه على ذكر هذا النوع عبدالقادر الأدهمي .

٣٠ ـ تضمين المزدوج :

مما ذكره ابن معصوم ، ونقل شرحه ، وهو « أن يأتي المتكلم في أثناء قرائن النثر ، أو أحد شطري البيت ، بلفظين مسجعين بعد مراعاة حدود الأسجاع والقوافي »[3] . وتوارد معه على ذكره أرسانيوس الفاخوري .

٣١ ـ التصحيح (الانتحال) :

« عبارة عن كلام مشتمل على ألفاظ لو قرأها الألثغ لا يعاب عليه ، لصحة المعنى واستقامته »[4] .

البكري ، والبكرجي ، ونيقولاوس الصايغ ، والبربير ، والصلاحي ، ومحمد رضوان ، والساعاتي ، والفاخوري ، والأدهمي ، وعبد الحميد قدس ، وقد ذكره غلام علي آزاد في بديعيته .

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع : ٥ / ١٩٢ .
(٢) المصدر السابق : ٦ / ١٥٩ .
(٣) المصدر السابق : ٦ / ٢١٥ .
(٤) نفحات الأزهار على نسمات الأسحار ، ص : ٤١١ . وقد ذكر الآثاري (الانتحال) وأورده أيضاً : إبراهيم خيكي ومصطفى البكري ، والبكرجي ، والصلاحي ، والأدهمي وقد سماه (الانتحال) ، وعبد الحميد قدس ، وقصاب حسن .

٣٢ ـ الإضراب :

قال النابلسي : « وهو نوع استخرجته ، ولم يسبقني إليه أحد وسميته بهذا الاسم لاشتماله على حرف الإضراب ، وهو أن يجمع المتكلم بين جمل أو مفردات متناسقة من مدح أو هجاء أو غير ذلك ويفصل بينها بحرف الإضراب ، وأحسنه ما كان فيه ترقّ أو تدل »(١).

٣٣ ـ طيف الخيال :

وقد فرّعه عن (الإيماء) عبدالقادر الأدهمي ، ونقل عبارة الخفاجي في تعريفه : « وهو أن يرتسم في لوح فكرك معنى صورته يد الخيال فتصبه في قالب التحقيق ، وترمز إليه بجعل روادفه وآثاره محسوسة ادّعاء كما أن ما يلقى إلى المخيلة في المنام يرى كذلك ، ولا يلزم من ابتنائه على الكناية والتشبيه أن يعد منها لأمر ما يدريه من له خبرة بالبديع »(٢) . وقد سار معه على هذا التقسيم عبدالحميد قدس .

٣٤ ـ التأسيس والتفريع :

« وذلك بأن تمهد قاعدة كلّية لما تقصده ، ثم ترتب عليها المقصود »(٣).

٣٥ ـ نفي الموضوع :

وهو « أن يكون اللفظ موضوعاً لمعنى فيصرح بنفيه عنه ويثبته لغيره مبالغة في ادعاء ذلك الحكم ، مثاله ما رواه الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول

---

(١) نفحات الأزهار ، ص : ٤٣٧ ، وأورده أيضاً : إبراهيم خيكي ، ومصطفى البكري والبكرجي ، والصلاحي ، والساعاتي ، والأدهمي ، وعبدالحميد قدس ، وقصاب حسن .

(٢) بديع التحبير شرح ترجمان الضمير ، ص : ٢٥ .

(٣) حلية العقد البديع ، ص : ٣٤٠ ، وأورده معه : الصلاحي ، والأدهمي ، وعبدالحميد قدس ، وقصاب حسن .

الله ﷺ : لَيْسَ الشَّدِيْدُ بالصّرعَة ، إنّما الشّدِيْدُ الذي مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَب »[1] .

٣٦ - تمهيد الدليل :

« وهو أن يُقصد حكم لشيء قريب له أدلة تقتضي تسليمه قطعاً بأن يبدأ بالمقصود ويخبر عنه بجملة مسلمة ، ثم يخبر عن تلك الجملة بأخرى مسلمة فيلزم ثبوت الحكم الأول بأن يحذف الوسط ويخبر بالأخير عن الأول . . »[2] .

٣٧ - التصحيف :

« وهو أن يؤتى في المقصود بكلام لتصحيفه معنى معتبر فيقصد ذلك لتذهب نفس السامع إلى كل من معنييه »[3] .

٣٨ - حسن الاعتذار[4] :

وهو « أن يعتذر المعتذر عن شيء لا يرضاه منه الآخر بعذر ظريف ، ثم يعلله بتعليل رائق لطيف ، سواء كان التعليل حقيقاً أو غير حقيقي ، ولا بد في حسن الاعتذار من أن يكون بيانه سحراً ، بحيث يحمل المخاطب على قبول العذر ويجعل سخطه رضى »[5] .

---

(١) المصدر السابق ، ص : ٣٤١ ، وأورده أيضاً : الصلاحي ، والأدهمي ، وعبدالحميد قدس . والحديث كما قال ، أخرجه الشيخان . انظر : إرشاد الساري : ٩ / ٧١ ، وصحيح مسلم : رقم (٢٦٠٩) ، في البر والصلة والآداب : باب فضل من يملك نفسه عند الغضب .

(٢) المصدر السابق ، ص : ٣٤٢ ، وأورده أيضاً : الصلاحي ، والأدهمي ، وعبدالحميد قدس .

(٣) حلية العقد البديع ، ص : ٣٤٣ ، وذكر الآثاري : (إيهام التصحيف) كما أورد (التصحيف) : الأدهمي ، وعبدالحميد قدس .

(٤) ذكر الآثاري (الاعتذار) ، وذكر غلام علي آزاد (حسن الاعتذار) . وأورده : البربير ، والصلاحي ، وعبدالحميد قدس .

(٥) نخبة البديع في مدح الشفيع : ٢٩٢ / آ .

٣٩ - التنازع :

تفرد به الصلاحي وقال في شرحه : « وقد عرفته بأن يأخذ المتكلم الحرف الأخير من الكلمة . . ويجعله أولاً للكلمة الثانية وآخر الثانية يجعله أولاً للثالثة وهكذا إلى آخر كلامه . وينبغي أن يعتبر في الأخذ الحرف المكتوب لا الحرف المنطوق به »[١] .

٤٠ - النقص والإتمام :

تفرد به الصلاحي ، وشرحه بقوله : « هو أن يأخذ المتكلم الحرف الأول من الكلمة الأولى ويجعله في أول الكلمة الثانية ، ثم يأخذ أول الثانية بقطع النظر عن الحرف الذي ضم إليها من الكلمة الأولى ويضمه إلى الثالثة ، وهكذا من أول الكلام إلى آخره نظماً كان أو نثراً »[٢] . ومثال هذا النوع قول الصلاحي في بديعيته :

حمت ما هم واضيهم قد دروا وما كانوا أسد لغاب لأجم

ويصبح بالكتابة الواضحة :

حَمَتْ حِماهُم مَواضِيْهم وقَدْ قَدَروا دَوماً وكانُوا كأُسْدِ الغَابِ لِلأجمِ

٤١ - التصحيح :

وهو نوع جديد غير الذي ذكر قبل قليل ، ذكره الأدهمي في بديعيته ، وقال الشارح : « وهذا النوع غير الذي عبر عنه بعض أصحاب البديعيات بالانتحال وبعضهم بالتصحيح ، لكن أخبرني الناظم أنه وجده مذكوراً استطراداً في بعض البديعيات . . »[٣] .

---

(١) المصدر السابق : ٥١ / آ . وقد ذكر الأثاري نوع (تنازع المعنيين) .

(٢) المصدر السابق : ٢٥٤ / آ ، وقد أشار فيه إلى أسبقية عبدالله اليوسفي .

(٣) بديع التحبير شرح ترجمان الضمير ، ص : ٥٤ .

٤٢ ـ تجنيس المعنى :

ذكره الساعاتي ، ولم يشرح بديعيته ، ولم أتبين المقصود منه ، علماً أنه ذكر نوع (الجناس المعنوي) ، وخشيت أن لا يكون من فروع الجناس ، فذكرته ها هنا .

٤٣ ـ المتراكم .	٤٤ ـ عكس الإشارة .
٤٥ ـ المطمع .	٤٦ ـ النقل .
٤٧ ـ المردد .	٤٨ ـ المتوازن .
٤٩ ـ التضمين[١] .	٥٠ ـ المدح المفرغ .
٥١ ـ التوكيد[٢] .	٥٢ ـ المتقارب .
٥٣ ـ مختوم الطرفين .	٥٤ ـ التصريف .

وقد تفرد بها أرسانيوس الفاخوري ، ولم أقف على شرح له على هذه الأنواع .

٥٥ ـ صناعة التنوع :[٣]

وهو « أن تكون لشيء واحد ماهيات متعددة حسب تعدد الجهات المتنوعة ، كتعدد الاعتقاد وتعدد المكان وتعدد الزمان »[٤] .

٥٦ ـ التصغير :[٥]

« وهو أن يلتزم الشاعر تصغير جميع الكلمات التي تقبل التصغير من غير

(١) ذكر ابن جابر في بديعيته سبعة أقسام للتضمين ، كما ذكره شعبان الآثاري ، وقد أورده قصاب حسن فيما بعد أيضاً . وبعضهم يذكر التضمين ويريد (الإيداع) .

(٢) ذكر الآثاري (تكرار المؤكد) .

(٣) ذكر غلام علي آزاد في بديعيته ثلاثة أنواع للتنوع ، وهي التي أشار إليها صاحب (بديع التحبير) كما أشار إلى أخذ هذا النوع منه . وقد أورده أرسانيوس الفاخوري قبله .

(٤) بديع التحبير شرح ترجمان الضمير ، ص : ٦٦ .

(٥) ذكره شعبان الآثاري ، وغلام علي آزاد ، وأورده : أرسانيوس الفاخوري ، والأدهمي وعبدالحميد قدس .

أن يأتي بألفاظ ركيكة تمجّها الطباع ، بل عذبة من غير تكلف »[1] .

٥٧ ـ **التحلية :**

وهو « أن يورد المتكلم في كلامه نوعاً من الكلام محلى بحلية نوع آخر بأن يستعمل في الغزل ألفاظ المناجاة مثلاً ، والمدار على إيراد النوع بأسلوب آخر »[2] .

٥٨ ـ **التعقيب :**

« هو أن يخبر المتكلم عن أمر فيورد قبله أموراً يكون كل واحد منها علة لحصول ما بعده حتى ينتهي لما أراده كما في القياس الاستقرائي والتمثيلي »[3].

٥٩ ـ **جر الثقيل :**

« وهو أن يدّعي المتكلم أن يستحيل ممكن والذي يمكن مستحيل فهو يجر الثقيلين ، هذا هو وجه التسمية ، ومناط الغرض فيه عدم تحقيق الممكن »[4].

٦٠ ـ **العنعنة الأدبية :**

« وهو أن يورد المتكلم في غرضه الأدبي غزلياً كان أو حماسياً أو مديحاً أو نحوه صورة العنعنة المستعملة عند المحدثين مع غاية الرشاقة والعذوبة ، ولا بد فيها من بلوغ الكثرة في قوله : عن المروي تارة يكون مقدما ، وتارة يكون متأخراً »[5].

---

(١) بديع التحبير ، ص : ٢٨ ـ ٢٩ .
(٢) بديع التحبير ، ص : ٢١ ، وأورده أيضاً عبدالحميد قدس .
(٣) بديع التحبير ، ص : ٢٢ ، وقد ذكره الآثاري ، وأورده عبدالحميد قدس .
(٤) بديع التحبير ، ص : ٣٥ ، وقد ذكره غلام علي آزاد في بديعيته ، كما أورده أيضاً عبدالحميد قدس .
(٥) المصدر السابق ، ص : ٣٦ ، وقد ذكره شعبان الآثاري ، وأورده عبدالحميد قدس .

٦١ ـ التفاؤل :

« وهو عبارة عن استنباط الخير من قول أو فعل »[١] .

٦٢ ـ الغبطة :

« وهو أن يتمنى المتكلم نعمة نالها غيره[٢] سواء يريد زوالها عن صاحبها أم لا »[٣] .

٦٣ ـ التسمية :

« وهو الاتيان بالاسم الذي جعل عنواناً لمؤلفه ليعرف به ، وعلة تسميته بذلك هي كون أسماء المؤلفات يتضح ما بنيت عليه »[٤].

٦٤ ـ الملافاة :

وهو « أن يورد المتكلم في ابتداء كلامه ما يوهم أنه هجو ، ثم يتلافاه في آخره ، فيخرجه عن ذلك »[٥].

٦٥ ـ التوديع :

« هو أن يورد المتكلم لفظاً له معنيان ، فيعلق به حكماً مريداً أحدهما ، ويعقب ذلك أيضاً بتفسير المراد منه ، ثم يعلق بضميره مريداً به المعنى الآخر حكماً ضد الأول ويعقب ذلك أيضاً بتفسير المراد من الضمير مع غاية الرقة

---

(١) المصدر السابق ، ص : ٣٧ ، وقد أشار إلى أخذه من غلام علي آزاد الذي ذكر نوعين للتفاؤل (بالفعل) و (بالقول) ـ كما أورده بعده عبدالحميد قدس .

(٢) في الأصل « الغير » .

(٣) بديع التحبير ، ص : ٣٧ ، وقد ذكره غلام علي آزاد في بديعيته ، وأورده أيضاً عبدالحميد قدس .

(٤) المصدر السابق ، ص : ١٠٢ ، وقد سماه الأدهمي (ترجمان الضمير) ، وذكره شعبان الآثاري ، وأورده عبدالحميد قدس .

(٥) بديع التحبير ، ص : ٢٣ ، وقد أشار إلى وجوده في بديعية غلام علي آزاد .

واللطافة ، والمعنيان أعم من أن يكونا حقيقيين أو مجازِمين أو مختلفين »(١) .

٦٦ - السؤال والجواب والمراجعة :

وهو « أن يحكي المتكلم ما جرى بينه وبين غيره من سؤال وجواب وإيجاز عبارة وحسن سبك وسهولة لفظ إما في بيت واحد . . أو في أبيات »(٢).

٦٧ - الاعتساف :

« وهو أن لا تؤثر العلة فيما هي علة له ،تؤثر في غيره ، ويلزم النوع نوعان الاستبداد والطغيان » (٣).

٦٨ - التمازج :

« هو أن تكون كلمات البيت من القصيدة أو فقرات السجع صالحة لاقتران كل كلمة منها مع غيرها مما تقدم عنها أو تأخر ، بحيث لو قصد معتمد إلى إخلال التركيب بتقديم أو تأخير لإرادة تحويل المعنى المقصود فلا يتم له ما أراده ، بل يبقى المعنى المراد من السياق على حاله لا يغيره تقديم ما تأخر منه ولا تأخير ما تقدم منه لصحة اقتران كل كلمة بما سواها » (٤).

٦٩ - الوفاق :

« هو أن يجمع المتكلم في كلامه الضدين بحيث يصدق كل منهما على الآخر . . والمراد بموافقة الضدين هنا صدق أحد الشيئين اللذين بينهما نسبة من هذا النسب ، أي النسب التي في الطباق على الآخر » (٥). وبذلك يكون هذا

(١) المصدر السابق ، ص : ٢٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص : ٢٦ .
(٣) المصدر السابق ، ص : ٣٢-٣٣ . وقد ذكر الأنواع الثلاثة غلام علي آزاد في بديعيته .
(٤) بديع التحبير ، ص : ٣٣ .
(٥) المصدر السابق ، ص : ٣٨ . وقد أشار الشارح إلى أخذ هذا النوع من البديع الهندي ، كما ذكر غلام علي آزاد نوعين للوفاق (المعنوي ، واللفظي) .

النوع قريباً من الطباق أو نسيباً له .

٧٠ - التثبيت :

« هو أن يبقى المعلوم بعد فناء العلة المبقية ، وعلة البقاء قد تكون غير علة الوجود كما أن مسيس النار بالفتيلة علة لوجود السراج »(١) .

٧١ - الوصية :

« هو أن يأمر المتكلم شخصاً أن يفعل ما يتمناه على مذهب العشق وغيره بعد موت الآمر » (٢).

٧٢ - براعة السؤال :

وهو « إضمار المطلوب بعبارة الإيجاز على سبيل الكناية مع التلطف في السؤال وحسن الإضمار »(٣) .

٧٣ - براعة الجواب :

« وهو تأدية الجواب عن الأسئلة المتعددة بلفظة مشتركة أو للجواب عن كل من المسؤول عنه »(٤) .

٧٤ - الدائرة النجمية :

« وهو أن تكون أول كلمة من قصيدة أو الأبيات مقلوب أول كلمة من البيت الذي يليه إلى نهاية الأبيات فتنظم دائرة على هيئة نجمية ، وهو أن يجعل جرف الروي وسط الدائرة ، فينوب ذلك الحرف مناب أول كل حرف من بداية الشطرات الأول من القصيدة ثم يجعل الحرف الذي قبل الروي في بيت الدائرة

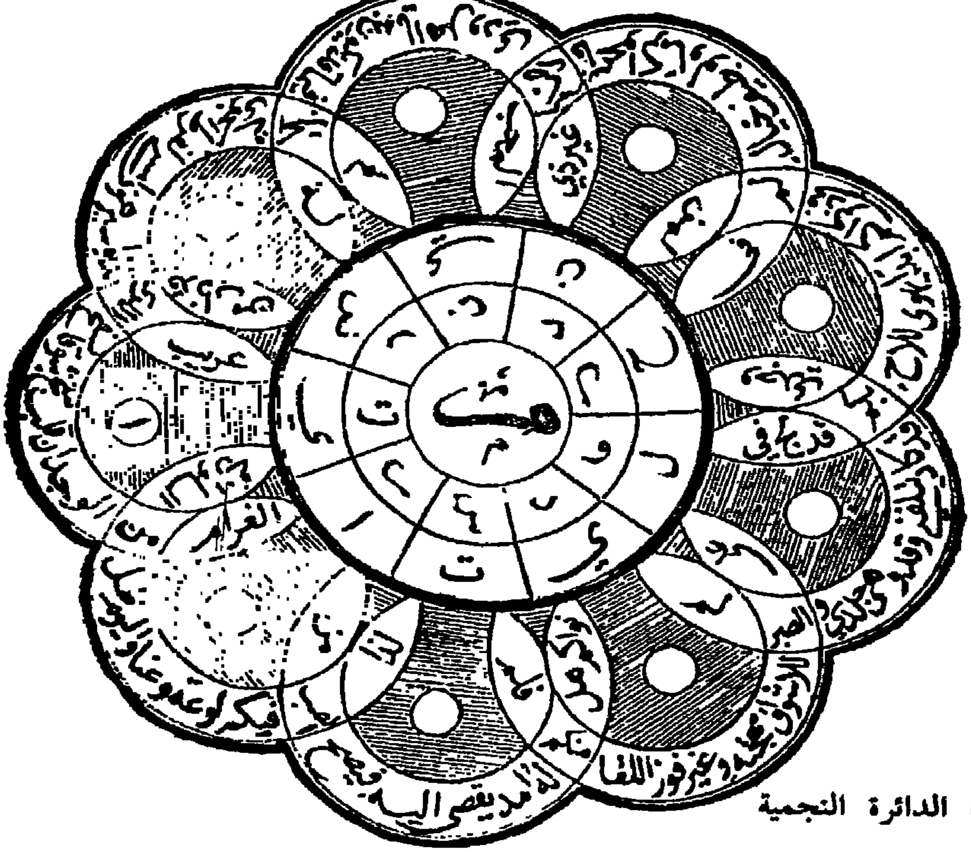
---

(١) المصدر السابق ، ص : ٤١ . وقد ذكر الآثاري (التثبيت) ، كما ذكره غلام علي في بديعيته .

(٢) المصدر السابق ، ص : ٤١ . وهو من أنواع البديع الهندي التي ذكرها غلام علي في بديعيته .

(٣) المصدر السابق ، ص : ٤٧ .

(٤) بديع التحبير ، ص : ٤٧ . وقد أشار إلى أخذه من البديع الهندي ، وهو في بديعية غلام علي .



بيت الدائرة النجمية

الثانية ثم الحرف الذي قبله في بيت من الدوائر التي تليها وتكون الدوائر الحرفية على عدد أحرف كلمات الروي ، فإن كانت ثلاثية الحروف فتكون الدوائر ثلاثاً ، وإن كانت رباعية أو أكثر فتجعل الدوائر على عددها ، وتجعل بيوت الدائرة على عدد أبيات النظم ، ثم يجعل بعد الدوائر الحرفية لكل بيت دائرة ، وينزل بقية البيت في ضمنها ، فيكون ابتداء البيت من الأحرف التي وسط الدوائر ، وختامه بهذه الأحرف أيضاً وختامها يكون ابتداء البيت الذي يليه وهكذا . »[1] .

ويخرج من بيت (الدائرة النجمية) للأدهمي الوارد في الصورة تسعة أبيات هي :

---

(١) بديع التحبير ، ٤٥ ـ ٤٦ .

ملا الغرامُ من الوجدان قَلْبَ شَجٍ ... شَوقاً لِسَفْحِ اللوى قَدْ ذابَ من ضَرَمِ
متى عُريبُ اللوى تُدني أَسِيرَ هوًى ... أمسى لِفَرطِ الجَوى في الحُبِّ لَم ينم
مُرْضٍ له الحُب فيما قد يكونُ بهِ ... يا أهلَ وُدّي رِضاكم غَيْرُ ذي ندم
مني المحب رضاكم فاسمحوا كرماً ... ولو بطيفِ خيالٍ لُمَّ في حُلُم
مدنٍ لمن لمّ في ذكراكم أبداً ... يهوى للاحٍ بكم قد لَجّ في لُوَم
ملح وجدي بكم قد كاد يتلفني ... وقد وهى جَلَدي والصبرُ لم يَدُم
مُولٍ على الصَّبْرِ للأشْواق مُهْجَتَه ... وغيرُ فوز اللقا منكم فلم تَسُم
مدي نواكم هل منكم له أمدٌ ... يقصى إليه فيصح الصبُّ من ألم
مَسّت لذا الصبِ فيكم لوعةٌ وعنا ... واليوم ظلَّ من السلْوان في يتمِ

٧٥ ـ كل كلمة من المقلوب المستوي :

وهو واضح من التسمية .

٧٦ ـ الاقتسام :

« هو أن يقسم المتكلم أشياء بين أشخاص ، ويخص في زعمه كلا منها بمن يليق به »(١) .

٧٧ ـ الاعتصام :

و « هو أن يكونَ الكلام يقرأ من أوله بوجه ومن آخره بوجه »(٢) .

٧٨ ـ إضمار النهي :

« هو أن يكون مراد المتكلم بالأمر نهياً بدلالة قرينة »(٣) .

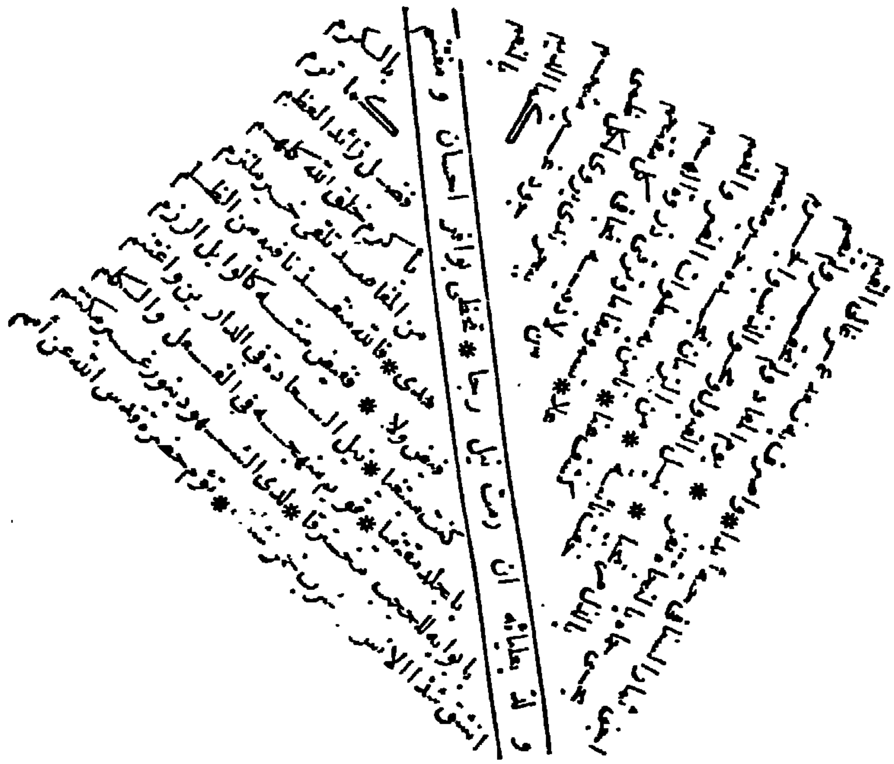
---

(١) المصدر السابق ، ص : ٥٦ . وأشار إلى انتخابه من البديع الهندي ، وقد ذكره غلام علي في بديعيته .

(٢) المصدر السابق ، ص : ٥٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص : ٥٨ . وقد ذكر الآثاري نوع (الأمر والنهي) ونوع (الإضمار) . وأشار الشارح إلى انتخابه من البديع الهندي الذي نظمه غلام علي .

نوع المشجر



بيت من المشجر

٧٩ ـ نوع المشجر :

« وهو أن ينظم الشاعر بيتاً يتم بالكلمة الأولى منه بيتاً يرقمه إلى الجهة العليا ، ثم يقرأ البيت بتمامه ، ثم يبدل الكلمة الأخيرة ، ثم الكلمتين الأخيرتين ، ثم وثم يقهقر على عكس منوال ما تقدم حتى يصل إلى أول كلمة من البيت فيتمها بيتاً ، كل ذلك مع اتحاد البحر والروي وعدم التكلف . »[1] .

٨٠ ـ الحصر :

قال شارح بديعية الأدهمي : « هذا النوع لم أره في البديع ، ولا وقفت له

(١) بديع التحبير ، ص : ٨٣ ، وقد ذكره شعبان الآثاري بغير هذا المفهوم ، وذكر نوع (المزهر) أيضاً .

على أثر . والذي يظهر لي أنه قسم من (التقسيم) إذ إن فيه استيفاء أحوال الشيء بالذكر . . وهذا من التقسيم فإن استيفاء أقسام الشيء بالذكر ضرب منه . إلا أن فيه حصر كل واحد من الأقسام المقصودة في حكم يناسبه بعد جمعها تحت حكم واحد على طريقة (الجمع مع التقسيم) وبهذا يمتاز عن نوع (التقسيم) . . »[1] .

٨١ ـ القلب :

و « هو أن يأتي المتكلم بكلام يفيد معنى من المعاني كالمدح » فإذا عكس ترتيب كلماته أفاد ضد ذلك المعنى »[2].

٨٢ ـ التشقيق :

وهو « أن يبين المتكلم شقّين لشيء فاكثر ، وأحسن هذا النوع ما يستوعب فيه الشقوق الممكنة »[3].

٨٣ ـ التلاعب :

« هو أن تبني القصيدة أو القطعة على أن تكون أوائلها مدحاً وأواخرها ذماً ، بحيث يحسن التخلص في كل بيت منها »[4].

٨٤ ـ إمكان التحويل :

« وهو أن يذكر الناظم بيتاً أو عدة أبيات على سبيل المدح ، فإذا غيّر بعض الكلمات من آخرها تحولت إلى هجاء »[5]. وقد تفرد بالأنواع الاثنين

---

(١) المصدر السابق ، ص : ٨٤ .
(٢) المصدر السابق ، ص : ٨٦ .
(٣) المصدر السابق ، ص : ٨٨ . وأشار الشارح إلى انتخابه من البديع الهندي وقد نظمه غلام علي في بديعيته .
المصدر السابق ، ص : ٩٢ .
(٥) بديع التحبير ، ص : ٩٧ .

والعشرين السابقة عبد القادر الأدهمي .

٨٥ ـ **التفضيل على التفضيل :**

« وهو أن يفضل المتكلم شيئا على شيء ، ثم يفضل على المفضل شيئا آخر ، وهلم جرا »[١] .

٨٦ ـ **تمهيد الأمر لما بعده :**

وهو « تسهيل الأمر الذي بعده بالدخول عليه بكلام سلس المعنى يكون كالترجمة لما بعده . وفائدة هذا الدخول كثرة الاعتناء بما بعده ، وذلك أنه إذا ألقى هذا التمهيد على الشخص تهيأ وألقى له بالاً وتنشط وأقبل عليه بكليّته إقبالاً ، فيسهل عليه تلقيه حتى كأنه من طرف الثمام يجتنبيه» [٢] .

٨٧ ـ **هضم النفس :**

« وهو تنزل الشخص عالي المقدار عن حقه ومقامه في كلامه لأبناء جنسه تواضعاً لله الواحد القهّار » [٣].

٨٨ ـ مساواة القصد :

« وهو أن يتساوى شخصان مثلا في إصابة مرام ، فيسعيان في طلبه وإن لم يحصله أحدهما على وجه التمام »[٤].

٨٩ ـ **الداعي :**

« وهو السبب في التأليف نثراً كان أو نظما ، فيذكره المتكلم في تصنيفه

---

(١) طالع السعد الرفيع ، ص : ٥٧ . وقد ذكره غلام علي في بديعيته .
(٢) المصدر السابق : ص : ١١٠ . وقد ورد نوع (تمهيد الدليل). انظر ص ٢٦٤ .
(٣) المصدر السابق ، ص : ١٩٠ .
(٤) المصدر السابق ، ص : ١٩١ .

لينمو إقبال من وقف عليه ويزداد نشاطاً وعلماً »[1] .

٩٠ ـ الافتخار المطلوب :

« وهو التحدث بالنعمة شكراً لله تعالى »[2] .

٩١ ـ عدد الأنواع والأبيات بحساب الجمل :

« وهو عبارة عن أن يأتي الشاعر أو المتكلم بكلمة أو كلمات إذا حسبت حروفها بحساب الجمل من حروف (أبجد) إلى آخرها بلغت العدد الذي أراده »[3] .

٩٢ ـ التخصيص :

« وهو أن تخص الخاص بعد العام بالذكر اعتناء بشأنه وتفخيماً لأمره وتعظيماً لقدره »[4] .

والأنواع الثمانية السابقة تفرّد بها عبد الحميد قدس ، باستثناء (عدد الأنواع والأبيات) و(الداعي) كما أشرت وأشار .

* * *

هذه هي الأنواع البديعية المفردة والمجزأة التي أوردها أصحاب (البديعيات) في بديعياتهم زيادة على أول بديعية عرفناها عند الصفي الحلي .

ونظرة إلى هذه الأنواع تجعلنا نستطيع تخيل صورة أولية لحياة البديع وأنواعه خلال سبعة قرون تقريباً ـ من عمر التراث العربي ـ .

---

(١) المصدر السابق ، ص : ١٩٨ . وقد أشار إلى أسبقية الخطيب الزفتاوي له ، وإلى إيراده من قبل ابن محرز ، تلميذ السيوطي .

(٢) طالع السعد الرفيع ، ص : ١٩٩ . وقد ذكر الآثاري نوع (الفخر) .

(٣) المصدر السابق ، ص : ٢٠٢ . وقد سبقه إلى هذا النوع الحميدي في بديعيته .

(٤) المصدر السابق ، ص : ٢٢٠ .

كما تعيننا على رسم صورة للمفهوم الذوقي والجمالي والبلاغي في ذلك العصر مع توضيح مفهوم التقليد والمحافظة على القديم مع النزعة إلى شيء من التجديد في نفوس الناس .

موقفنا من البديع والبديعيات

آ ـ موقفنا من البديع :

لعل فن (البديع) قد حمل في ذاته إباحية التجديد فيه قبل أن يصرح بذلك ابن المعتز ، فإذا كان البديع في اللغة : الجديد ، فهذا ما انطبق على هذا الفن بدءاً من بذوره الأولى ، وانتهاء بفروعه المتطاولة المتشابكة .

وإن كان ابن المعتز قد وجد الكمال في خمسةٍ من الأنواع ، أو بضعةَ عشرَ نوعاً ، واقتصر على ذلك مكتفياً به ، فإن غيره ممن تلاه لم يكن يمتلك ذوقه ونظرته ، واقتداره ومعرفته ، ولا حتى قناعته .

ولذلك فإننا عندما نذكر أنواع البديع الأُولى التي تبلورت في القرن الهجري الثالث مع ما وصلت إليه بعد أحد عشر قرناً، نكاد نذهل مما بين أيدينا وندهش له ، فقد بلغت أنواع البديع على تراخي الأيام نحواً من أربعمئة نوع ـ فيما استطعت الوصول إليه ، والتنبيه عليه ـ، فباب البديع كان مفتوحاً وما زال كذلك ، فهل المقصود هو هذا ؟

هل المقصود أن نعمد إلى النوع العالي الرفيع ، الذي يحمل في طياته أرقى أنواع الصور الفنية الجمالية بدلالتها الخفية على مكنون الصدر وخبايا النفس ، ثم نجرد عليه مِدْية جزار تقطع أوصاله وتجعله إرْباً إرباً بحيث يكاد يعجز الفاعل على حصر تلك الأجزاء، فيصبح النوع مبتذلاً خسيساً ينفر المرء من أقسامه قبل أن يعرف جوهره، ويدرك جماله؟

أم المقصود أن نشن الغارة على اللغات الأخرى ، نقتنص منها أنواعاً جديدة ، أو نستجديها للحصول على أنواع نضيفها إلى ما عندنا مفاخَرةً واستكثاراً ، وإن لم تكن تلك الأنواع من أساليبنا ، ولا يألفها ذوقنا وحسّنا، وهل عجزت لغتنا وعقمت بلاغتنا لنمد الأيدي ـ معترفين ـ إلى غيرنا ؟؟!

فقد فعل هذا عددٌ من أصحاب (البديعيات)، على الرغم من أن الأصل أن يؤخذ البديع العربي إلى غيره من اللغات . وهذا ما صنعه غلام علي آزاد عندما أخذ أسلوب العرب وطريقتهم في نظم أنواع البديع ، وتوارد في عدد من الأنواع مع أنواع بديعية عربية معروفة قبله. وفي هذا ما فيه من دلالة على مكانة اللغة العربية ، وبلاغتها ، وحيويتها . وبالطبع فليس المقصود أيضاً أن يكون البديع مباحاً للجميع بلا استثناء ، يجترىء عليه كل أحد ، ويطاول الضِعاف الأقوياء، ويزاحم البُغاثُ النسورَ الشواهين في استنباط أنواعه واستخراجها ، ليقدموا منها ما هو إلى عَبَث الوليد وأثر الطريد أقرب منه إلى أن يدرج مع أنواع فن من الفنون ، في كثير من الأحيان ؟؟

فأنا لا أظن هذا ، ولا إخال ذاك .

ومما لا شك فيه أن كثيراً من أنواع البديع التي إن وضعت بالأصل لتزيين اللفظ كانت تحمل في ثناياها مدلولات نفسية ، وإشارات معنوية ، تفيد المعنى أيما فائدة ، وتضفي على اللفظ بهاءً ورونقاً .

وقد استطاع الدكتور سلطاني ، من خلال توقفه أمام مجموعة من الأنواع البديعية والبيانية أن يغوص في صميم النوع البديعي ، ويستنبط منه ما يحمله في أثنائه من دلالات ، ويظهر ما في خباياه من إثارة وإيحاءات .

فالطباق مثلا « هو الجمع بين معنيين متضادين ، وذلك لإثارة القارىء وإيقاظ نفسه ، وتعميق الشعور بالمعنى عنده عن طريق إبراز المفارقة بشكل أكثر

جلاء من خلال المجاورة بين الضدين »[1] .

وحسن التعليل : « هو أن يتجاهل الأديب العلة الحقيقية للأشياء ، فيأتي بعلة أخرى تعكس ما في نفسه، وتكشف عن موقفه أو شعوره هذا إذا كان أداؤه عفوياً صادقاً . لذا فإن (حسن التعليل) نافذة نطل منها على العالم الداخلي للشاعر من خلال تفسيره للأشياء ومظاهر الحياة من حوله »[2] .

وإن موقفاً علمياً من الأنواع هذه نتائجه لهو أحق أن يُتَّبع ويُتابع ، وهو ما تحتاجه البلاغة بفنونها عامة ، والبديع بأنواعه خاصة ، لنظهر الجانب المشرق من هذه الفنون والذي خفي على كثير من الباحثين والمتعلمين ، فظنوا البديع عبثاً أو شيئاً من صناعته .

ونحن نعلم علم اليقين أن كثيراً من الأنواع البديعية إنما تحمل في طياتها دلالات نفسية ، وإشارات موحية ، إضافة إلى تنميق اللفظ وتحسين وقعه ، ولذلك فإننا عندما نعمد إلى هذه الأنواع لَنميزَ الخبيث من الطيب ، ونظهرَ جمال هذا الطيب المستملح ومدلولاته وكيفية الاستفادة منها ، نكون قد أسدينا خدمة لأساليبنا أولاً وأعدنا الاعتبار للتراث والبلاغة بعد ذلك ، إذ نحن في عصر مُسخت فيه صورة البلاغة ، وشاهَت في أذهان الكثير من المتعلمين بَلْه الناشئة ، وتناءت عن جواهرها الأذهان ، ونفرت من دررها الألسن ، إلا من رحم ربك ، وقليلٌ ما هم .

ثم إن تلك الأنواع البديعية ، على كثرتها ، إنما يمكن حشرها في زمر لكل زمرة وشائج قربى مع أعضائها .

فزمرة ناجية يصدق فيها اسم البديع ومعناه كانت محترمة وما زالت لعلو

---

(1) البلاغة العربية في فنونها ، ص : ٢٣ .
(2) المصدر السابق ، ص : ٣٢ .

مكانتها وحسن استخدامها ، مع ما تتضمنه من دلالات نفسية غنية ، وهذه يمكن للإنسان أن يستخرجها من بين ذلك الحشد من الأنواع ، فهي لا تخفى على ذي بصيرة وذوق .

وزمرة هي للتسلية وملء الفراغ أقرب منها إلى انواع البديع ، من مثل تلك الأنواع التي تشققت وانفصلت عن (الحذف) و(التوزيع) (كالأرقط)، و(الأخيف)، و(المقطوع) و(الموصول) . . هذه الأنواع التي يمكن أن نضيف إليها الآن (حل الكلمات المتقاطعة) لتكتمل الجوقة ، ويزداد الطنبور نغماً ، فيطرب لها ، ويستمتع بها كل خالٍ !!

وزمرة منها هندسية الطابع والتكوين ، وهي أقرب ما تكون إلى فن العمارة وزخرفته ، وتصلح لأن تكون زخرفة تزيينية توشح بها البيوت ، وتجمل بها العمارات ، وهي قريبة من الفن العربي الإسلامي الذي امتاز عن غيره باستخدام الخطوط حلية وزينة ، بل هي تدخل في صميمه . ومن هنا فإننا عندما ننظم نوع (المشجَّر)، أو (الدائرة النجمية) ونزين به بناء ما ، أو نجعل منه لوحة فنية طريفة فإننا نكون عند ذلك قد كشفنا عن نوع من الفن والذوق في وضع هذا الفن مكانه ، أما أن يكون مثل هذا وسيلة أدبية للتعبير يسعى كل بليغ مفوّه إلى تطريز كلامه به ، ليبلغ من مخاطبه ما يريد . . فحسبنا الله ونعم الوكيل .

وزمرة منها كصديق ثقيل زارك في وقت فراغ ، فإما أن تقبله على علاته لملء فراغك ، وإما أن تخشى منه الإطالة والتعطيل فتضيق منه وتتبرم من زيارته وهو على الحالتين زائر . . وهذا حال كثير من أنواع البديع التي تجزأت وانفصلت عن أصولها ، وكان يُجْزِىء في كثير منها الأصل عن الفرع .

وهناك بعض الأنواع التي تعبر عن موقف بعينه ، وتلتصق بهذا الموقف لنكتة ما ، أو لتوضيح حالة معينة ، فإنها تكون مستملحةً في حينها ، مقبولة في

مثله ، ولكن عندما تصبح قاعدة عامة ، يُلتزم بها ويُستكثر منها ، فإنها تَسْمُج وتستثقل .

فذاك الفقير الذي أرسل إليه أصحابه أنِ اقترح أكلة نطبخها ونحضر إلى أكلها ، وكان محتاجاً إلى غير الطعام فأجابهم :

قَالوا : : اقْترِحْ شَيْئاً نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ   قُلْتُ : اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وقَمِيْصا

هذا الانسان ، بهذا الجواب وهذا الموقف ، يُقبل منها هذا ويُستملح ، إضافة إلى ما له من دلالة على ما يختلج في نفسه من أمور .

ولكن هيهات أن نجد مثالاً بهذا الصدق وهذه الدلالة عندما يصبح المقصود أن ننظم لإظهار النوع لا لأنّ الموقف استدعى ذلك النوع .

فقد أصبح (البديع) عند بعض من اجترأ عليه مهارة ومضماراً لإبراز المقدرة على استخراج ما يصبح أن يسمى بالألاعيب ، ولم يعد النوع البديعي عندهم ذا مهمة معينة ودلالة خاصة .

وعلى الحالات كلها يبقى (البديع) فناً ذوقياً ، يدل على دخيلة صاحبه ومقدرته الفنية والذوقية ، بما يحمله من حسن اختيار ، وروعة استخدام .

وليعد كلامي هذا دعوة إلى (البديع) ، وحملةً من أجله ، ولكنها حملة مقرونة بشرطين :

أولهما : أن يُتابع ما بدأ به الدكتور سلطاني من البحث عن العامل النفسي الكامن وراء النوع البديعي والإفادة من دلالته في الاستعمال .

وثانيهما : أن يوصد باب استخراج أنواع جديدة منه أمام الباحثين ، ويقتصر الأمر على تذوق أساليب الأداء مقرونة بتجارب أصحابها ومواقفهم الشعورية . . فحاجة البديع في عصرنا ليست في إضافة وجوه جديدة ، بقدر حاجته إلى التعمق في فهم ما هو جدير مما وصلنا من وجوه زادت على أربعمئة

نوع ، مستفيدين في ذلك من ثقافة العصر وبحوثه في ميادين الجمال والنفس وفنون النقد والموسيقى . . فتبلغ وجوه البديع مداها الأغنى في أساليب الكتّاب والشعراء والمنشئين .

* * *

ب ـ موقفنا من البديعيات :

وبعد هذه الرحلة مع فن طريف من فنون الشعر العربي ، تأخّر ظهوره ، ولكنه عُمِّر طويلاً حتى قارب سبعة قرون ، ولا نستطيع الجزم بانتهائه ، بعد هذه الرحلة بكل همومها ومتاعبها ومخاطرها ، وبكل جمالها وروعتها ومتعتها وطرافتها ، مع ما حملته من جديد ، بعد كل هذا . . ما أنا فاعل ؟

لعل شكاً قد ساور النفوس بعد هذا البحث في تخمين النتيجة ، فانقسم الرأي وأصحابه إلى فريقين :

أما الفريق الأول فيراني داعياً إلى (البديعيات) ، مؤيداً لها ، ومحرضاً على إعادة فتح بابها وتعبيد السبيل أمامها ليستمر ركبُها وتنطلق قافلتها عبر ضمير هذه الأمة وتراثها .

كيف لا ، وأنا الذي عشت معها فترة من حياتي ، ووهبتها ما أعانني الله من جهدي ، واسترجعت معها ذكريات الأمس الجميل ، وهي بنت هذه الأمة وربيبة تراثها ؟!

وأما الفريق الثاني فيرى أنني سأناصبها العداء ، وأواجهها بالجفاء وأحمل راية العصيان عليها ، وأشق عصا الطاعة في وجهها .

ولم لا ، وقد عانيت من صحبتها ما عانيت ، وأنا الذي خَبِر مواطن ضعفها وأماكن سقطاتها ، ووعورة مسالكها ، وعثرات السالكين إليها ، وما توارد عليها من الحُفَّاث والبُغاث فأنهكها وشوه صورتها ، وأضمر مكنونها وغطى

خبيثها ، وجعلها تئن بأثقالٍ لا قِبل لها بها ، ولا من مغيث ، وهي التي حملت معها كل ذلك ؟

والحق ، إنه ليمكنني أن أجد لكل فريق سبباً ، وأن ألتمس له عذراً . ولكنني إن اخترت أمراً عَواناً بين ذلك فلا يكون هذا حباً بمخالفة ما يحتمل وقوعه ، ولا جرياً وراء « خير الأمور أوسطها » ، على نزاهة قائله وعلو غايته ، ولكن لأنه هو الموقف الذي يجب أن يكون ، والذي يبعثه البحث وطبيعته .

فليس من الصواب أن ندعو الآن إلى (البديعيات) ، وأن نجعل منها مقياساً للشاعرية ، وذروة لا يبلغها إلا كل مقتدر ولا ينالها إلا كل صبور إذ لكل زمان مقاييسه وأهله وشعراؤه . فقد نشأت المنظومات العلمية مثلاً في فترة من فترات تراثنا ، وانتشرت بين الناس انتشاراً كبيراً ، وكادت تتحول العلوم كلها بقواعدها إلى منظومات وما يتفرع عنها[1] ، وحاكتها (البديعيات) من جانب ، ولكن هذه المنظومات لا تصلح اليوم لما صلحت له بالأمس ، لا جحداً لفضلها ، وإنكاراً لصنيعها في وقتها ، ولكن لعلمنا بأنفسنا وحياتنا وبيئتنا وما يتناسب معها .

و (البديعيات) هذا حالها ، لم تعد معياراً للشاعرية ، ومقياساً للأديب ، ولا وسيلة للشهرة ونيل الحظوة لدى الناس والسلطان فما حَمَلها في يوم ما إلى قلوب الخاصة والعامة قد لا نجده اليوم ، بل كاد يكون معدوماً . والأذواق التي قبلتها بالأمس ، ليست هي اليوم ، ولا غدا .

---

(١) ولعل سبب هذا الانتشار في تلك الفترة هو محاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه من التراث العربي الإسلامي عن طريق نظمه في متون ومنظومات يسهل حفظها بعد أن اجتاحت الأخطار مشرق العالم الإسلامي ومغربه ، ولم يبق سوى بلاد مصر والشام التي كانت تصد الضربات في مدى قرنين ، حتى أفلحت في التخلص من هذا الخطر الماحق . ولا ننسى الغاية التعليمية أيضاً التي تستخلص من مثل هذا العمل الشعري التعليمي .

ولكن إذا نظم شاعر بديعية اليوم أو غداً فماذا نقول له ، وبأي وجه نقابله ؟! أنرد عليه صنيعه ، ونعنّفه على فعلته ، ونتهم شاعريته . .؟ بالطبع لا .

وإن كنت أرى أن (البديعيات) قد أدت دورها كاملاً في أيامها ، وفُرِّغ فيها كل ما يمكن أن يضاف إليها . ولكن لا أستطيع الجزم أن أحداً لن ينظم بديعية فيما بعد ، ذلك لأن طبيعة الإنسان تحتمل أن يوجد شاعر أو باحث مقلد يود محاكاة السابقين ، وهذا ظهر جلياً في (البديعيات) خلال سبعة قرون ، وخير مثال يمكن أن يدعم هذا الافتراض ما فعله حلمي محمد القاعود ـ وهو من الأدباء المعاصرين ما زال حياً يرزق ـ فقد أكبر صنيع علي أحمد با كثير في بديعيته ، واختارها من بين إنتاجه ليخصها بنشر جديد مع شرح لها ، ومن يعجب الآن ببديعية ويشرحها ، قد يعجب بأسلوبها وطريقتها فيحاكيها ويعارضها . وليس لي أن أضمن نقيض ذلك .

* الخاتمة *

ولا بد من الإشارة أخيراً إلى بعض القضايا التي يمكن للباحث أن يثيرها ويتوقف عندها قليلاً من خلال حياة (البديعيات) الطويلة .

وأولى هذه القضايا ما تميزت به (البديعيات) من ظاهرة المعارضة والتقليد ، وقد سبقت الإشارة إلى أن كثيرين من أصحاب (البديعيات) قد صرحوا بمعارضتهم لسابقيهم ممن اشتهروا في هذا الفن .

ولو أردنا أن نفسر هذه الظاهرة لالتمسنا لها جذوراً من المناقضات الشعرية التي كانت في الشعر الجاهلي : والأموي بعده ، ومن المناظرات الأدبية التي تألقت في العصر العباسي أيضاً .

ولعل اتساع رقعة الدولة ، واختلاط الناس ، والتخفيف من حدة

الافتخار بالنسب والرجوع إليه ، مع انتشار الثقافة والعلم والتغيير الذي طرأ على كثير من القيم ، كل ذلك أدى إلى الحد من المناقضات إلى مرحلة ذهبت معها وانتهت ـ أو كادت ـ . وربما جاءت المعارضات الشعرية عامة ، ومن خلال المدائح النبوية والبديعيات خاصة ، على أنها استمرار لما يخالط نفوس الناس من حب التفوق والتقدم الذي وجد له مجالاً رحباً في المناقضات والمناظرات أولاً ، وفي المعارضات الشعرية ثانياً .

وظاهرة ثانية يمكننا الوقوف عندها تلك التي تمثلت في نظم المعارف العلمية شعراً .

ولست هنا في مجال البحث عن جذور هذه الظاهرة ونشأتها ، ولكن يكفي أن تكون هذه الظاهرة قد تبلورت واتضحت قبل ظهور (البديعيات) بأكثر من قرن ثم جاءت (البديعيات) لتحاكي هذه الظاهرة بجانب من جوانبها في نظمها لجميع أنواع علم (البديع) في قصيدة ، وهذا يعني أن الذوق العام في ذلك العصر كان متجهاً إلى هذه الحالة ، متقبلاً لها ، ولذلك كان من الطبيعي أن ينشأ فن (البديعيات) في وقته .

وثمة ظاهرة أخرى إن دلت على شيء فإنها تدل على الفراغ الذي كان يحياه الشعراء ـ أو معظمهم ـ عصرئذٍ . ولذلك ليس من الغريب أن يلجؤوا إلى المنظومات العلمية ، ونظم أنواع البديع في قصائد ، هذه الظاهرة هي الإكثار من نظم (البديعيات) عند الشاعر الواحد . إذ نجد عدداً من أصحابها قد نظموا غير بديعية ، وكان أولهم عزالدين الموصلي الذي نظم بديعيتين ، ثم جاء شعبان الآثاري ، عَلَم (البديعيات) لا لينظم ثلاث بديعيات فحسب ، بل ليتفرد بالطوال منها ، وإن كان لتفاوت عدد أبيات البديعيات بين شاعر وآخر مدلول آخر ربما ، وهو قصر باع الشاعر في هذا المجال ، ومع ذلك فهو يُقحم نفسه فيه لِيُعدَّ من أعلام هذا الفن الذي أصبح ذا مكانة رفيعة في قلوب الخاصة والعامة

فهذه الظاهرة توحي بأن نظم البديعية لم يكن دوماً من أجل جمع أنواع البديع ، إذ لو كان الأمر كذلك لما احتاج الشاعر إلى أكثر من بديعية ، ولكن حب التفوق والفراغ ، كانا يدفعان الناظم أحياناً إلى نظم غير بديعية ، ولعلك تجد مصداق هذا من خلال لمحة سريعة تلقيها على (البديعيات) وأعلامها .

ولئلا يُظن أن حب المعارضة والتفوق هو الذي حمل جميع الشعراء على نظم بديعياتهم لا بد لي من الإشارة إلى أن عدداً من الشعراء كانوا ينظمون بديعياتهم بقصد مدح النبي ﷺ قبل كل شيء ، ومن ثم ترصيع هذا المديح بأنواع (البديع) . وما من شيء أكثر دلالة على ذلك مما أشار إليه الصفي الحلي عن سبب نظم بديعيته . ومن ثم ما جاء في بديعية ابن جابر الأندلسي الذي انتهى من نظم أنواع البديع ، إلا أنه لم ينته من معاني المديح التي تختلج في نفسه ويود إفراغها في هذه القصيدة ، فاستمر في نظم بديعيته مضيفاً إليها ستة وعشرين بيتاً خالية من أنواع بديعية جديدة ، ولكنها مليئة بمعاني المديح النبوي . فلو كانت غايته نظم أنواع البديع فقط لتوقف دون هذه الأبيات .

وكذلك عندما يشار إلى أن بديعية قد جمعت (١٥٠) نوعاً بديعياً فقط ، بينما أبياتها (٢٥٠) بيتاً ، فإن في هذا أيضاً ما فيه من الدلالات التي تؤيد كلامي السابق .

ومما يذكر (للبديعيات) من فضل أنها كانت مجالاً فسيحاً اتسع لأنواع البديع غير العربية ، وذلك عندما نظم غلام علي آزاد بديعيته التي جمعت أنواع البديع الهندي ، وحسب (البديعيات) العربية بأسلوبها وشكلها ولغتها أنها احتضنت ذلك وقَبِلته وساغت له ، موحية بعظمة هذه اللغة وأساليبها المرنة وحيويتها .

كما أعجبت (البديعيات) ـ شكلاً ومضموناً ـ الشعراء النصارى ، فأقبلوا عليها متخذين منها وسيلة لمدح السيد المسيح ـ عليه السلام ـ وهذا هو التغيير

الوحيد الذي أدخلوه عليها ، بعد أن نشأت في أحضان الشعراء المسلمين وبين ظهرانيهم نحواً من أربعة قرون ويزيد ، حتى إذا اكتمل وضعها، وتم بنيانها ، ولجَه الشعراء النصارى يحملهم على ذلك كل ما وجدوه فيها من إغراء .

ولعل ما في (البديعيات) من إغراء هو الذي حملها وطاف بها معظم أصقاع الدولة ، حتى وصل إلى المغرب العربي ، والأندلس أيضاً ، وإن كنا لا نملك عن الأندلسيين سوى بديعية ابن جابر الذي وفد إلى بلاد المشرق ، واستقر فيها حتى وفاته .

تلك كانت بعض قضايا (البديعيات) التي تلفت الباحث إليها ولعل استمرار البحث يكشف قضايا أخرى ، ويوضح كثيراً منها ، مع الكشف عن (بديعيات) جديدة ، وشروح أخرى ، وأخبار مفيدة .

* والحمد لله أولاً وآخراً ، إليه يُرفَع الكَلِم الطيب ، وإليه المناب *

نموذجان من البديعيات

الكافية البديعيّة في المدائح النبويّة

لصفي الدّين الحلي (1)

براعة الاستهلال والتجنيس المركب والمشتبه

إنْ جِئْتَ سَلْعاً فَسَلْ عَنْ جِيْرَةِ العَلَمِ وَاقْرِ السَّلاَمَ عَلَى عُرْبٍ بِذِي سَلَمِ

الملفق

فَقَدْ ضَمِنْتُ وجُودَ الدَّمْعِ مِنْ عَدَمٍ لَهُم ، وَلَمْ أَسْتَطِعْ مَعْ ذاكَ مَنْعَ دَمِي

المذيّل واللاحق

أَبِيْتُ ، والدَّمْعُ هَامٍ هامِلٌ سَرَبٌ والجِسْمُ في إِضَمٍ لَحْمٌ عَلَى وَضَمِ (2)

التام والمطرّف

مِنْ شَأْنِهِ حَمْلُ أَعْبَاءِ الهَوىٰ كَمَداً إذا هَمَىٰ شَأْنُهُ بالدّمْعِ لَمْ يُلَمِ

المصحّف والمحرّف

مَنْ لِي بِكُلِّ غَرِيْرٍ مِن ظِبَائِهِمِ غَرِيْرِ حُسْنٍ يُداوي الكَلْمَ بِالكَلِمِ

---

(1) ديوانه ، ص : ٦٨٥ - ٧٠٢ .

(2) السرب : السائل . الإضم : الحقد والحسد والغضب ، وجبل ، والوادي الذي فيه المدينة النبوية . الوضم : خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم .

اللفظي والمقلوب

بِكُـلِّ قَدٍّ نَضِـيرٍ لا نَظِيْرَ لَـهُ ما يَنْقَضِي أَمَلِي مِنْـهُ ولا أَلَمِي

المعنوي

وكُلِّ لَحْظٍ أَتَى بِاسْمِ ابْنِ ذِي يَزَنٍ فِي فَتْكِهِ بالمُعَنَّى ، أَوْ أَبِي هَرِمِ

الطباق

قَدْ طَالَ لَيلِي وأَجْفَاني بِهِ قَصُرَتْ عَنِ الرّقادِ ، فَلَمْ أُصْبِحْ وَلَمْ أَنَمِ

الاستطراد

كـأنَّ آنـاءَ لَيْـلِي في تَـطَاوُلِهـا تَسُوفُ كاذِبَ آمـالِي بِقُرْبِهِمِ[1]

التوشيح

هُم أَرْضَعُوني ثُدَيِّ الوَصْلِ حَافِلَةً ، فَكَيْفَ يَحْسُنُ مِنْها حَالُ مُنْفَطِمِ

المقابلة

كانَ الرِّضىٰ بِدُنُوِّي مِن خَواطِرِهِم فَصارَ سُخْطِي لِبُعْدي عَنْ جِوارِهِمِ

اللف والنشر

وَجْدِي حَنِيْنِي أَنِيْنِي فِكْرَتِي وَلَهِي مِنْهُمْ إِلَيْهِم عَلَيْهِم فِيْهِم ، بِهِمِ

التذييل

لِله لَذَّةُ عَيْشٍ بالحَبِيْبِ مَضَتْ فَلَمْ تَدُمْ لِي ، وغَيْرُ اللّهِ لَمْ يَدُمِ

الالتفات

وعـاذلٍ رَامَ بالتَّعْنِيفِ يُـرْشِدُني عَدِمْت رُشْدَكَ هَلْ أَسْمَعْتَ ذا صَمَمِ

التفويف

أقصِرْ أَطِل اِعْذرِ اعْذُلْ سُلَّ خَلِّ أَغِنْ خُنْ هنّ عنّ تَرَفَّقْ كُفَّ لُجَّ لُمِ

---

(١) آناء الليل : ساعاته .

الهزل الذي يراد به الجد

أشْبَعْتَ نَفْسَكَ مِنْ دَمِّي فَهَاضَكَ ما تَلْقى ، وأَكْثَرُ مَوْتِ النَّاسِ بِالتُّخَمِ

عتاب المرء نفسه

أنا المُفَرِّطُ أَطْلَعْتُ العَدُوَّ عَلَى سِرِّي ، وَأَوْدَعْتُ نَفْسِي كَفَّ مُخْتَرِمِ

ردُّ العجز على الصدر

فَمِي تَحَدَّث عَن سِرِّي فَمَا ظَهَرتْ سَرَائِرُ القَلْبِ إلاّ مِنْ حَدِيْثِ فَمِي

الموازنة

لأنْتَ عِندي أَخَصُّ النَّاسِ مَنْزِلَةٍ إذْ كُنْتَ أَقْدَرَهُم عِنْدِي عَلَى السَّلَمِ

الهجاء في معرض المدح

مِنْ مَعْشَرٍ يُرْخِصُ الأَعْراضَ جَوْهَرُهُم ويَحْمِلُونَ الأذىٰ مِنْ كُلِّ مُهْتَضِمِ

التهكم

مَحَضْتَ لِي النُّصْحَ إحْساناً إلَيَّ ، بلا غشٍّ ، وَقَلَّدْتَنِي الإنْعامَ ، فَاحْتَكِمِ

الإيهام

لَيْتَ المَنِيَّةَ حالَتْ دُوْنَ نُصْحِكَ لِي فَنَسْتَرِيحَ كِلانا مِنْ أَذَى التُّهَمِ

النزاهة

حَسْبِي بِذِكْرِكِ لِي ذَمّاً وَمَنْقَصَةً فيما نَطَقْتُ ، فلا تُنْقِصْ ولا تَذُمِ

التسليم

سَأَلْتُ في الحُبِّ عُذَّالِي ، فما نَصَحُوا وهَبْهُ كانَ ، فما نَفْعِي بِنُصْحِهِمِ

التخيير

عَدِمْتُ صِحَّةَ جِسْمِي مُذْ وَثِقْتُ بِهِم فما حَصَلْتُ عَلَى شَيءٍ سِوى النَّدَمِ

القول بالموجب

قالوا : سَلَوْتَ لِبُعْدِ العَهْدِ ، قُلْتَ لَهُم : سَلَوْتُ عَنْ صِحَّتِي والبُرْءِ مِن سَقَمي

الافتتان

ما كُنْتُ قَبْلَ ظُبَى الألحَاظِ قطُّ أرَى   سَيْفاً أراقَ دَمِي إلاّ على قَدَمِي

المراجعة

قالُوا : اصْطَبِرْ . قُلْتُ : صَبْرِي غَيْرُ مُتَّسِعٍ   قالُوا : اسْلُهُم ، قُلْتُ : وُدّي غَيْرُ مُنْصَرِمِ

المناقضة

وإنّي سَوْفَ أَسْلُوهم ، إذا عَدِمَتْ   رُوحِي ، وأُحْيِيتُ بَعْدَ المَوتِ والعَدَمِ

التغاير

فاللّهُ يَكْلأُ عُذّالِي ، ويُلْهِمُهُم   عَذْلي فَقَدْ فَرَّجُوا كَرْبِي بِذِكْرِهِمِ

الاكتفاء

قالُوا : أَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الحُبَّ غَايَتُهُ   سَلْبُ الخَواطِرِ والأَلْبَابِ ؟ قُلْتُ : لَمِ

تشابه الأطراف

لَمْ أَدْرِ قَبْلَ هَواهُم ، والهَوى حَرَمٌ   أنَّ الظِّبَاءَ تُحِلُّ الصَّيْدَ في الحَرَمِ

الاستدراك

رَجَوْتُ أَنْ يَرْجِعُوا يوماً فَقَدْ رَجَعُوا   عِندَ العِتابِ ، ولٰكِنْ عَن وَفا ذِمَمِي

الاستثناء

فَكُلّما سَرَّ قَلْبي ، واسْتَراحَ بِهِ   إلاّ الدُّمُوعَ عَصَاني بَعْدَ بُعْدِهِمِ

التشريع

فَلَوْ رَأَيْتَ مُصَابِي عِنْدَما رَحَلُوا   رَثَيْتَ لِي مِنْ عَذَابِي يَومَ بَيْنِهِمِ

التمثيل

يا غائِبِينَ ، لَقَدْ أَضْنَىٰ الهَوىٰ جَسَدي   والغُصْنُ يَذْوي لِفَقْدِ الوَابِلِ الرَّزِمِ (١)

---

(١) الوابل : المطر الغزير . الرزم : الذي لا ينقطع .

تجاهل العارف

يا لَيْتَ شِعْرِي أَسِحْراً كَان حُبُّكُمُ — أَزَالَ عقْلِيَ ، أَمْ ضَرْبٌ مِنَ اللَّمَمِ[1]

إرسال المثل

رَجَوْتُكُم نُصَحَاء في الشَّدائد لي — لِضَعْفِ رُشْدِيَ ، واسْتَسْمَنْتُ ذا وَرَمِ

التتميم

وكَم بَذَلتُ طَرِيفي والتَّلِيْدَ لَكُم — طوعاً ، وأرْضَيْتُ عَنْكُم كُلَّ مُخْتَصِمِ

الكلام الجامع

مَنْ كَان يَعْلَمُ أَنَّ الشُّهْدَ راحَتُه — فلا يَخَافُ لِلَذْعِ النَّحْلِ مِنْ أَلَمِ

التوجيز

خِلْتُ الفَضَائِلَ بَيْنَ النَّاسِ تَرْفَعُنِي — بِالابْتِدَاءِ ، فَكَانَتْ أَحْرُفَ القَسَمِ

القسم

لا لَقَّبَتْنِي المَعَالي بِابْنِ بَجْدَتِها — يَومَ الفَخَارِ ، ولا بَرَّ التُّقى قَسَمِي

الاستعارة

إنْ لَم أَحُثَّ مَطَايا العَزْمِ مُثْقَلَةً — مِنَ القَوافِي تَؤُمُّ المَجْدَ عَنْ أَمَمِ

مراعاة النظير

تِجارُ لَفْظِي إلى سُوقُ القَبُولِ بِهَا — مِنْ لُجَّةِ الفِكْرِ تُهْدِي جَوْهَرَ الكَلِمِ

براعة التخلص

مِنْ كُلِّ مُعرَبَةِ الأَلْفَاظِ مُعْجَمَةٍ — يَزِيْنُها مَدْحُ خَيْرِ العُرْبِ والعَجَمِ

الاطراد

مُحَمَّد المُصْطَفى الهَادِي النَّبِيِّ أَجَـ — ـلِّ المُرْسَلِينَ ابْنُ عبدِ اللَّهِ ذي الكَرَمِ

---

(١) اللمم : الجنون .

التكرار

الطَّاهِرُ الشِّيَمِ ابْن الطَّاهِرِ الشِّيَمِ ابْـ ـنِ الطَّاهِرِ الشِّيَمِ ابْنِ الطَّاهِرِ الشِّيَمِ

التورية

خَيْرُ النَّبِيِّيْنَ ، والبُرْهَانُ متَّضِـحٌ في الحَجْرِ عَقلاً ونَقْلاً واضِحُ اللَّقَمِ (١)

المذهب الكلامي

كَمْ بَيْنَ مَنْ أَقْسَمَ اللَّهُ العَلِيُّ بِهِ وبَيْنَ مَنْ جاءَ باسْمِ اللَّهِ في القَسَمِ

التوشيع

أُمِّيُّ خَطٌّ أبـانَ اللَّهُ مُعْجِـزَهُ بِطَاعَةِ المَاضِيَيْنِ : السَّيْفِ والقَلَمِ

المناسبة اللفظية

مُؤَيِّدُ العَزْمِ ، والأَبْطَالُ فِي قَلَقٍ مُؤَمِّلُ الصَّفْحِ ، والهَيْجاءُ في ضَرَمِ

التكميل

نَفْسٌ مُؤَيَّـدَةٌ بِـالحَقِّ تَعْضُـدُهـا عِنَايَةٌ صَدَرَتْ عَن بارِىءِ النَّسَمِ

العكس

أَبْدَى العَجَائِبَ ، فَالأَعْمَى بِنَفْثَتِه غَدا بَصيراً وَفِي الحَرْبِ البَصِيرُ عمي

الترديد

لَهُ السَّلامُ مِنَ اللَّهِ، السَّلامُ وَفِي دارِ السَّلامِ تَرَاهُ شَافِعَ الأُمَمِ

المبالغة

كَمْ قَدْ جَلَتْ جنْحَ لَيْلِ النَّقْعِ طَلْعَتُهُ والشُّهْبُ أَحْلَكُ أَلْواناً مِنَ الدُّهمِ

الإِغراق

في مَعْرَكٍ لا سُيرَ الخَيْلُ عِثْيَرَهُ مِمَّا تُرَوِّي المَواضِي تُرْبَهُ بِدَمِ (٢)

---

(١) الحجر : العقل . اللقم : الطريق الواضح .
(٢) العِثْيَر : الغبار .

الغلو

عَزِيْزُ جَارٍ ، لَوِ اللَّيْلُ اسْتَجَارَ بِهِ   مِنَ الصَّبَاحِ ، لَعَاشَ النَّاسُ في الظُّلَمِ

الإيغال

كَـأنَّ مَـرْآهُ بَـدْرٌ غَـيْرُ مُسْتَـتِرٍ   وَطِيبَ رَيَّاهُ مِسْكٌ غَيْرُ مُكْتَتِمِ

نفي الشيء بايجابه

لا يَهْدِمُ المَنُّ مِنْهُ عُمْرَ مَكْرُمَةٍ   ولا يَسُـوءُ أَذَاهُ نَفْسَ مُـتَّهَـمِ

الإشارة

يُولِي المُوالِينَ مِنْ جَدْوىٰ شَفَاعَتِهِ   مُلْكاً كَبِيراً عَدا ما في نُفُوسِهِم

النوادر

كَأَنَّمَا قَلْبُ مَعْنٍ مِلْءُ فِيْهِ ، فَلَم   يَقُلْ لِسَائِلِهِ يَـوْماً سِـوى نَعَمِ

الترشيح

إنْ حَلَّ أَرْضَ أُنَاسٍ شَدَّ أَزْرَهُمُ   بِما أَتَاحَ لَهُمْ مِنْ حَطِّ وِزْرِهِمِ

الجمع

آراؤه ، وَعَـطايـاه ، ونَـقْمَـتُـهُ   وَعَفْـوُهُ رَحْمَةٌ لِلنَّـاسِ كُلِّهِمِ

التفريق

فَجُـودُ كَفَّيْهِ لَمْ تُقْلِعْ سَحَـائِبُـهُ   عَنِ العِبَاد وَجُودُ السُّحْبِ لَمْ يُقِمِ

التقسيم

أَفْنى جُيُوشَ العِدَا غَزْواً فَلَسْتَ تَرَىٰ   سِـوىٰ قَتِيلٍ وَمَـأْسُورٍ ومُنْهَـزِمِ

الجمع مع التفريق

سَنَاهُ كَالنَّـارِ يَجْلُو كُلَّ مُـظْلِمَةٍ   وَالبَأْسُ كالنَّارِ يُفْني كُلَّ مُجْتَرِمِ

الجمع والتقسيم

أبادَهُمْ ، فَلِبَيْتِ المالِ ما مَلَكُوا   والرُّوحُ لِلسَّيْفِ ، والأَشْلاءُ لِلرَّخَمِ

ائتلاف المعنى مع المعنى

مِنْ مُفْرَدٍ بِغِرارِ السَّيْفِ مُنْتَثِرٍ ومُزوجٍ بِسِنانِ الرُّمْحِ مُنْتَظِمِ

الاشتراك

شِيْبُ المفارق يروي الضَّرْبُ مِنْ دَمِهِم ذَوائِبَ البِيْضِ بِيْضِ الهِنْدِ لا اللِّمَمِ

الإيجاز

واسْتَخْدَمَ الدَّهْرَ يَنْهاهُ ويَأْمُرُهُ بِعَزْمِ مُغْتَنِمٍ في زيّ مُغْتَرِمِ

المشاكلة

يَجزي إساءَةَ باغِيهِم بِسَيْئَتِهِ ولم يكُنْ عادِياً مِنْهُم على إرمِ(١)

ائتلاف اللفظ مع المعنى

كأنَّما حَلَقُ السَّعْدِي مُنْتَثِرٌ على الثَرى بَيْنَ مُنْفَضٍّ وَمُنْفَصِمِ(٢)

التشبيه

حُرُوفُ خَطٍّ على طِرْسٍ مُقَطَّعَةٍ جاءَتْ بِها يَدُ غَمْرٍ غَيرِ مُفْتَهِمِ

الاشتقاق

لَمْ يَلْقَ مَرْحَبُ مِنْهُ مَرْحباً وَرأى ضِدّ اسمِهِ عِنْدِ هَدِّ الحِصْنِ والأُطُمِ

التصريع

لاقَاهُمُ بِكُماةٍ عِنْدَ كَرِّهِمِ على الجُسُومِ دُرُوعٌ مِنْ قُلُوبِهِم

التشطير

بِكُلِّ مُنْتَصِرٍ لِلْفَتْحِ مُنْتَظِرٍ وَكُلِّ مُعْتَزِمٍ بِالحَقِّ مُلْتَزِمِ

---

(١) سيئته : مسهل سيئته . ارم : احد .

(٢) السعدي : الدرع المصنوعة بسعد ، وهي بلد تصنع فيه الدروع .

الترصيع

مِنْ حاسِرٍ بِغِرارِ العَضْبِ مُلْتَحِفٍ أَوْ سَافِرٍ بِغُبَارِ الحرب مُلْتَثِمِ

الموازنة

مُسْتَقْتِلٍ ، قاتِلٍ ، مُسْتَرْسِلٍ ، عَجِلٍ مُسْتأْصِلٍ ، صَائِلٍ ، مُسْتَفْحِمٍ خَصِمِ

التجزية

بِبارِقٍ خَـزِمٍ في مَـأْزِقٍ أَمَمٍ أَو سَائِقٍ عَرِمٍ في شَاهِقٍ عَلَمِ

التسجيع

فِعَالُ مُنْتَظِمِ الأَحْوَالِ مُقْتَحِمِ الْـ أَهْوَالِ ، مُلْتَزِمٍ ، باللّهِ مُعْتَصِمِ

المماثلة

سَهْلٌ خَلائِقُهُ ، صَعْبٌ عَرَائِكُهُ جَمٌّ عَجَائِبُهُ ، في الحُكْمِ والحِكَمِ

التسميط

فالحَقُّ في أُفُقٍ ، والشِّرْكُ في نَفَقٍ والكُفْرُ في فِرَقٍ ، والدِّينُ في حَرَمِ

التطريز

فالجَيْشُ والنَّقْعُ تحْتَ الجَوْنِ مُرْتَكِمٌ في ظِلِّ مُرْتَكِمٍ في ظِلِّ مُرْتَكِمِ

الإرداف

بِفِتْيَةٍ أَسْكَنُوا أَطْرَافَ سُمْرِهِمِ مِنَ الكُمَاةَ ، مَقَرَّ الضِّغْنِ والاضَمِ (١)

الكناية

كُلُّ طَويلِ نِجادِ السَّيفِ يُطْرِبُهُ وَقْعُ الصَّوارِمِ كالأَوْتَارِ والنَّغَمِ

الالتزام

مِنْ كُلِّ مبْتَدِرٍ لِلْمَوْتِ مُقْتَحِمٍ في مَأزِقٍ بِغُبارِ الحَرْبِ مُلْتَحِمِ

---

(١) مقر الضغن والاضم : أراد به القلب .

المواردة

تَهْوىٰ الرِّقاب مَواضِيْهِم فَيَحْبِسُهَا حَدِيْدُها كان أغلالا من القدم

التجريد

شُوسٌ تَرى مِنْهُمُ ، في كُلِّ مُعْتَرَكٍ أُسْدَ العَرِيْن إذا حَرُّ الوَطِيْسِ حَمِي

المجاز

صَالُوا ، فَنَالُوا الأماني مِنْ عُداتِهِم بِبَارِقٍ في سِوى الهَيْجَاءِ لَمْ يُشَمِ

الترتيب

كالنَّارِ مِنْه رِيَاحُ المَوْتِ قَدْ عَصَفَتْ لَمَّا رَوى ماؤُه أَرْضَ الوَغَى بِدَمِ

الإلغاز

حَـرَّانُ يَنْقَعُ حَـرُّ الكَـرِّ غُلَّتَـهُ حَتَّى إذا ضَمَّه بَرْدُ المَقِيلِ ظَمي

الإيضاح

قادُوا الشُّوازِبَ كالأَجْبالِ حَامِلَةً أَمْثالَها ، ثَبْتَةً في كُلِّ مُضْطَرِمِ

التوليد

مِن سُبَّقٍ لا يُرىٰ سَوطٌ لَها سَمَلاً ولا جَدِيْدٌ مِن الأَرْسَانِ واللُّجُمِ

سلامة الاختراع

كادَتْ حَوافِرُها تُدْمي جَحَافِلَهـا حَتَّى تَشَابَهَتِ الأَحْجَالُ بالرَّثَمِ (١)

حسن الاتباع

يكابِرُ السَّمْعُ فيها الطَّرْفَ حِيْنَ جَرَتْ فَيَرْجِعَانِ إلى الآثـارِ في الأكَمِ

ائتلاف اللفظ مع اللفظ

خاضُوا عُبابَ الوَغَى والخَيْلُ سَابِحَةٌ في بَحْرِ حَرْبٍ بِمَوْجِ المَوْتِ مُلْتَطِمِ

---

(١) الأحجال ، الواحد حجل : البياض في رجل الفرس . الرثم : بياض في طرف أنف الفرس .

التوهيم

حَتّى إذا صَدَرُوا والخَيْلُ صَائِمَةٌ ... مِنْ بَعْدِ ما صَلَّتِ الأَسْيافُ في القِمَمِ

تشبيه شيئين بشيئين

تَلاعَبُوا تَحْتَ ظِلِّ السُّمْرِ مِنْ مَرَحٍ ... كَما تَلاعَبَتِ الأَشْبَالُ في الأَجَمِ

ائتلاف اللفظ مع الوزن

في ظِلِّ أَبْلَجَ مَنْصُورِ اللّواءِ ، لَهُ ... عَدْلٌ يُؤَلِّفُ بَيْنَ الذِّئْبِ والغَنَمِ

البسيط

سَهْلُ الخَلائِقِ سَمْحُ الكَفِّ باسِطُها ... مُنَزَّهٌ لَفْظُه عَنْ « لا » و« لَن » و« لَمِ »

السلب والإيجاب

أَغَرُّ لا يَمْنَعُ الرّاجِينَ ما سَأَلُوا ... وَيَمْنَعُ الجارَ مِنْ ضَيْمٍ ومِنْ حَرَمِ

حصر الجزئي وإلحاقه بالكلي

شَخْصٌ هُوَ العَالَمُ الجُزْئِيُّ فِي سَرَفٍ ... ونَفْسُهُ الجَوْهَرُ الكُلِّيُّ في عِظَمِ

الفرائد

ومَنْ لَهُ خاطَبَ الجِزْعُ اليَبِيسُ ، ومَنْ ... بِكَفِّهِ أَوْرَقَتْ عَجْراءُ مِنْ سَلَمِ

العنوان

والعَاقِبُ الحَبْرُ في نَجْرانَ لاحَ لَهُ ... يَومَ التَّباهُلِ عُقْبَى زَلَّةِ القَدَمِ

حسن النسق

والذِّئْبُ سَلَّمَ ، والجِنِيُّ ، أَسْلَمَ والـ ... ثُعْبانُ كَلَّمَ ، والأَمْواتُ في الرُّجَمِ

التعريض

ومَنْ أَتَى ساجِداً لِلّهِ ساعَتَهُ ... وغَيْرُهُ ساجِدٌ في العُمْرِ لِلصَّنَمِ

الاتفاق

ومَنْ غَدا اسْمُ أُمِّهِ نَعْتاً لآمِنِهِ ... فَتِلْكَ آمِنَةٌ مِنْ سَائِرِ النِّقَمِ

ائتلاف المعنى مع الوزن

مَنْ مِثْلُهُ وذِراعُ الشَّاةِ حَدَّثَـهُ   عَنِ اسْمِهِ بِلِسَانٍ صَادِقِ الرَّنَمِ

المقلوب المستوي

هَلْ مَنْ يَنُمُّ بِحُبٍّ مَنْ يَنُمُّ لَهُ   بِمَا رَمَوهُ كَمَنْ لَمْ يَدْرِ كَيْفَ رُمِي

التهذيب والتأديب

هُوَ النَّبِيُّ الذِي آيـاتُهُ ظَهَـرَتْ   مِنْ قَبْلِ مَظْهَرِهِ لِلنَّاسِ فِي القِدَمِ

التقييد بحرف الميم

مُحَمَّدُ المُصْطَفَى المُخْتَارُ مَنْ خُتِمَتْ   بِمَجْدِهِ مُرْسَلُو الـرَّحْمٰنِ لِـلأُمَمِ

الانسجام

فَذِكْرُهُ قَدْ أَتَى فِي هَلْ أَتَى وَسَبا   وفَضْلُهُ ظَاهِرٌ فِي النُّونِ والقَلَمِ

الإيداع

إذا رأَتْهُ الأَعادِي قالَ حازِمُهُم :   حَتَّامَ نَحْنُ نُسَارِي النَّجْمَ في الظُّلَمِ

التمكين

بِهِ اسْتَغَاثَ خَلِيْلُ اللّهِ حِيْنَ دَعا   رَبَّ العِبَادِ ، فَنَالَ البَرْدَ في الضَّرَمِ

التسهيم

كذاكَ يُوْنُسُ نَاجىٰ رَبَّه ، فَنَجا   مِنْ بَطْنِ نُوْنٍ لَهُ في اليَمِّ مُلْتَقِمِ

الاستعانة

دَعْ ما يَقُولُ النَّصارىٰ في مَسِيْحِهِمِ   مِنَ التَّغَالي ، وقُلْ ما شِئْتَ واحْتَكِمِ

التفصيل

صَلَّى عَلَيْهِ إلٰه العَرْشِ ما طَلَعَتْ   شَمْسٌ ومَا لاحَ نَجْمٌ في دُجىٰ الظُّلَمِ

التنكيت

وآلِـه أُمَنَـاءِ اللّهِ مَنْ شَهِـدَتْ   لِقَدْرِهِم سُورَةُ الأَحْزابِ بالعِظَمِ

الحذف

آلِ الرَّسُولِ مَحَلِّ العِلْمِ ، ما حَكَمُوا لِلّه ، إلاّ وكـانُوا سـادَةَ الأُمَمِ

الاتساع

بِيْضُ المَفَارِقِ لا عابٌ يُدَنِّسُهُم شُمُّ الأُنُوفِ ، طِوالُ البَاعِ والأمَمِ [1]

التفسير

هُمُ النُّجُومُ بِهِمْ يُهْدىٰ الأَنَامُ وَيَنْجَا بُ الظَّلامُ ، ويَهْمِي صَيِّبُ الدِّيَمِ

التعليل

لَهُم أَسَـامٍ سَوامٍ غَـيْرُ خَافِيَـةٍ مِنْ أَجْلِها صَارَ يُدْعَى الإِسْمُ بِالعَلَمِ

التعطيف

وَصَحْبُه مَنْ لَهُمْ فَضْلٌ ، إذا افْتَخَرُوا ما إنْ يُقَصِّرُ عَنْ غاياتِ فَضْلِهِمِ

جمع المؤتلف والمختلف

هُمْ هُمُ في جَمِيْعِ الفَضْلِ ما عَدِموا فَضْلَ الإخَاءِ ونَصِّ الذِّكْرِ والرّحمِ

الاستتباع

الباذِلُو النَّفْسِ بَذْلَ الزَّادِ يَوْمَ قِرًى والصَّائِنُو العِرْض صَوْنَ الجَارِ والحُرَمِ

التدبيج

خُضْرُ المَرابعِ حُمْرُ السُّمْرِ يَوْمَ وَغًى سُودُ الوقائِعِ بِيْضُ الفِعْلِ والشِّيَمِ

الإبداع

ذَلَّ النّضارُ كَما عَزَّ النَّظِيرُ لَهُم بالفَضْلِ والبَذْلِ في عِلْمٍ وفي كَرَمِ

الاستخدام

مِنْ كُلِّ أَبْلَجَ وارِي الزَّنْدِ يومَ نَدًى مُشَمِّرٍ عَنْهُ يَومَ الحَرْبِ مُصْطَلِمِ

---

(١) قوله : طوال الباع والأمم ، هكذا في الأصل .

الطاعة والعصيان

لَهُمْ تَهَلُّلُ وَجْهٍ بِالحَيَاءِ كَمَا مَقْصُورُهُ مُسْتَهِلٌ مِنْ أَكُفِّهِمِ

التفريع

ما رَوْضَةٌ وَشَّعَ الوَسْمِيُّ بُرْدَتَها يَوْماً بِأَحْسَنَ مِنْ آثارِ سَعْيِهِمِ

المدح في معرض الذم

لا عَيْبَ فِيهِم سِوىٰ أَنَّ النَّزِيلَ بِهِمِ يَسْلُو عَنِ الأَهْلِ والأَوْطَانِ والحَشَمِ

التعديد

يا خَاتَمَ الرُّسْلِ يا مَنْ عِلْمُهُ عَلَمٌ والعَدْلُ والفَضْلُ والإِيْفَاءُ لِلذِّمَمِ

المزاوجة

وَمَن إذا خِفْتُ في حَشْرِي وَكَانَ لَهُ مَدْحِي ، نَجَوْتُ وكانَ المَدْحُ مُعْتَصَمِي

حسن البيان

وَعَدْتَنِي في مَنَامِي ما وَثِقْتُ بِهِ مَعَ التَّقاضِي بِمَدْحٍ فِيكَ مُنْتَظِمِ

السهولة

فَقُلْتُ : هٰذا قَبولٌ جاءَنِي سَلَفاً ما نَالَهُ أَحَدٌ قَبْلِي مِنَ الأُمَمِ

الإدماج

لِصِدْقِ قَوْلِكَ لَوْ حَبَّ امْرُؤٌ حَجَراً لَكانَ في الحَشْرِ عَنْ مَثْواه لَمْ يُرِمِ

الاحتراس

فَوَفِّنِي ، غَيْرَ مَأْمُورٍ ، وُعُودَكَ لِي فَلَيْسَ رُؤْياكَ أَضْغَاثاً مِنَ الحُلُمِ

براعة الطلب

فَقَدْ عَلِمْتَ بِمَا في النَّفْسِ مِنْ أَرَبٍ ، وأَنْتَ أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِي لَهُ بِفَمِي

الاعتراض

فَإِنَّ مَنْ أَنْفَذَ الرَّحْمٰنُ دَعْوَتَهُ وَأَنْتَ ذاكَ ، لَدَيْهِ الجَارُ لَمْ يُضَمِ

المساواة

وَقَدْ مَدَحْتُ بِمَا تَمَّ البَدِيْعُ بِهِ   مع حُسْنِ مُفْتَتَحٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ

العقد

ما شَبَّ مِن خَصْلَتِي حِرْصِي ومِنْ أَمَلِي   سِوى مَدِيْحِكَ في شَيْبِي وفي هَرَمِي

الاقتباس

هٰذي عَصَاي الّتِي فِيها مَآرِبُ لِي   وَقَدْ أَهُشُّ بها طَوْراً عَلَى غَنَمِي

التلميح (ويسمى حسن التضمين)

إنْ أُلْقِها تَتَلَقَّفْ كُلَّ ما صَنَعُوا   إذا أُتِيْتُ بِسِحْرٍ مِنْ كَلامِهِمِ

الرجوع

أَطَلْتُها ضِمْنَ تَقْصِيْرِي ، فَقَامَ بِها   عُذْرِي ، وَهَيْهاتَ إنّ العُذْرَ لَمْ يَقُمِ

براعة الختام

فإنْ سَعِدْتُ فَمَدْحِي فِيكَ مُوْجِبُهُ   وإنْ شَقِيْتُ فَذَنْبِي مُوْجِبُ النِّقَمِ

النموذج الثاني

الطراز البديع في إمتداح الشفيع

لأبي الوفاء بن عمر العرضي

(بَرَاعَتِي) في ابْتِدا مَدْحِي لِذي سَلَمِ قَدِ (اسْتَهَلَّتْ) لِدَمْعٍ فاضَ كَالْعَلَمِ
قَدْ (رَكَّبَ) الرَّكْبُ في (الإطْلاقِ) لِلنِّعمِ سقْمِي فَعُجْ بِي فَعُجْبِي مِنْ قلىً نِعَمي
مُتَيَّمٌ مـا تَـرَدَّى مِنْ صَبَـابَتِـهِ لو ماتَ رَدًّا (فَلَفِّقْ) جِسْمَ مُنْعَدِمِ
قَدْ (تَمّ) وَقْدُ الهَوى في حَان مِنْ تَلَفي قَدْ حانَ مِنْ صَدِّهِمْ طَرْفٌ بِوَصْلِهِم
دَمٌ لِدَمْعٍ مِنَ الأَجْفَانِ (ذَيَّلَهُ) مِنْ جِرِّ ضَرٍّ فَجِسْمِي (لاحِقٌ) العَدَمِ
قَدْ جَلَّ خِلٌّ (بِتَصْحِيفٍ) يُنْبِئُني عَن حُبِّ حِبٍّ سَرى التَّحْرِيفُ في الكَلِمِ
قَدْ ضَلَّ (قَلْبُ) عَذُولٍ ظَلَّ في جَدَلٍ ما حالَ لاحٍ يَرَى (لَفْظِي) مِنَ الجَرَمِ
جَعَلْتُهُ المُؤْمِنَ الطَّائِيْ وذا شَرَفي ما كانَ (للمَعْنَوي) الطَّائِيِّ في الكَرَمِ
(أَسْتَطْرِدُ) الفِكْرَ فِيها لا أُحَصِّلُهُ كَمَا أَرُومُ خليلًا صَادِقَ الذِّمَمِ
أَجْنادُ صَبْري مَعَ الهِجْرانِ ثَابِتَةٌ (بِالإستعَارَةِ) كَي أَحْظَى بِوَصْلِهِم
(واسْتَخْدَمُوا) العَيْنَ في إنْفَاقِها وَجَرَت دَمْعاً ومِنْهُم غَدَتْ مِنْ سَافِكَاتِ دَمِي
للحُبِّ (هَزْلٌ بِجِدّ) إذْ رأىٰ لَهَبِي وقالَ يطفي بِدَمْعٍ فَاض كالدِّيَمِ
أَبْكي وأُعْرِضُ عَنْ واشٍ (يُقَابِلُني) بـالابْتسـام فَيَبْـدُو كُـلُّ مُكْتَتَمِ
ما ضَرَّهُمْ بَعْدَما جارُوا إذا عَدَلُوا (بِالالْتِفَاتِ) فَأَنْتُمْ مَنْهَلُ الكَرَمِ
لَهُ (افْتِنَانٌ) بِقَتْلِ العَاشِقِينَ سُدىً لَكن سَلِمْتُ فَإِنِّي صَارِمُ الهِمَمِ

لَو أنَّهُمْ عَدَلُوا (لاسْتَدْرَكوا) مُهَجاً … ماتَتْ وَلَكِنْ عِنِ الإِنْصافِ والذِّمَمِ

أَحْيوا أَمَاتُوا بِوَصْلٍ والصُّدُودِ فَلِي … (طَيٌّ ونَشْرٌ) تَبَدَّى مِنْ فعَالِهِمِ

نامُوا بِأَمْنٍ وباتَ الصَّبُّ في قَلَقٍ … رَضوا بإغضاب مُضْنىً مِنْ (طِباقِهِمِ)

مِنْ نَارِ صَدٍّ وَمِنْ سُقْمٍ ومِنْ أَلَمٍ … لَقَدْ (تَخَيَّرْتُ) إذْ نَادَيْتُ وا أَلَمِي

(وأَبْهَمُوا) حِينَ قَالوا في مَحَبَّتِنا … كَمْ راغِبٍ أنْ يَدُومَ الحُبُّ فافْتَهِمِ

هَبْنِي أَسَأْتُ حَبِيبِي فاسْتَمِعْ (مَثَلاً) … يَكْبُو الجَوادُ ، وذا نارٌ عَلى عَلَمِ

(تَهَكُّماً) قالَ لِي : أَحْسَنْتَ في أَدَبٍ … لَكِنْ أَسَأْتُ أَنَا والذَّنْبُ مِنْ شِيَمِي

(رَاجَعْتُهُ) قُلْتُ : وَصْلاً . قالَ : مُمْتَنِعٌ … فَقُلْتُ : لَوْ في مَنَامٍ . قالَ : لَمْ تَنَمِ

إنْ جَدَّدُوا الآنَ أَلطَافاً فلا عَجبٌ … هُمْ (وَشَّحُوني) ثِيَابَ الوَصْلِ مِنْ قِدَمِي

(شَابَهْتُ أَطْرَافَ) نَظْمي حَيْثما أَعُم … أَعُمْ بِبَحْرٍ فَأُبْدِي جوهَرَ الكَلِمِ

حمداً لبأساء صدّ مِنْ (تَغَايُرِها) … لِلْوَصْلِ أَدْرَكْتُ مِنْهُم قِيمَةَ النِّعَمِ

(وَذَيَّلَ) الوَصْلُ مِنْ بَعْدِ الرِّضا وَرَنا … لَنا الزَّمانُ وعَيْنُ الدَّهْرِ لَمْ تَنَمِ

إقطَعْ. أَنِلْ. اَبْغِضْ. احْسُدْ . مُنَّ جُدْ . ضِعَ أهن (فَوِّفْ) أَمِتْ. اِمْنَحْ. اِمْنَعْ قَرِّبْ اَبْعِدْ لُمْ[1]

نامَ الرَّقِيبُ لَهُ قُلْنا (مُوارَبَةً): … شُفِيْتَ عُوفِيْتَ زَادَ الحُبُّ في الظُّلَمِ

وباتَ يُبْدِي (كَلاماً جامِعاً) حَسَناً … يَشْفِي من الكَلْمِ لُطفَ الحُبِّ بِالكَلِمِ

إني (أُنَاقِضُ) أَحْبَابِي إذا هَجَروا … واسْتَرْجَعُوا صَفْوَ أَوْقَاتِي بِقُربِهِمِ

بِهِمْ تزيَّن (تَصْدِير) المُحِبّ عَلَى … أَهْلِ الهَوى كَجَمَالٍ قَدْ رَقَى بِهِمِ

(وَمُوجِبُ القَوْلِ) إذْ قالَ الشَّفيع لَهُ : … كَلِّمْهُ . قُلْتُ : بِلَحْظٍ قَدْ أَبَاحَ دَمِي

(في مَعْرِضِ المَدْحِ أَهْجُ) النَّاصِحينَ فَقُلْ : … ما قُلْتُمُ الحَقَّ أَنْتُمْ طَرْفَةُ الأُمَمِ

إنِّي لأَقْبَلُ قَوْلَ النَّـاصِحِينَ وَلاَ … (أَسْتَثْنِي) إلاّ لِما يَدْعو لِتَرْكِهِمِ

عَنّ الجَوى (وَلِتَشْرِيعٍ) الضَنَى سَنَدٌ … يَرْوي الهَوى عَنْ غَرام جَلَّ في العِظَمِ

وكَمْ خَلَوْتُ بِأَحْبَابِي أُنَادِمُهُم … في اللَّيْلِ أَجْمَعُ مِنْ (تَتْمِيم) قُرْبِهِمِ

---

(١) في الأصل : « قرب لبعدهم »

(**كِنَايَة**) قُلْتُ عَنْهَا حَبَّذَا ظُلَمٌ ... طابَ السُّهَادُ بِها والعَيْنُ لَمْ تَنَمِ
والعَيْنُ تَرْنُو طَوِيلاً في مَلاحِظِهِ ... لِلصَّبِّ (**رَمْزٌ**) إلى الإحْسَانِ والكَرَمِ
سارُوا صَباحاً فَقَلْبِي رُمْتُ رَجْعَتَهُم ... (**لَوَّحْتُ**) بالكَفِّ لَكِن غَيْر مُنْفَهِمِ
جَلَّ الجَمالُ ينادِيهِم ولازَمَهُم ... (**يُوْمِي**) إلَيْهِم بِحُسْنٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ
(**عَمَّ الخِطابُ**) فَهَل تَلْقَى وَتَسْمَعُ مَنْ ... دانـاهُم في جَمالٍ أَوْ بِحُسْنِهِمِ
(**تَجَاهُلاً**) مِنْ حَبِيبٍ (**عَارِفٍ**) شَغِفٍ ... يَقُولُ : ما بِكِ سَحْرٌ أَمْ مِنَ السَّقَمِ ؟
قَدِ (**اكْتَفَيْتُ**) عَنِ الغزْلانِ مِنْ قَمَرٍ ... لَهُ جَمَالٌ بَهِيٌّ عَنْهُ العَذُولُ عَمِي
وباتَ (**يَرْعَى نَظيراً**) في دُجَى شَعَرٍ ... عَلَى مَنَازِلَ قَـلْـبٍ مِنْـهُ مُضْطَرِمِ
رُؤْياهُ رُوحُ حَيَاتِي إذ (**أُمَثِّلُهَا**) ... جِسْمٌ عَنِ الرّوحِ يَخْلُو فَهْوَ كَالْعَدَمِ
(**تَوْجِيْهُ**) حَالِي لَهَا التَّمْييزُ إذْ نَصَبَتْ ... أَدِلَّـةً فَـأَنَـا المَـرْفُـوعُ كـالعَلَمِ
(**عاتَبْتُ نَفْسي**) على الدَّعْوى فَقُلْتُ لَها : ... ذُوقِي لِدَعْواكِ مُرَّ الهَجْرِ والنَّدَمِ
لا كُنْتُ في أَدَبٍ يوماً جُهَيْنَتَهُ ... وَلا أَبَرَّتْنِي العَلْياءُ في (**القَسَمِ**)
إنْ لَمْ يَكُنْ طَلَبِي (**حُسْنَ التَّخَلُّصِ**) مِنْ ... دَاءِ الهَوىٰ بِامْتِداحِي أَشْرَفَ الأُمَمِ
مُحَمَّد نَجْلِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ آمِنَةٍ ... لَهُ (**اطِّرادُ**) كَمَالِ مَنْبَعِ الكَرَمِ
بَدْرُ الوُجودِ وُجُودُ البَدْرِ نِعْمَتُهُ ... وَسَعْدُ طَالِعِهِ (**عَكْسٌ**) على الصَّنَمِ
شَرِيفُ وَصْفٍ لَهُ المَجْدُ الشَّرِيْفُ عَلَى ... شَرِيفِ قَدْرٍ (**بِتَرْدِيْدِ**) الكَمَالِ سُمِ
(**كَرِّر**) نُعُوتاً سَمَتْ بالفَائِضِ الدِّيَمِ ... ابْنِ الفَائِضِ الدِّيَمِ ابْنِ الفَائِضِ الدِّيمِ
(**وَمذْهَبِي في كَلامي**) أَنَّه سَنَدٌ ... لِذاكَ يَشْفَعُ في عُرْبٍ وفِي عَجَمِ
فجُـودُه شَامِـلٌ واليَمُّ (**ناسَبَـه**) ... وَفَيْضُهُ وَابِلٌ قَدْ سَحَ بـالكَرَمِ
قَدِ اهْتَدَى النَّاسُ مِنْ (**تَوْشِيْعِ**) سنَّتِهِ ... بالمُرْشِدَيْنِ مِنَ الأَفْعَالِ والكَلِمِ
بِهِ (**تَكَمَّل**) دِيْنُ المُسْلِمِينَ وَقَدْ ... دامَ الكَمَالُ بِشَرْعٍ غَيْرِ مُنْخَرِمِ
هُداهُ كالشَّمْس (**والتَّفْرِيقُ**) بَيْنَهُمَا ... يَدُومَ ذَاكَ وغابَت تِلْكَ فِي الظُّلَمِ
كُلُّ الجَمالِ يُرىٰ في المُصْطَفى ظُهراً ... (**والشَّطْرُ**) مِنْ قِدَمٍ لِيُوسُفَ الكَرَمِ
مُذْ (**شَبَّهُوا**) وَجْهَهُ بِالبَدْرِ مُكْتَمِلاً ... فَغَابَ مِنْ خَجَلٍ وانْشَقَّ مِنْ أَلَمِ

(تَلْمِيحُ) رِيحِ الصَّبا في يَوْمِ نُصْرَتِهِ — تَعلُو الرَّخاء فَأَمْرُ الشِّرْكِ لَمْ يَقُمِ
(تشْبِيهُ شَيْئَيْنِ) مِنْ وَجْهٍ وَمِنْ شَعَرٍ — مِنْهُ (بِشَيْئَيْنِ) مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ ظُلَمِ
رُؤْيَاهُ تَجْلُو صَدى هَمِّي وَمِدْحَتُهُ — تَحْلُو (انْسِجَاماً) بِمَنْثُورٍ وَمُنْتَظَمِ
حَدِّثْ عَنِ البَحْرِ لا تُحْصِي عَجَائِبه — (تَفْصِيلُها) عَنْهُ كَلَّتْ أَلْسُنُ القَلَمِ
صَارَ الحَصَى سَمَكاً فِي بَحْرِ رَاحَتِهِ — فَمِنْ (نَوادِرِهِ) تَسْبِيحُهُ بِفَمِ
(بالِغْ) فَكُلّ جَمِيلٍ ذَاتُهُ جَمَعَتْ — وفَاضَ مِنْها عَلَى الأَمْلاكِ والأُمَمِ
لو شَاءَ (إغْراقَ) مَنْ عاداه أَغْرَقَهُمْ — نَبْعُ الأَصَابعِ لَمَّا فَاضَ كالدِّيمِ
(غُلوُّ) مَدْحِي لَهُ قَدْ كادَ مِنْ عِظَمٍ — يُعِيدُ لَو شَاءَ ماضي الأَعْصُرِ القدمِ
جَميلُ خَلْقٍ عَظِيمُ الخُلْقِ (وَائْتَلَفا — بالمَعْنَيَيْنِ) كَرِيْمُ الطَّبعِ والشِّيَمِ
لَمْ (يَنْفِ ايجَابَ) جُوْدٍ بَعْدَ مَسْأَلَةٍ — ولا يَمُنُّ حاشاه مِنَ التُّهَمِ
(إيغالُهُ) في سَبِيلِ العَفْوِ من كَرَمٍ — يَعْفُو ويَصْفَحُ عَن جُرْمٍ مَعَ العِظَمِ
(تَهْذِيبُهُ) القَوْلَ مِنْ (تَأْدِيبِ) سَيِّدِهِ — لِذاكَ أَبْدى جَميل الفِعْلِ والشِّيَمِ
املكْ أَنِلْ أَدَباً ابدا لنا كَليماً — (لَمْ يَسْتَحِلْ عَكْسُهُ) في مَدْحِ ذِي الكَرَمِ
كَمْ في المشاهِدِ جاءَ النَّصْرُ (تَوْرِيَةً) — ونَصْرُ بَدْرٍ بدا للعُرْبِ والعَجَمِ
والمُشْرِكُونَ لَقَدْ جارُوا (مُشَاكَلَةً) — عَلَيهم جارَ بالأَسْيَافِ والنِّقَمِ
(جَمْعُ) الكَمالِ (بِتَقْسِيمٍ) يُفَرِّقُهُ — يَعْفُو عن الذَّنْبِ يُولِي وابِلَ النِّعَمِ
كالبدرِ وجهاً وقَلباً في الجَمالِ وفي — شتَّى يُشِيْرُ إلى (تَفْرِيقِ جَمْعِهِمِ)
كم مِنْ (إشاراتِ) سَعْدٍ قَبْلَ مَوْلِدِهِ — بَدَتْ مِنَ الجِنِّ والكُهَّانِ والصَّنَمِ
(تَولِيدُ) طَاعَتِهِ في لَيلِ مَوْلِدِهِ — يَومَ السُّرورِ لأهلِ الدِّيْنِ والكَرَمِ
عِلمٌ وحِلْمٌ وجُودٌ مَع شَجَاعَتِهِ — (جَمْعٌ) تَقَسَّمَ فيهِ غَيْرُ مُنْفَصِمِ
لا (يَسْلُبُ) النَاسَ مِنْ (إيجابِ) رَحْمَتِهِ — ويَسلبُ الخَلْقَ ثَوبَ الهَمِّ والنِّقَمِ
(تَقْسِيْمُ) أَوْقَاتِهِ في الخَيْرِ مُشْتَهِرٌ — في الغَزْوِ والنُّصْحِ والطَّاعاتِ والكَرَمِ
متى أَلَمَّ مُلِمٌّ فَهْوَ لِي حَرَمٌ — يُجِيْبُ سُؤْلِي وإنْ (أَوْجَزْتُ) في كَلِمِ
(أَطْنِبْ) بأَوصافِهِ في نَعْتِ مِدْحَتِهِ — ولا تُقَصِّرْ وشَمِّرْ سَاعِدَ الهِمَمِ

فلا (يُساوِيهِ) في عَلْيائِهِ أَحَدٌ   مُذْ خَصَّهُ بِعُمومِ المَكْرُماتِ سمِ
مِن بانِ قامته أنوارُهُ (اشْتَرَكَتْ)   في الحُسْنِ قَصْدِيَ نُوْر ناسِخُ الظُّلَمِ
ما طَلْعَةُ البَدْرِ في تمٍّ (تفرَّع) مِنْ   شَمْسٍ بِأَنورَ مِنْ وَجْهٍ لَهُ وَفمِ
فَوَجْهُهُ النَّجْمُ والبَدْرُ المُنِيرُ دُجًى   والشَّمْسُ (تَرْقِيَةٌ) في النُّورِ والعِظَمِ
ظُباهُ قَدْ صَيَّرَتْ أَبْطالَ شِرْكِهِم   (مُصَرَّعِينْ) وقَدْ خاضُوا بِحارَ دَمِ
رَجَعْتُ أَنْدُبُ عُمْراً ضاعَ في زَلَلٍ   وما (وَجَعْتُ) عنِ الأَوْزارِ وَا نَدَمِي
قَدِ (اعْتَرَضْتُ) على نَفْسِي أُوَبِّخُها   لو كانَ يُجْدِي بما أَسْرَفْتُ في القِدَمِ
(تَرْتِيْبُ) خِلْقَتِهِ حُسْناً قَدِ انْتَظَمَتْ   في الوَجْهِ والثَّغْرِ والكَفَّيْنِ والقَدَمِ
لَهُ (اشْتِقَاقٌ) مِنَ الرَّحْمنِ تَسْمِيةً   باسمِ الرَّحِيْمِ كما بِالنُّورِ ذاكَ سُمِي
مُذْ كانَ خاتَمَ رُسْلٍ نالَ مُعْجِزَةً   بِخاتَمِ الرُّسْلِ يَبْدو (باتِّفاقِهِمِ)
(أَبْدِعْ) وأَوْدِعْ بِعقْدِ الحَمْدِ مِنْ مِدَحٍ   بِنُوْرِ تَنْزِيلٍ ما في نُون والقَلَمِ
هَلْ مَنْ (يُمَاثِلُهُ) أَوْ مَنْ يُناظِرُهُ   أَوْ مَنْ يُقَارِنه في المَجْدِ والكَرَمِ
(سجلت) أَطْلُبُ عِندَ المَوْتِ رُؤْيَته   هَبْ أَنَّنِي مِتُّ مَتِّعْ أَحْقَرَ الخَدَمِ
(تَزاوَجَ) الشِّعْرُ إنْ أبدىٰ مَحاسِنَه   أَبْدىٰ القَلائِدَ في أَجْيادِ مُنْتَظِمِي
رُمْتُ اللِّقا قالَ مِن (أُسْلوبِ حِكْمَتِهِ)   اِقْنَعْ بزادِ التُّقَى في حمية النَّدَمِ
(جزْءٌ وأَلْحِقْ بِهِ الكُلِّ) قَدْ طُوِيَتْ   فيـه الملائِـكُ والأَفْلاكُ كـالأُمَمِ
مَهْلاً فَشَنِّفْ صِماخِي مِن (فَرائِدِهِ)   في حَانِ أَلْحانِ مَدْحٍ طَيِّبِ النَّغَمِ
(تَرْشِيحُ) إهْلالِه في فَتْحِ مَكَّةَ قَدْ   أَبْدَىٰ لَهُم بَدْرَه من لاحَ في الظُّلَمِ
إكمالُ (عنْوان) نَصْرِ اللّهِ إذْ سَقَطَتْ   أَصْنامُهُم حِيْنَ أَوْمى شِبْهَ مُنْهَزِمِ
(تَسْهِيمُ) رَحْمَتِهِ قدم الذنوب أَتَت   لَعَلَّ حَظِّيَ مِنها أَوْفَرُ القِسَمِ
(تَطْرِيْزُ) دُرِّ نِظامِي في مَدائِحِهِ   يا حُسْنَ مُنْسَجِمٍ في حُسْنِ مُنْسَجِمِ
(تَنْسِيْقُ) أَوْصَافِهِ بَرٌّ رَحِيْمٌ هُدى   نُورٌ سِراجٌ مُنِيْرٌ شَافِعُ الأُمَمِ
(تَوْهِيمُ) جَمْعِ الهُدىٰ لَمَّا بَكَتْ وَشَكَتْ   ضِحْكُ الصَّوارِمِ في الأَجْسَامِ والقِمَمِ

(أَلْغِزْ) بَصِيراً ضَحُوكاً سالَ مَدْمَعُهُ ... مُذْ جَرَّدُوهُ وَلَمَّا أَلْبَسُوهُ عُمِي[1]
ما مِثْلُ قَوْلي إذا (حَاجَيْتُ) ذا أَدَبٍ ... مَشْيٌ بِلَيْلٍ خَفِيٍّ يا أَخا الكَلِمِ[2]
أَبَوا مَساقَ الهَوى في القَلْبِ (تَعْمِيَةً) ... بِضَمِّ عَهْدٍ نِفاقٍ حَشْو سَرِّهِمِ
وآلُه سِيَّما قَوْمٌ لَقَدْ قَصَدوا ... في آلِ عِمْرانَ (تَنْكِيْت) بِذي جرمِ
أُولُو التُّقى والنَّقا والمَجْدِ والهِمَمِ ... والعِلْمِ والحِلْمِ مِن (تَعْدِيدِ) وَصْفِهِمِ
وَصَحْبُه أَنْجُمُ الإِسْلامِ قَدْ نَصَحُوا ... (تَعَطُّفاً) مِنْهُمُ جادُوا بِنُصْحِهِمِ
(تَعْليلُ) إِشْراقِ بَدْرِ التِّمِّ في غَسَقٍ ... لِأَنَّهُ سارِقٌ مِنْ شَمْسِ نُورِهِمِ
بِيضُ الوجُوهِ أَفادُوا المُشْكِلاتِ وفي ... حَرْبِ العِدا (فاتَّسِعْ) في ظُهْرِ عِرْضِهِمِ
(مُسْتَتْبِعِيْنَ) بِضَرْبِ البِيضِ طَعْنَ قنا ... وبـاذِلِـينَ نُفُـوساً بَـذْلَ مـالِهِمِ
شُهْبٌ قَدِ (اخْتَرَعَتْ) مِنْ فُلْكِ أَرْضٍ رَمَتْ ... بِهـا المَلائِكُ رأسَ الجَانِبِ الهَمَمِ
وَشَيْخُ الإِسْلَامِ فاقَ الصَّحْبَ قاطِبَةً ... (تَوضِيْحُهُ) مَن دُعي الصِّدِّيقَ في القِدَمِ
تَلاه مِن بَعْده الفاروقُ (فَسر) من ... ماز الهوى عَنْ أباطِيل وعَن تُهَمِ
(جَمْعتُ مُؤْتَلِفاً) فِيهِم (وَمُخْتَلِفاً) ... بِجَمْعِ عُثْمانَ لِلقُرآنِ ذِي الحِكَمِ
إِنِّي أُوالي عَـلِيّـاً لا أُقَـدِّمُـهُ ... علَى الثَّلاثَةِ (تَعْرِيضاً) بِذي جَرَمِ
(حُسْنُ اتِّباعِ) رَسُولِ اللّهِ حُبُّهُم ... كالرُّوحِ عادَتْ لجِسمٍ لاحِقِ العَدَمِ
(تَوارَدَتْ) في خَيَالي مِنْهُمُ دُرَرٌ ... أَلْقَاهُ طَرْفي لِيَلْقى بَعْضَ أثرِهِمِ
حَازوا مَفَاتِيحَ ما في الصَّدْرِ مِنْ حِكَمٍ ... (وأَرْدفُوها) بِـودٍّ غَير مُنْصَـرِمِ
(أطاعَهُ) العُرْبُ لكِنْ كَم (عَصَى) عَرَبٌ ... نَبِيَّهُم خَـيْرَ خَلْقِ اللّهِ كُـلِّهِمِ
(في مَعْرِضِ الذَّمِّ مَدْحٌ) خَصَّ أُمَّتَهُ ... لا عَيْبَ فِيهِمْ سِوى التَّقْدِيمِ من قِدَمِ
(في مَعْرِضِ المَدْحِ ذَمِّي) من عقائِدِهم ... طابَتْ فما عَبَدوا إلّا لِعِجْلِهِمِ
لَمّا هَدانا وَفَيْنا الدِّيْنَ (أَوْدَعَهُ) ... بِأَفْضَلِ الرُّسْلِ كُنّا أَفْضَلَ الأُمَمِ

---

(١) المقصود : السيف ، فإنه يشبه البصر في إصابته المقتول ، ويشبه الضحوك للمعانة وإضاءته ، وسيلان مدمعه عبارة عن تقاطر دم القتلى منه ، فإذا أدخل في غمده صار لا يهتدي إلى المقتول .

(٢) المقصود : السرادق .

يا سَيِّدَ الأُمَم (سَجْعِي) مِنَ الكَلِمِ ... قَدْ أَظْهَرا حِكَمي في عقْدِ مُنْتَظمِ
(فرائِد) رَصَّعَتْ تِيْجانَ مَدْحِهِم ... فـوائِـد جَمَّعَتْ عِقْيـانَ نَعْتِهِم
(سَمِّطْ) جَواهِرَه وانْظُمْ مَفَاخِرَهُ ... وانْثُرْ مآثِرَه واطْرَب بِهـا وهِمِ
أنا المُقَصِّرُ والتَّقْصِيرُ مِنْ شِيمي ... حَسْبي (التِزام) جُفوني فائِض الدِّيَمِ
(جَزَّيْتُ) مُنْتَظمي رَوَّيْتُ مِنْ كَلِمي ... رَوَّيْتُ من قَلَمي في مَدْحِ ذي العِظَمِ
(جَرَّدْتُ) مِنْ قَلَمي أَقْلامَ مِدْحَتِه ... ومِن فَمِي أَلْسُناً تثني بِكُلِّ فَمِ
به (مجازي) مِنَ الأَهْوالِ إنْ هَلَكَتْ ... أَهْلُ المَعَاصِي وباتَتْ زلة القَدَمِ
(تُؤَلِّفُ اللفظَ والمَعنى) بـلاغَتُه ... جَلَّ الذي أَنْطَق الإِنْسانَ بالحِكَم
(واللفظُ والوزنُ) في مَدحي لهُ (ائْتَلَفا) ... بـذاتِـه يَتَجَـلَّى جَـوهَـرُ الكَلِمِ
(وزنُ) القَصائِدِ (والمَعْنى) إذ (ائتلفا) ... لاقا المديح بذاكَ المُفْـرِدِ العَلَم
(واللفظُ باللفظِ) يحكي الدُّرَّ (مُؤتلفاً) ... وعقد عقيانِ مَدْحي غَيْرُ مُنْفَصِم
(تمكينُ) تَوْبة ما قَدْ قَدَّمَتْهُ يَدي ... تركُ الذّنوبِ وعَضُّ الكَفِّ من نَدِم
(حَذَفْتُ) مِن خَلَدي مُذْ خِفْتُ مِن سَقَرٍ ... فَلِي شَفِيْعٌ عَظِيْمٌ وَهْوَ مُعْتَصَمِي
واحْمَرَّ وَجْهِي مِن بِيضِ الصَّحَائِفِ إذْ ... (دَبَّجْتُها) بِسَوادِ الوزرِ والجُرَمِ
مُحَمَّد الهاشِمي صَلُّوا عَلَيه ومِن ... أَنْوارِه (اقْتَبِسوا) في مَرْقَدِ الظّلَمِ
(سَهِّل) حِسَابِي ويَسِّر لي الوُصُولَ إلى ... جَنّاتِ عَدْنِ وكُنْ لِي يَوْمَ مُزْدَحَم
(حُسْنُ البَيانِ) لِقَصْدٍ مِن شَفَاعَتِه ... في جَنّةِ الخُلْدِ أَلْقى وَجْه ذِي العِظَمِ
(أَدْمجتُ) قَصْدِي فَكَعْبٌ مِن قَصِيدَتِهِ ... مَنَحْتَـهُ وكـذا المُـدّاح بـالنِّعَمِ
وحُسْنُ ظَنِّي بِرَبِّي قَدْ كَفَى ثِقَتِي ... قَدِ (احْتَرَسْتُ) وَحُبّي أَشْرَف النَّسَمِ
(بَرَاعَتِي طَلَبي) يا مُنْتَهى أَرَبي ... أنتَ الخَبِيرُ بها يا وابِلَ الكَرَمِ
قَدْ نَالَ (عقدَ) العلا واللّهُ قالَ لَهُ ... إِشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ في مَوْقِفِ الأُمَمِ
بَـدأْتُ فيهِ وفي أوطـانِهِ مِـدَحاً ... أَرْجُو بِمِسْكِ خِتامي (حُسْنَ مُخْتَتَمِ)

* * *

مصادر البحث ومراجعه

آ : المخطوطات

مرتبة حسب قدم وفيات المؤلفين

- بردة البوصيري : محمد بن سعيد (ت : ٦٩٦ هـ) . نسخة مصورة عندي عن نسخة المكتبة الأحمدية ، برقم (خ ٢٨٣ مجاميع) .
- جزء من شرح بديعية الصفي الحلي له : عبدالعزيز بن سرايا (ت ٧٥٠ هـ) . نسخة مصورة عندي عن نسخة مكتبة الأوقاف ببغداد ، برقم (٦١٩٨) .
- الحلة السيرا في مدح خير الورى : محمد بن أحمد بن جابر (ت ٧٨٠ هـ) . نسخة مصورة عندي عن نسخة المكتبة الظاهرية ، برقم (٣٥٦٠) . ضمن مخطوط (العقد البديع) .
- طراز الحلة وشفاء الغلة : أحمد بن يوسف الرعيني ، (ت ٧٧٩ هـ) . نسخة مصورة عندي عن نسخة مكتبة الأوقاف ببغداد ، برقم (١٢١٤٢) .
- الجوهر الرفيع ووجه المعاني في معرفة أنواع البديع : عبدالرحمن بن يوسف (ت ٨٠٣ هـ) . نسخة مصورة عندي عن نسخة مكتبة برلين ، برقم (٧٣٧٦) .

- العقد البديع في مدح الشفيع : شعبان الآثاري . (ت ٨٢٨ هـ) . نسخة مصورة عندي عن نسخة المكتبة الظاهرية ، برقم (٣٥٦٠) .

- الفريدة الجامعة للمعاني الرائعة : إسماعيل بن أبي بكر بن المقرىء (ت ٨٣٧ هـ) . نسخة مصورة عندي عن نسخة مكتبة برلين ، برقم (٧٣٧٠) .

- نسخة ثانية من (الفريدة الجامعة) مصورة عندي عن نسخة مكتبة برلين برقم (٧٣٧١) .

- المجمع المؤسس بالمعجم المفهرس : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) . نسخة مصورة في مكتبة الشيخ شعيب الأرناؤوط .

- مجموعة قصائد بديعيات : تتضمن بديعيات : ابن المقرىء ، العلوي ، أبي شجاع ، السيوطي ، الآثاري . نسخة مصورة عندي عن نسخة معهد التراث العلمي بحلب ، رقم (أنطاكي ٣٧) .

- ديوان الباعونية : عائشة بنت يوسف (٩٢١ هـ) . نسخة المكتبة الظاهرية برقم (٧٣٣٥) .

- مجموع القصائد للباعونية . نسخة مصورة عندي عن نسخة المكتبة الظاهرية ، برقم (عام ١١١٥٥) .

- البديعية وشرحها : علي بن محمد بن دقماق . (ت ٩٤٠ هـ) . نسخة مصورة عندي عن نسخة مكتبة برلين ، برقم (٧٣٧٩) .

- فتح البديع في حل الطراز البديع في امتداح الشفيع : أبو الوفاء العُرْضي (ت ١٠٧١ هـ) . نسخة مصورة عندي عن نسخة مكتبة برلين ، برقم (٧٣٨٣) .

- المحاسن المرضية في شرح المنظومة البديعية : محمد بن عيسى بن كنان (١١٥٣ هـ) . نسخة مصورة عِندي عن نسخة مكتبة برلين ، برقم (٧٣٦٦) .

- المطلع البدري على بديعية البكري : قاسم البكرجي (ت ١١٦٩ هـ) . نسخة مصورة عندي عن نسخة المكتبة الظاهرية ، برقم (٥٩١٩) .

- بديعية لمجهول : نظمت سنة (١٢٢٩ هـ) . نسخة مصورة عندي عن نسخة مكتبة برلين ، برقم (٧٣٩٠) .

- شدو العندليب في مدح الحبيب : خليل الوكيل البهنوي (ت بعد ١٢٣٩ هـ) . نسخة مصورة عن نسخة المركز الثقافي العربي بحماه ، برقم (٢١٠) (٢١٤) .

- نخبة البديع في مدح الشفيع : مصطفى بن عبدالوهاب الصلاحي (ت ١٢٦٥ هـ) . نسخة مصورة عن نسخة مكتبة برلين ، برقم (٧٣٨٨) .

ب ـ المطبوع من المصادر والمراجع

مرتبة على حروف الهجاء بعد القرآن الكريم الذي قدمتُ ذكره لقدسيته

١ ـ الآداب العربية في القرن التاسع عشر : لويس شيخو ، بيروت ـ مط . الآباء اليسوعيين ـ (١٩١٠ م) .

٢ ـ الأدب في بلاد الشام : د. عمر موسى باشا . دمشق ـ ط . ثانية ـ (١٣٩١ هـ ـ ١٩٧٢ م) .

٣ ـ الأدب في العصر المملوكي : د. محمد زغلول سلام . القاهرة ـ دار المعارف ـ (١٩٧١ م) .

٤ ـ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : أحمد بن محمد القسطلاني . بيروت ـ دار صادر ـ مصورة عن بولاق (١٣٠٥ هـ) .

٥ ـ الأعلام : خيرالدين الزركلي . بيروت ـ ط . رابعة ـ دار العلم للملايين ـ (١٩٧٩ م) .

٦ ـ أعلام الأدب والفن : أدهم الجندي . دمشق ـ (١٩٥٤ م) .

٧ ـ إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء : محمد راغب الطباخ الحلبي . حلب ـ ط . أولى . (١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٥ م) .

٨ ـ أعيان الشيعة : محسن أمين الحسيني العاملي . دمشق ط . أولى ـ مط . الإتقان ـ (١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ م) .

٩ ـ إقامة الحجة على التقي بن حجة : أبو بكر بن عبدالرحمن العلوي . الهند ـ مط . نخبة الأخبار ـ (١٣٠٥ هـ) .

١٠ ـ أمثال أبي عبيد : القاسم بن سلام . تح . د . عبدالمجيد قطاش ـ دمشق ـ دار المأمون ـ (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م) .

١١ ـ أنوار الربيع في أنواع البديع : علي بن معصوم . تح . شاكر هادي شكر ـ العراق ـ (١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م) .

١٢ ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : إسماعيل بن محمد البغدادي . بيروت ـ ط . مصورة عن مكتبة المثنى ببغداد .

١٣ ـ البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع : محمد بن علي الشوكاني مصر ـ ط . أولى ـ (١٣٤٨ هـ) .

١٤ ـ البديع : عبدالله بن المعتز . تح . كراتشكوفسكي ـ دمشق ـ مط . دار الحكمة .

١٥ ـ بديع التحبير شرح ترجمان الضمير : محمد بدرالدين الرافعي . مصر ـ ط . أولى ـ مط . العلمية ـ (١٣١٣ هـ) .

١٦ ـ بديع التلخيص وتلخيص البديع : طاهر الجزائري . دمشق ـ مط . سورية ـ (١٢٩٦ هـ) .

١٧ ـ بديعية العميان المسماة « الحلة السيرا في مدح خير الورى » : محمد بن جابر . القاهرة ـ مط . السلفية ـ (١٣٤٨ هـ) .

١٨ ـ بديعيات الآثاري : شعبان الآثاري . تح . هلال ناجي ـ بغداد ـ مط . وزارة الأوقاف (١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م) .

١٩ ـ البديعيات الخمس في مدح النبي المختار والصحابة الكرام : مصر ـ مط . المعارف ـ (١٨٩٧ م) .

٢٠ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين السيوطي . تح . أبو الفضل إبراهيم ـ مصر ـ ط . أ . مط . البابي الحلبي (١٩٦٤ م) .

٢١ ـ البلاغة تطور وتاريخ : د . شوقي ضيف . مصر ـ ط . ثالثة ـ دار المعارف ـ (١٩٧٦ م) .

٢٢ ـ البلاغة العربية في فنونها : د . محمد علي سلطاني . دمشق ـ (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م) .

٢٣ ـ بناة النهضة العربية : جرجي زيدان . مصر ـ دار الهلال ـ (١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧ م) .

٢٤ ـ تاريخ الآداب العربية من نشأتها إلى أيامنا : أحد النصارى . الاسكندرية ـ مط . الصناعية للفرير ـ (١٩١٤ م) .

٢٥ ـ تاريخ آداب اللغة العربية : محمد دياب . مصر ـ مط . الترقي ـ (١٣١٨ هـ ـ ١٩٠٠ م) .

٢٦ ـ تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان . القاهرة ـ مط . دار الهلال .

٢٧ ـ تاريخ الأدب العربي : محمد صالح السمك . مصر ـ مط . السلفية ـ (١٣٥١ هـ) .

٢٨ ـ تاريخ الأدب العربي : أحمد حسن الزيات . بيروت ـ ط . (٢٨) ـ مط . دار الثقافة (١٩٧٨ م) .

٢٩ ـ تاريخ الأدب العربي : د . عمر فروخ . بيروت ـ ط . ثالثة ـ دار العلم للملايين (١٩٧٨ م) .

٣٠ ـ تاريخ الأدب العربي في العراق : عباس العزاوي . العراق ـ مط . المجمع العلمي العراقي (١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م) .

٣١ ـ تاريخ الصحافة العربية : فليب دي طرازي . بيروت ـ (١٩١٣ م) .

٣٢ ـ تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار : عبدالرحمن الجبرتي . بيروت ـ ط . ثانية ـ دار الجيل (١٩٧٨ م) .

٣٣ ـ التبر المسبوك في ذيل السلوك : محمد بن عبدالرحمن السخاوي . القاهرة ـ بولاق ـ (١٨٩٦ م) .

٣٤ ـ تحفة الأسماع بمولد حسن الأخلاق والطباع : محمد نسيب بن حمزة . دمشق ـ مط . الليطوغرافية (١٣٠١ هـ) .

٣٥ ـ تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر : أحمد تيمور . مصر ـ مط . عبدالحميد أحمد حنفي (١٣٥٩ هـ ـ ١٩٤٠ م) .

٣٦ ـ التلخيص في علوم البلاغة : محمد بن عبدالرحمن القزويني . مصر ـ ط .

ثانية ـ ملك . التجارية (١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣٢ م) .

٣٧ ـ تهذيب الإيضاح : شرح عزالدين التنوخي . دمشق ـ مط . الجامعة السورية (١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م) .

٣٨ ـ جمهرة الأمثال : أبو هلال العسكري . تح . أبو الفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطاش . مصر ـ ط . أولى (١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م) .

٣٩ ـ الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنه : محمد بن محمد الخانجي . القاهرة ـ مط . السلفية (١٣٤٩ هـ) .

٤٠ ـ ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً : د . محمود الربداوي . دمشق ـ قيد الطبع .

٤١ ـ الحجة على من زاد على ابن حجة في علم البديع : عثمان الجليلي . الموصل ـ (١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م) .

٤٢ ـ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر : عبدالرزاق البيطار . دمشق ـ مط . المجمع العلمي العربي ـ (١٩٦٣ م) .

٤٣ ـ حلية العقد البديع في مدح النبي الشفيع[1] : قاسم البكرجي . حلب ـ مط . العزيزية (١٢٩٣ هـ) .

٤٤ ـ خزانة الأدب وغاية الأرب : ابن حجة الحموي . بيروت ـ دار القاموس ـ مصورة عن المطبعة الخيرية بمصر (١٣٠٤ هـ) .

٤٥ ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر : محمد المحبي . بيروت ـ دار صادر ـ مصورة عن الطبعة المصرية (١٢٨٤ هـ) .

---

(١) المطبوع من هذا الشرح عُنْوِن بـ«حلية البديع . .» .

٤٦ ـ دراسات بلاغية ونقدية : د. أحمد مطلوب . بغداد ـ وزارة الثقافة والإعلام (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م).

٤٧ ـ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة : أحمد بن حجر العسقلاني مصر ـ مط . دار الكتب الحديثة .

٤٨ ـ ديوان الأب نيقولاوس الصائغ : نيقولاوس الصائغ . بيروت ـ ط. ثانية ـ مط. الآباء اليسوعيين (١٨٧٤ م)

٤٩ ـ ديوان البحتري : الوليد بن عبيد تح . حسن كامل الصيرفي ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٣ .

٥٠ ـ ديوان البوصيري : محمد بن سعيد البوصيري . تح . محمد سيد كيلاني ـ القاهرة ـ ط. ثانية ـ البابي الحلبي (١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م).

٥١ ـ ديوان الدر المنظم في مدح النبي الأعظم : عبد الرحمن الحميدي القاهرة ـ ط. أولى ـ بولاق (١٣١٣ هـ).

٥٢ ـ ديوان الصفي الحلي : عبد العزيز بن سرايا . بيروت ـ دار صادر .

٥٣ ـ ديوان كعب بن زهير : شرح الإمام السكري . القاهرة ـ مصورة عن طبعة دار الكتب (١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م).

٥٤ـ ديوان نشأة الصِّبا ونسمة الصَّبا: محمد سليم قصاب حسن دمشق ـ مط. الجمعية الخيرية ـ (١٢٩٨ هـ).

٥٥ ـ الذريعة إلى تصايف الشيعة : محمد حسن . النجف ـ مط. العزي (١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م).

٥٦ ـ الرائد في الأدب العربي : نعيم الحمصي ـ دمشق ـ ط. ثانية ـ دار المأمون (١٩٧٩ م).

٥٧ ـ روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر : محمد جميل الشطي دمشق ـ مط. دار اليقظة العربية (١٣٦٣ هـ).

٥٨ ـ ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا : أحمد بن محمد الخفاجي . تح . عبد الفتاح الحلو ـ القاهرة ـ ط أولى ـ البابي الحلبي (١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧ م).

٥٩ ـ سبحة المرجان في آثار هندستان : غلام علي آزاد الهند (١٣٠٣ م).

٦٠ ـ سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر : علي بن معصوم ط. أولى ـ (١٣٢٤ هـ).

٦١ ـ سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر : محمد خليل المرادي القاهرة ـ بولاق ـ (١٣٠١ هـ).

٦٢ ـ سنن الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة تح . أحمد محمد شاكر ـ بيروت ـ دار إحياء التراث العربي .

٦٣ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب : عبد الحي بن عماد الحنبلي بيروت ـ ط. ثانية ـ دار المسيرة (١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م).

٦٤ ـ شرح بديعية صفي الدين الحلي له : صفي الدين الحلي . مط. العلمية ـ (١٣١٦ هـ).

٦٥ ـ شرح السيوطي على بديعيته : السيوطي . مصر ـ مط. الوهبية (١٢٩٨ هـ).

٦٦ ـ الصبغ البديعي في اللغة العربية : د. أحمد إبراهيم موسى . القاهرة ـ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر (١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩ م).

٦٧ ـ صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج . بيروت ـ دار إحياء التراث العربي .

٦٨ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : محمد بن عبد الرحمن السخاوي . بيروت ـ دار الحياة .

٦٩ ـ طالع السعد الرفيع في شرح نور البديع : عبد الحميد قدس . مصر ـ مط الميمنية (١٣٢١ هـ).

٧٠ ـ ظهر الإسلام : أحمد أمين . بيروت ـ ط. خاصة ـ دار الكتاب العربي (١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩ م).

٧١ ـ عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي : محمود رزق سليم . القاهرة ـ مكتبة الآداب (١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م).

٧٢ ـ العقد البديع في فن البديع : بولس عواد . بيروت ـ مط. العمومية الكاثوليكية (١٨٨١ م).

٧٣ ـ علم الأدب مقالات لمشاهير العرب : لويس شيخو . بيروت ـ مط . الآباء اليسوعيين (١٨٨٧ م).

٧٤ ـ عنوان الرضوان في مدح سيد ولد عدنان : محمد رضوان . القاهرة ـ ط . أولى ـ ط. المدارس الملكية (١٢٨٨ هـ).

٧٥ ـ الفتح المبين في مدح الأمين : عائشة الباعونية . في هامش « خزانة الأدب » لابن حجة الحموي .

٧٦ ـ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : أبو عبيد البكري . تح . د. إحسان عباس ـ د. عبد المجيد عابدين / بيروت ـ مؤسسة الرسالة (١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م).

٧٧ ـ فهرس الكتب العربية التي وردت على دار الكتب المصرية ما بين (١٩٢٩ ـ ١٩٣٥). القاهرة ـ (١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨ م) / الجزء السابع /.

٧٨ ـ فهرس الكتب الموجودة بدار الكتب المصرية لغاية (١٩٢٥ م) . . القاهرة ـ ط. أولى (١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٦ م)ـ / الجزء الثاني / .

٧٩ ـ فهرس المخطوطات العربية بصوفية : د. عدنان درويش . دمشق ـ وزارة الثقافة (١٩٧٤ م)ـ / الجزء الثاني / .

٨٠ ـ فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف ببغداد : عبد الله الجبوري بغداد ـ مط. العاني : (١٩٧٤ م)ـ / الجزء الثالث / .

٨١ ـ فهرس المخطوطات العربية في مكتبة برلين : آلورد . (١٨٩٤ م)ـ / الجزء السادس / .

W. AHLWARDT: ARABICHEN Handschriften- Berlin- 1894

٨٢ ـ فهرس المخطوطات العربية المصورة : فؤاد السيد . القاهرة ـ مط. دار الرياض ـ (١٩٥٤ م)ـ / الجزء الأول / .

٨٣ ـ فوات الوفيات : ابن شاكر الكتبي . تح . د. إحسان عباس ـ بيروت ـ دار صادر .

٨٤ ـ القطار السريع لعلم البديع : حفني ناصف . مصر ـ مط. الواعظ .

٨٥ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : حاجي خليفة . بيروت ـ مصورة عن نسخة مكتبة المثنى ببغداد .

٨٦ ـ الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة : نجم الدين الغزي . تح . د. جبرائيل جبّور ـ بيروت ـ ط. ثانية ـ دار الآفاق الجديدة (١٩٧٩ م).

٨٧ ـ لآلىء الترصيع في علم البديع : يوحنا الحداد . بيروت ـ المطبعة الأدبية ـ (١٩٠٥ م).

٨٨ ـ ما رأيت وما سمعت : خير الدين الزركلي . مصر ـ (١٣٤٢ هـ ـ ١٩٢٣ م).

٨٩ـ مجمع الأمثال : أحمد بن محمد الميداني . تح . محمد محي الدين عبد الحميد ـ مصر ـ (١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م).

٩٠ـ مختصر ديوان شعر محمود صفوت الساعاتي : جَمَعَه عبد الحميد نافع . مصر ـ (١٣٧٨ هـ).

٩١ـ المدائح النبوية في الأدب العربي : د. زكي مبارك . مصر ـ البابي الحلبي ـ (١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥ م).

٩٢ـ المستقصى في أمثال العرب : محمود بن عمر الزمخشري . بيروت ـ ط. ثانية ـ دار الكتب العلمية ـ (١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م).

٩٣ـ مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية : محمد عبد الله عنان . مصر ـ ط. ثانية ـ مط. الخانجي ـ (١٩٦٩ م).

٩٤ـ مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني : د. بكري شيخ أمين . بيروت ـ ط. ثالثة ـ دار الآفاق الجديدة (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م).

٩٥ـ مع البلاغة العربية في تاريخها : د. محمد علي سلطاني . دمشق ـ ط. أولى ـ دار المأمون للتراث (١٩٧٩ م).

٩٦ـ معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة . دمشق ـ مط. الترقي ـ (١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١ م).

٩٧ـ معجم المطبوعات العربية والمعرّبة : اليان سركيس . بغداد ـ مط. المثنى ـ مصورة عن طبعة مصر (١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٨ م).

٩٨ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي . مصر ـ دار الشعب .

٩٩ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة : طاش كبرى زادة . حيدر آباد (١٣٢٩ هـ).

١٠٠ ـ مفتاح العلوم : يوسف بن أبي بكر السكّاكي . بيروت ـ دار الكتب العلمية .

١٠١ ـ المفصل في تاريخ الأدب العربي : أحمد الاسكندراني ـ أحمد أمين ـ علي الجارم ـ عبد العزيز البشري ـ أحمد ضيف . مصر ـ (١٩٣٤ م).

١٠٢ ـ منتخبات التواريخ لدمشق : محمد أديب الحصني . دمشق ـ (١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٨ م).

١٠٣ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ابن تغري بردي . مصر ـ دار الكتب (١٣٧٥ هـ).

١٠٤ ـ نحو فهم جديد منصف لأدب الدول المتتابعة وتاريخه : نعيم الحمصي سورية ـ (١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م).

١٠٥ ـ نشر العَرف لنبلاء اليمن بعد الألف : محمد بن محمد الصنعاني . مصر ـ (١٣٧٦ هـ).

١٠٦ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : أحمد بن محمد المقري . تح . د. إحسان عباس . . بيروت ـ دار صادر (١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م).

١٠٧ ـ نفحة الأكمام في مثلث الكلام : عبد الهادي نجا الأبياري . ط. سنة (١٢٧٦ هـ).

١٠٨ ـ نفحة الريحان ، ديوان : ناصيف اليازجي . بيروت ـ مط. العمومية ـ (١٨٦٤ م).

١٠٩ ـ نفحات الأزهار على نسمات الأسحار : عبد الغني النابلسي . دمشق ـ مط. نهج الصواب ـ (١٢٩٩ هـ).

١١٠ ـ نكت الهميان في نكت العميان : صلاح الدين الصفدي . تح . أحمد زكي ـ مصر ـ (١٩١١ م).

١١١ ـ هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين : إسماعيل البغدادي بيروت ـ مصورة عن مكتبة المثنى ببغداد (١٩٥١ م).

١١٢ ـ الوسيط في الأدب العربي وتاريخه . أحمد الاسكندراني ـ مصطفى عناني . مصر ـ ط. سابعة ـ (١٩٢٨ م).

جـ ـ المجلات :

١ ـ مجلة التراث العربي : دمشق ـ العدد الرابع ـ السنة الثانية ـ (١٩٨١ م).

٢ ـ المجلة العربية : المملكة العربية السعودية ـ عدد تشرين الأول ـ سنة (١٩٨١ م).

٣ ـ مجلة مجمع اللغة العربية دمشق ـ المجلد الثامن عشر .

٤ ـ مجلة المشرق : لبنان
مجلد السنة الرابعة (١٩٠١).
مجلد السنة الثانية عشرة (١٩٠٩ م).

٥ ـ مجلة معهد المخطوطات العربية المصورة : مصر المجلد الرابع العدد الثاني .

فهرس بأسماء أصحاب البديعيّات
مرتب على حروف الهجاء

(١)

الصفحة	اسم البديعية	وفاته	اسم الناظم	تسلسل البديعية
١٣٠	؟	نظمها ١٧٣٣م	إبراهيم خيكي الحلبي	٤٧
٩٩	شرحها: نور حدقة البديع ونور حديقة الربيع	٩٠٥هـ	إبراهيم بن علي بن الحسن، الكفعمي	٢٢
١١٧	تخميس قصيدة الحلي	١٠٦٥هـ	إبراهيم بن يحيى بن المهدي اليمني الجحاف	٣٦
٩٣	تقديم أبي بكر	٨٣٧هـ	أبو بكر بن علي بن حجة الحموي	١٣
١٤٧	شرحها : نخبة البديع في مدح الشفيع	١٢٢٦هـ	أحمد بن عبد اللطيف بن أحمد البربير	٦١
٩٨	مواهب البديع في علم البديع	٨٩٩هـ	أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ، ابن الخلوف	١٩
٧٩	الفتح الإلي في مطارحة الحلي	٧٩٤هـ	أحمد بن محمد بن علي بن العطار الدنيسري	٥
١٦٠	؟	١٣٠١هـ	أرسانيوس (فارس) بن يوسف بن إبراهيم الفاخوري	٧٠

الصفحة	اسم البديعية	وفاته	اسم الناظم	المسلسل البديعية
١٦١	بديعية ثانية له	....	....	٧١
١٦٢	زهر الربيع في فن البديع	....	....	٧٢
١٦٠	؟	١٢٩٩هـ	أسعد بن أحمد بن مصطفى العظم	٦٩
٩٠	الجواهر اللامعة في تجنيس الفرائد الجامعة للمعاني الرائعة	٨٣٧هـ	إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن المقرىء	١٢
١٧٦	؟	؟	إسماعيل بن الحسين الخزرجي الشافعي	٨٧
١٢٠	؟	١٠٧٩هـ	الحسن بن أحمد بن محمد ، الجلال اليمني	٣٩
٩٩	؟	ذكره الكفعمي	الحسن بن مخزوم بدر الدين الطحان	٢١
١٦٧	الكواكب الدرية في الفنون الأدبية ؟	١٣٢٧هـ	حسين بن محمد بن مصطفى الجسر	٧٩
١٤٩	شدو العندليب في مدح الحبيب	بعد ١٢٣٩هـ	خليل الوكيل البهنوي	٦٢
١٦٤	؟	١٣١٤هـ	شاكر بن مغامس بن محفوظ شقير	٧٥
٨٤	البديعية الوسطى	٨٢٨هـ	شعبان بن محمد بن داود الأثاري	٩
٨٦	العقد البديع في مديح الشفيع (الكبرى)		شعبان بن محمد بن داود الأثاري	١٠

مسلسل البديعية	اسم الناظم	وفاته	اسم البديعية	الصفحة
١١	شعبان بن محمد بن داود الأثاري		بديع البديع في مدح الشفيع (الصغرى)	٨٧
٣٤	صلاح الدين بن محيي الدين الكوراني	١٠٤٩هـ	؟	١١٥
٩٢	ضياء الدين فخري	؟	؟	١٧٨
٨٥	طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري	١٣٣٨هـ	بديع التلخيص وتلخيص البديع	١٧٤
٢٥	عائشة بنت يوسف بن أحمد الباعوني	٩٢٢هـ	بديع البديع في مدح الشفيع	١٠٣
٢٦	عائشة بنت يوسف بن أحمد الباعوني	٩٢٢هـ	الفتح المبين في مدح الأمين	١٠٦
٣٨	عبد البر بن عبد القادر بن محمد الفيومي	١٠٧١هـ	إرشاد المطيع في التوشيع	١١٩
٨٤	عبد الحميد بن محمد علي قدس	١٣٣٥هـ	نور الربيع على نظم البديع	١٧٢
٢٣	عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي	٩١١هـ	نظم البديع في مدح خير شفيع	١٠٠
٣٠	عبد الرحمن بن أحمد بن علي الحميدي	١٠٠٥هـ	تلميح البديع بمديح الشفيع	١١٠
٣١	عبد الرحمن بن أحمد بن علي الحميدي		بديعية ثانية للحميدي	١١٢
١٤	عبد الرحمن بن محمد بن سلمان الحموي ، ابن الخياط	٨٤٠هـ	المعاني اليتيمة والمباني الرخيمة	٩٦

المسلسل البديعية	اسم الناظم	وفاته	اسم البديعية	الصفحة
٦	عبد الرحمن بن محمد بن يوسف ، وجيه الدين العلوي الزبيدي	٨٠٣هـ	الجوهر الرفيع ووجه المعاني في معرفة أنواع البديع	٨٠
١	عبد العزيز بن سرايا ، صفي الدين الحلي	٧٥٠هـ	الكافية البديعية في المدائح النبوية	٧١
٤٤	عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي	١١٤٣هـ	نسمات الأسحار في مدح النبي المختار	١٢٦
٤٥	....	....	مليح البديع في مدح الشفيع	١٢٨
٧٦	عبد القادر بن عبد القادر الحسيني الأدهمي	١٣٢٥هـ	ترجمان الضمير في مدح الهادي البشير	١٦٤
٣٣	عبد القادر بن محمد بن يحيى الطبري	١٠٣٣هـ	شرحها : علو الحجة بتأخير أبي بكر بن حجة	١١٣
٣٥	عبد الله الزفتاوي	١٠٥٩هـ	شرحها : حسن الصنيع بشرح نور الربيع	١١٦
٨٠	عبد الله فريج	ربما قبل ١٣٣١هـ	؟	١٦٨
٧٤	عبد الله بن مصباح بن إبراهيم النديم	١٣١٤هـ	البديع في مدح الشفيع ؟	١٦٣
٥٥	عبد الله بن يوسف اليوسفي البني	١١٩٤هـ	؟	١٤٠
٥٤	عبد المنعم بن تاج الدين محمد بن عبد المحسن القلعي	١١٧٤هـ	؟	١٣٩
٨	عبد الهادي بن إبراهيم بن علي الصنعاني	٨٢٢هـ	البديعية في الكعبة اليمنية الثمنية؟	٨٤

المسلسل البديعية	اسم الناظم	وفاته	اسم البديعية	الصفحة
٢٠	عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن عربشاه	٩٠١هـ	شفاء الكليم بمدح النبي الكريم	٩٨
٨١	عثمان بن محمد بن أبي بكر ، الراضي	١٣٣١هـ	؟	١٦٩
٦٠	علي بن أحمد تقي الدين النجاري	١٢٢١هـ	مراقي الفرج في مدح عالي الدرج	١٤٦
٤٢	علي بن أحمد بن محمد بن معصوم المدني	١١١٩هـ	تقديم علي	١٢٣
٣	علي بن الحسين بن علي ، عز الدين الموصلي	٧٨٩هـ	التوصل بالبديع إلى التوسل بالشفيع	٧٧
٤	....	....	بديعية ثانية للموصلي	٧٩
٤٦	علي بن عبد الرحيم بن محمد ، باكثير	١١٤٥هـ	؟	١٣٠
٢٨	علي بن محمد بن خالد البلاطنسي	٩٣٦هـ	؟	١٠٨
٢٩	علي بن محمد بن دقماق الحسيني	٩٤٠هـ	البديعية وشرحها	١٠٨
٥١	علي بن محمد بن عبد المحسن القلعي	١١٧٢هـ	مفتاح الفرج في مدح عالي الدرج	١٣٧
٥٢	....	....	وسع الاطلاع في بديع الأوضاع	١٣٩
٥٣	....	....	الأنواع العجيبة الاختراع	١٣٩

المسلسل البديعية	اسم الناظم	وفاته	اسم البديعية	الصفحة
١٧	عماد الدين بن القصار	القرن التاسع	؟	٩٧
٧	عيسى بن حجاج بن عيسى السعدي ، عويس	٨٠٧ هـ	؟	٨٢
٥٦	غلام علي أزاد بن نوح الحسيني	١١٩٤هـ	القصيدة البديعية	١٤١
١٨	فرج بن أحمد بن أبي بكر الطهطائي	٨٩٩هـ	نخبة البديع وأنواعه في مدح الجناب الرفيع وأتباعه	٩٧
٤٩	قاسم بن محمد البكرجي الحلبي	١١٦٩هـ	العقد البديع في مدح الشفيع	١٣٣
٥٩	مجهول	نظمت١٢١٩هـ	؟	١٤٥
٢٤	ابن محرز ؟	تلميذ السيوطي	؟	١٠٥
٢	محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي	٧٨٠هـ	الحلة السيرا في مدح خير الورى	٧٥
٥٨	محمد أمين بن خير الله بن محمود ، الخطيب العمري	١٢٠٣هـ	البديعية العمرية	١٤٥
١٥	محمد بن خليل بن أبي بكر ، ابن القباقيبي	٨٤٩هـ	؟	٩٦
٤٣	محمد بن محمد الرسام	؟	؟	١٢٦
٢٧	محمد بن داود بن محمد البازلي الحموي	٩٢٥هـ	بديع البديع في مدح الشفيع	١٠٧
٦٧	محمد رضوان بن محمد بن إسماعيل	١٢٩١هـ	عنوان الرضوان في مدح سيد ولد عدنان	١٥٧
٨٢	محمد سليم بن أنيس بن محمود ، قصاب حسن	١٣٣٤هـ	؟	١٧٠

المسلسل البديعية	اسم الناظم	وفاته	اسم البديعية	الصفحة
٨٣	....	......	بديعية ثانية له	١٧١
٧٣	محمد بن عبد الحميد بن عبد القادر ، الحكيم زاده	١٣٠١هـ	اللمعة المحمدية في مدح خير البرية	١٦٢
٣٢	محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحموي	١٠١٧هـ	؟	١١٣
٦٣	محمد بن عبد الوهاب بن إسحاق الجندي المعري	١٢٦٤هـ	؟	١٥٠
٨٦	محمد بن بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي	١٣٤٠هـ	؟	١٧٥
٥٧	محمد بن مصطفى بن كمال الدين البكري	١١٩٦هـ	منح الإله في مدح رسول الله	١٤٣
٤١	محمد ناظم الملتقي	بعد ١١٠٥هـ	؟	١٢٣
٦٥	محمد نسيب بن حسين ، ابن حمزة الحسيني	١٢٦٥هـ	تحفة الأسماع بمولد حسن الأخلاق والطباع	١٥٣
٧٧	محمد نوري باشا بن أحمد بن عبد الوهاب الكيلاني	١٣٢٦هـ	البديعية النورية في مدح خير البرية	١٦٦
٧٨	....	....	بديعية ثانية له	١٦٧
١٦	محمد بن نور الدين علي الشافعي ، أبو شجاع	؟	الحصون المعدة لكف يد الجاني عن البردة	٩٦
٤٠	محمود بن خليل داماد بياضي زادة	١٠٩٩هـ	؟	١٢٢

التسلسل البديعية	اسم الناظم	وفاته	اسم البديعية	الصفحة
٦٨	محمود صفوت بن مصطفى آغا الزيلة لي الساعاتي.	١٢٩٨هـ	؟	١٥١
٦٤	مصطفى بن عبد الوهاب بن سعيد الصلاحي	١٢٦٥هـ	شرحها : نخبة البديع في مدح الشفيع	١٥٠
٤٨	مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري	١١٦٢هـ	رشحات صدح من يسبي العذار ونفحات مدح في النبي المختار	١٣١
٨٨	مجهول	؟	؟	١٧٧
٨٩	مجهول	-	-	١٧٧
٩٠	مجهول	-	قصيدة بديعية في مدح خير البرية	١٧٨
٩١	مجهول	-	شرح بديعية	١٧٨
٦٦	ناصيف بن عبد الله اليازجي	١٢٨٧هـ	شرحها : القطوف الدانية	١٥٤
٥٠	نيقولاوس بن نعمة الله الصايغ	١١٦٩هـ	؟	١٣٦
٣٧	أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهاب بن العرضي	١٠٧١هـ	الطراز البديع في امتداح الشفيع	١١٧

فهرس الأنواع البديعية

الألف

الجيم

النون

الهاء

الواو

محتويات البحث

الباب الثاني : أثر البديعيات